II
العَودة
رواية دار العين للنشر
ثلاثية
بَرُّ الضّيف
يحيى صفوت

(1)

كيف انفلت زمام الأمور مني بهذا الشكل؟ تساءل إيهاب وهو يقطع الممر ضعيف الإضاءة بخطوات متثاقلة توقف أمام الزنزانة 6 ونظر من النافذة الصغيرة إلى محتواها الذي كاد الظلام يبتلعه دون أدنى اعتبار للمصباح ضعيف الشخصية الذي يتدلى من السقف.

- إنتوا مين؟

همس وعيناه تتنقلان بين النزلاء الثلاثة الذين أتوا من بَرّ الضِّيف في الميكروباص: عوض وإسماعيل وصبحي. ما زالوا في حالة السكون التام لليوم الرابع على التوالي دون أن يتمكن أحد، حتى الطبيب الشرعي، من معرفة ما بهم.

هل أخذ على عاتقه ما ينوء بحمله؟

ترك الزنزانة وذهب ليجلس على كرسيّ خشبيّ بسيط في ركنٍ مُنزوٍ في مدخل القسم. رفع ذراعيه القويتين كثيفتي الشعر وعقد أصابعه الغليظة خلف رأسه ثم أخذ يراقب الأمور في الاستقبال. يوم الأحد يكون دومًا مليئًا بالأحداث والمشاحنات في القسم وهذا ما يريده بالضبط. فموضوع النزلاء الثلاثة ليس هو الوحيد الذي يعصف بتفكيره.

ما الذى يحدث لسلمى؟ لماذا عاد موضوع الإنجاب يعذب زوجته ويسمم تفكيرها؟ هل أهملها حتى تمكّن منها الإحساس بالدُّونيّة لهذه الدرجة؟

أخذ نَفَسًا عميقًا ونظر إلى محموله فلم يجد ما تمنى أن يراه؛ لم يُهاتفه شقيق زوجته حتى الآن. فاتصل به.

- آلو. أيوه يا يوسف.

- ..

- مش قلتلك تكلمني؟ يعني إنت مش مهتم تعرف ابن عمك زين مات

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

إزّاي وليه؟

-..

- لأ مش متأكدين من حاجة ونظرية القبطان أنور مش بعيدة. ممكن يكون فعلًا معاه شريك وقتله لما اتمسك علشان ما يعترفش عليه. بس فيه حاجة محسساني إن القصة مش كده.

-..

- قولي الأول كنت وصلت معاه لإيه في موضوع الوِرث؟ هل كنت وافقت تبيعله أرضك ولا لأ؟

-..

- عندك معاينات طول اليوم؟ طيب. لو سمحت كلمني لما تروّح. سلام.

ظل يفكر: إن يوسف يضمر شيئًا هناك شيء غامض في موضوع الإرث الذي جاءه به زين هذا إن يوسف يماطله ولسببٍ ما يتهرب منه ولو أضفنا إن إرثه هذا يقع في بَرّ الضيف سيصبح لدينا أكثر من داعٍ للقلق ثُرى ما سيكون رد فعل عمته توحيدة حين تعود؟ إنها امرأة حديدية لا تقبل النقاش وقد خالف يوسف تعليماتها بتجنُّب أي شيء له علاقة ببرّ الضيف.

لكنه هو نفسه يُضمر شيئًا.

هناك رابط واضح بين كل ما يحدث لهم لكنه لا يراه ورغم ذلك يمضي في طريقه متجاهلًا إيّاه. بدءًا من بيته لبيت يوسف لما يحدث له في عمله. حتى ما يحدث هنا في القسم.

إن الرجل الذي قدم البلاغ عن واقعة الميكروباص في طريقه إليه. هذا ما باح به الرائد ثروت مأمور مركز (العلاتمة) بعد نقاشٍ مُضنٍ. الآن هو يريد أن ينشغل بشيء الآخر فالتفكير فيما قد يقوله هذا الشخص يكاد يدفعه للجنون. فهو، على حد قول ثروت، كان مع الفلاحين الثلاثة حين ركبوا معهم. إذًا فهو قد رأى ما أصابهم وجعلهم في حالة السكون المخيفة

تلك.

قطع تفكيرَه صياحُ النقيب وليد. انتبه إليه فوجده يتحدث مع رجل عملاق الجثة أشبه بلاعبي كمال الأجسام. بدا وليد بجانبه كطفل رغم حجمه الضخم. ظل الأخير يلتفت إلى إيهاب كلَّ حينٍ وآخر.

- فيه إيه يا وليد؟

ذهب إليه الأخير ليقول بصوتٍ منخفض:

- فيه بلاغ غريب شويّة.

تنهّد إيهاب وقال: قُول يا بني.

تنحنح وليد ثم قال:

- فيه سوّاق جه يبلغ عن الست اللي مشغّلاه.

- الواد ده؟ سأله "إيهاب" وهو يشير إلى برج العضلات.

- بالظبط. بيقول إنه وَصّل الست لمكان ومشافهاش لغاية دلوقتي.

- وإيه المشكلة؟ غريب في إيه البلاغ ده؟

- السوّاق بيقول إنه ابتدى يلاحظ عليها التغيير من إمبارح السبت. وصّلها لمكتب استشاري عقارات ومباني أثرية في العجوزة ولمّا نزلت منه كانت، على حد قوله، واحدة تانية تمامًا. كلامها مش مفهوم ونظراتها مجنونة حتى مظهرها ضَرَب خالص. بعد كده قالتله يمشي وماظهرتش لحد دلوقتي.

شرد "إيهاب" عن الحوار للحظاتٍ ثم استطرد بعد تفكيرٍ عميق:

- بتقول في العجوزة؟ اسمها إيه الست دي؟

- "سُميّة الدهشوري".

صُدم "إيهاب" عند سماع الاسم وتذكّر كلام "عادل" زميل "يوسف" مع

maktabbah.blogspot.com

الأخير في شرفته ليلة عيد ميلاد ابنه حسن: (سُمَيّة الدهشوري على سِنّ وزمح)

- طيّب روح كمّل البلاغ. اعرفلي منه عنوان مكتب الاستشاري ده واسم المكتب إيه.

كان رد إيهاب هبّ بعده واقفًا وذهب إلى مكتبه، لكن ليس دون نظرة أخيرة إلى السائق الذي ظل يتلفّت حوله. هاله ما رآه في عينيه.

هذا العملاق مرعوب.

* * *

شاردًا في النيل الذي يجري بجواره، جلس "يوسف" في مُؤخّرة سيارة الأجرة متجهًا إلى عمله. بحث في جيوبه عن السيجارة القديمة حتى أخرجها وأخذ يداعبها بين أنامله. سأله السائق:

- عايز ولاعة يا أستاذ؟

- لا.

أجاب "يوسف" باقتضاب. تساؤلات عدّة تتصارع في رأسه لكن واحد بالأخص يكاد يفتك بالبقية الباقية من عقله:

ما الذي يحدث لزوجته هي الأخرى؟ ما هذه التغيّرات التي تطرأ على سلوك "ليلى" من دون أي عامل خارجي ملحوظ؟ وهو أيضًا، لا يدري ما الذي يجعله ثائرًا في لحظات لتخبو ثورته من دون سبب.

ثم تذكّر آخر موقف بينهما في غرفة "حسن" ودار بخلَده: كله بسبب اللي اسمها "سُميّة الدهشوري" دي. ده أنا لو شفتها...

رنّ هاتفه فأخرجه من جيبه وقرأ الاسم: (سميةالدهشوري). جفل سائق التاكسي جرّاء صياح "يوسف":

- مش قولتلك لو سمحتي ما تتصليش تاني!!

maktabbah.blogspot.com

- ..

- يا فندم مش عايز مشاكل أكتر من كده.

- ..

- شيك إيه؟

- ..

تردد عند سماعه جملة مُحدِّثته الأخيرة، وحانت منه نظرةٌ إلى السائق في المرآة ثم قال بنبرةٍ خافتة:

- لأ مبرفضش الهدايا ولا حاجة.

- طيب خلاص. نتقابل في المكتب الساعة اتنين.

هذه المرة أنهى المكالمة بهدوء ثم مدَّ بصره عبر النيل ووضع السيجارة غير المشتعلة في فمه.

إن ثورته وتدهور علاقته مع زوجته ليست هي التغيير الوحيد الذي يطرأ عليه. لقد ظل متمسكًا بالمبادئ القويمة طيلة سنوات حياته العملية، لكنه لسببٍ ما بدأ يفكر جديًا في رشوة "سُمية" المستترة.

تأمل برُّ النيل المقابل وأخذ نَفسًا عميقًا ثم أخرجه مُتذكِّرًاكلام "هارون" سائق عمته قبل أن يختفي هو الآخر معها:

(كل بَرّ بيحسد البَرّ التاني)

★★★★★

تذكر انك حملت رواية بر الضيف ٢ العودة من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

maktabbah.blogspot.com

(2)

جلس "إيهاب" خلف مكتبه يرمق الشاب الجالس أمامه بنظراتٍ ثاقبة. شابٌ رفيعٌ ذو شارب خفيف يبدو عليه القلق البالغ.

- كنت فين اليومين اللي فاتو يا "شبانة"؟

رد عليه "شبانة" قائلًا:

- والله يا باشا بعدت شوية عن الشغل. زيّ سيادتك ما تقول كده أخدت أجازة.

فتح "إيهاب" الملف المُلقى أمامه على المكتب وأخذ يتصفح فيه.

- ممكن يا باشا أعرف إيه المشكلة؟ ما هو أنا قلت كل اللي عندي لـ "ثروت" بيه.

خلع النقيب "سعيد" بيريه الشرطة ليظهر رأسه الحليق ووضع البيريه أمامه على المكتب بهدوءٍ قائلًا:

- ما قولنا مفيش يا "شبانة". اسمع أسئلة "إيهاب" باشا وردّ بمنتهى الأمانة وهتروّح على طول.

بتوتر واضح أجاب "شبانة":

- حاضر يا باشا. تحت أمرك.

أغلق "إيهاب" الملف وقال:

- احكيلنا كل اللي شُفته في الميكروباص يوم الواقعة. كل اللي قلته في المحضر أوڈام "ثروت" باشا وكل اللي ما ذكرتوش.

قطّب "شبانة" حاجبيه وقال:

- ده كان يوم منيّل.

maktabbah.blogspot.com

"سعيد":

- أيواه. هو اليوم المنيّل ده. احكيلنا كل صغيّرة وكبيرة.

تنحنح "شبانة" وقال:

- هاقول لسيادتك أنا كنت نازل مصر أجيب حاجة علشان خطوبتي، أصلها الخميس اللي جاي عقبال عندكم المهم ركبت الميكروباص من على الطريق قبل بَرَ الضيف بكام كيلو، من ترماش ده اسم بلدنا لما وصلنا عند بَرَ الضِّيف ركب تلات رجالة، اللي عندكوا في الحجز ذول.

تبادل "إيهاب" مع "سعيد" نظرةً سريعةً لكنه أشار لـ"شبانة" أن يكمل فاستطرد:

- كانت حالتهم صعبة آخر حاجة يا باشا؛ متبهدلين وتعبانين وشكلهم جايب آخرهم. دخلوا ركبوا في الكنبة ورا من شكات وقالوا للسواق يطلع بسرعة. حسّينا زي ما يكون فيه حد بيجري وراهم خصوصًا إنهم فِضلَوا يبصُّوا على الغيط اللي طلعوا منه. حتى لما السوّاق طلع بالعربية فضلوا يبصوا وراهم.

"إيهاب":

- كان مين اللي معاك في الميكروباص؟

- اتنين رجالة قاعدين أودّام التلات رجالة اللي لسه راكبين واتنين ستات قاعدين جنبي. أنا قلت كل ده لـ "ثروت" باشا. كلنا كنّا قلقانين من التلاتة دول بس سكّتي كانت قصيرة فقولت إني هنزل قريّب وكبّرت دماغي. على الأقل ده كان تفكيري أنا.

- وصلتوا للبلد اللي بعدها بسلام؟

تردد "شبانة" قبل أن يجيب:

- للأسف لأ يا باشا. قبل ما نمشي حتى ميت متر لقينا حد بيشاورلنا.

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

مكنتش مركّز بصراحة في اللي بيحصل بس من هنا الحكاية لَبّشت.

اعتدل "إيهاب" في جلسته وقد بدا الاهتمام عليه.

- حلو الكلام ده. من النقطة دي بقى مش عايز ولا تفصيلة واحدة متقولهاش.

بدأ "شبانة" يحكي بالتفاصيل ما وجده السامعون أغرب ما سمعوا..

توقف الميكروباص عند الملف وأشار السائق لـ "شبانة" الجالس بجوار الباب كي يفتحه:

- افتح للبرنسيسة اللي واقفة لوحدها دي يا عريس لو سمحت.

صرخ أحد الركاب الثلاثة الذين ركبوا لتوّهم وكان أعرضهم:

- لأ بلاش تركّب حد!!

التفت إليه الجميع باستغراب فاستدرك قائلًا:

- مافيش مكان. ميصحّش بتّ تتحشر وسطينا إكده.

- مافيش مكان إزّاي؟ ملكش صالح يا جدع إنت. عايزنا نسيبها لوحديها هنا ولا إيه؟ ما تفتح يا عريس.

قالها السائق بنفادِ صبر.

ابتسم "شبانة" من نعت السائق له بالعريس وتخيل لو كان يعلم مدى صحة هذا اللقب، فخِطبته على "عايدة" الخميس بعد أسبوعين من يومهم.

صاح راكب آخر من الثلاثة وهو قصير بدين:

- بلاش تركّب حد. إحنا هنأجّر منك الميكروباص كله.

هتف به السائق:

maktabbah.blogspot.com

- والله هنزّلكُوا يا جدع إنت وهو. خليكوا في حالكوا قولنا.

مد "شبانة" يده ليفتح الباب وعقله في وادٍ آخر.

"عايدة".. وحشتيني يا بِتَ الإيه.

- اقفل الباب بقى يا عريس.

كان هذا النداء من السائق قبل أن يدير المحرّك مرةً أخرى وينظر في المرآة بعينٍ ذئبٍ بشريٍ غمز للتبّاع الجالس بجانبه لكنّ الأخير لم يتجاوب معه بل لوى شفتيه باستياء وهو يرمي نظرة خاطفة على آخر الراكبين التي اتخذت من الكرسي خلف "شبانة" مقعدًا لها.

التبّاع:

- إيه يا عمّ القرف ده؟ ده انت زوقك رِمَة. اطلع اطلع.

تحركت السيارة وما زالت عين السائق مثبّتة على الراكبة الأخيرة.

- هتنزلي فين يا قمر؟

علّق التبّاع بامتعاض:

- قمر مين يا عمّ انت؟ دي قد جدّتك. لا مؤاخذة يا أمي.

قهقه السائق وقال:

- اتلهي.

مدت المرأة البدينة،التي كانت تجلس بجانب "شبانة"، يدها له بخمسة جنيهات قائلة:

- والنبي يا بني اذي للتبّاع وهاتلي الباقي.

أضافت الفتاة التي تجلس بجوارها:

- نفرين مش واحد.

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

التبّاع: نازلين فين؟

- المنيب. أجابت المرأة الأكبر سِنًا.

التبّاع:

- والحاج اللي ورا. نازل فين؟

سمع شبانة صوت رجل كبير في السن يرد من الخلف قائلًا:

- البحر الأعظم.

- والرجّالة؟

سأل السائق الرجال الثلاثة الجالسين في الخلف. لم يأتهِ ردٌ منهم فنظر في المرآة ليجدهم يرمقون الراكبة الأخيرة بنظرةٍ لم يفهمها. فالتفت إليها وسألها بنفس أسلوب "عادل أدهم" الخطير:

- والقمر نازل فين؟

لم يأتِ ردٌ منها هي الأخرى.

هنا صاح السائق هادرًا:

- هو محدّش بيرد عليّا ليه؟ هو أنا موّظي الڤوليوم ولا مؤاخذة؟

سمع "شبانة" صوت الشاب الذي يجلس بجانب الشيخ وهو يقول:

- إنت قصدك مين؟

ثم باستنكارٍ سألت الفتاة التي تجلس بجانب المرأة:

- هو بيعاكس يامّه ده ولّا إيه؟

هتفت أمها:

- فيه إيه ياسطى؟ ما قولنالك المنيب.

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

السائق:

- فيه إيه يا ست إنتي؟ أنا جيت جنبكم؟ أنا بكلّم القطة اللي لسّه راكبة.

مرت نصف دقيقة لم ينبس أحد خلالها ببنتِ شَفَة. فقط صوت زئير محرك الميكروباص العجوز والتفاتات الركاب كل واحد منهم يتفحَّص وجوه الآخرين. ثم سمع "شبانة" الرجل العجوز يقول:

- قطة مين يابني؟ إنت شارب حاجة؟

بدأ "شبانة" ينتبه للحوار العجيب وخَدْس ما يحدُث بأن هناك شيئًا مريبًا يحدث حوله.

التبّاع:

- معلش يا جدعان، سوّاقنا نفسه حلوه حبتين.

السواق، وقد بدأ يفقد أعصابه:

- فيه إيه يا جدعان؟ أنا بكلّم البِتْ اللي لسه راكبة. رايحة فين يا عروسة؟

التفت الركاب إلى الكرسي خلف "شبانة" وعاد الصمت مجددًا، ليقطعه التبّاع الذي التفت لينظر إلى مَن يجلس خلف "شبانة" ويقول:

- يا عمّ عروسة مين؟ دي تيجي بتاع مية سنة.

كل هذا و"شبانة" لم يلتفت ليرى من يجلس خلفه، لكن لماذا لا ترد على السائق؟

تدخلت المرأة البدينة صائحة:

- هي مين دي يا عم المسطول أنت وهو؟ مش بتتكلموا على اللي لسه راكب دلوقت؟ ده لا ست كبيرة ولا صغيّرة، ده واد صغير، بايظه قزم.

فرملة عنيفة جعلتهم يحتضنون الكراسي المتراصّة أمامهم. تلاها صيحة

maktabbah.blogspot.com

من السائق وسِبَاب من التبّاع.

- واد مين يا أمي؟!! إنتي هتشتغليني؟ ما هي بت أهي؟ متنطقي يا بث.

الآن "شبانة" خائف أن يلتفت.مَنِ الذي يجلس خلفه؟ قام من جلسته ليقف بجوار الباب والتفت لينظر إلى مَن يجلس وراءه.

لم يَرَ الفتاة ولا المرأة العجوز ولا الولد، بل رأى رجلًا شديد النحافة طويل الوجه يرتدي صديريًا أبيض وتختفي ملامحه الدقيقة خلف طبقة سميكة من الغبار الأبيض، وبجواره استند عكازان على الكرسي.

قال الشاب الجالس بجوار الرجل المُسِنّ:

- واد إيه وبث إيه يا بشر؟

رآه "شبانة" يمُد يده ليربّت على كتف الراكب الأخير قائلًا له:

- يا حاجّ، رُدّ على الناس دي.

بصوتٍ مهزوزٍ قال الرجل العجوز:

- أنتم بتكلموا مين؟ هو فيه حد قاعد هنا أصلًا؟

مشيرًا إلى الكرسي الذي يجلس عليه الراكب الأخير، أيًا كانت هُويّته.

بحذرٍ مدّ "شبانة" يده يتحسّس مقبض الباب.

السائق:

- يعني إيه الكلام ده؟ يعني اللي قاعد على الكرسي ده مش بث؟

التبّاع، وقد انخفضت نبرته دليلًا على تسلّل الخوف إليه:

- ولا سِتّ كبيرة؟

الفتاة، واضعة كفّها على صدرها:

هو الواد مبيردّش ليه؟ أمّا... ما تنزلي يامّا.

maktabbah.blogspot.com

فتح "شبانة" باب الميكروباص وقفز على الأرض الطينية خارجه. خلفه نزلت المرأة مسرعةً وبنتها في ذيلها ثم الشاب والرجل المُسنّ. سمع صوت الباب يُغلق خلفه يتبعه توسُّل أحد الركاب الثلاثة:

- والنبي سيبنا ننزل. والنبي. أحبّ على إيدك. إحنا غلطانين مكانش المفروض ندخل أرضكوا. "زين حفيد القطّان" هو اللي قال لنا نفتح السور. هو اللي خطّط وإحنا نفّذنا بس.

أتى صوت التبّاع:

إنت بتقولوا إيه؟؟ يا عمّ أنا هنزل.

هنا توقف "شبانة" عن السرد ليتفحّص وجوه المستمعين. رآهم يتابعونه جميعًا بتركيز، لكن "إيهاب" قطّب حاجبيه بقوة وسأله:

- إنت متأكد من اسم "زين القطّان" ده؟

"شبانة":

- طبعًا يا باشا. ده محفور في مُخّي.

"إيهاب":

- طب كمّل.

استطرد "شبانة":

- ساعتها كنت أنا والركاب الأربعة والتبّاع بنبعد عن الميكروباص بس كنّا بنبص عليه من بعيد كل شوية. التلاتة اللي ورا فضلوا في مكانهم مركّزين مع الراكب الأخير ده اللي كان كل واحد فينا شايفه حاجة مختلفة.

سمعت السواق بيزعّق:

- إيه اللي بتعمليه ده؟ إيه القرف ده يا بتّ إنتي؟

ما كنّاش شايفين الراكب الأخير، اللي السوّاق كان شايفه بنت، بيعمل إيه.

maktabbah.blogspot.com

سمعنا صوت باب السواق مش عايز يفتح وسمعنا أغنية (القمح الليلة) طالعة من الراديو.

تبادل الضباط النظرات مما جعل "شبانة" يسأل:

- في حاجة يا باشا؟

"إيهاب":

- لأ. كمّل.

- حاضر. بعدنا عن الميكروباص بتاع خمسين متر ولقينا الراكب اللي كنت شايفه عامل محارة ولا فزّلن بصديري بيلف جوّه الميكروباص وراجع للتلاتة وَرَا. بعديها سمعنا صوت زي الجاموسة كده بس أقوى بكتير وشُفنا الميكروباص بيتحرّك والسواق بيرمي نفسه من الشباك.

تبادل "إيهاب" وسعيد النظرات ثم سأل "إيهاب":

- عملتوا إيه بعد كده؟

- البتّ وأمها قعدوا يولولوا ويصرخوا برعب يا باشا. الرجّالة قعدت تبسمل وتستعيذ بالله. كنّا عارفين إيه اللي شفناه بس محدّش كان عايز يقول. محدش كان قادر يتكلم أصلًا.

- كان إيه؟ وإيه اللي خلّاك تروح تعمل محضر بعد كده رغم إنك مش صاحب الميكروباص؟

- بُصّ يا باشا بقى، أنا هقول واللي يحصل يحصل.محدش هيصدقني أنا عارف بس يا زوح ما بعدك روح أنا كان لازم أبلّغ يا باشا أنا هتجوّز الخميس اللي جاي واللي شفته ده مش هيسبني في حالي وهينطّلي في بيتي اللي لسّه ما شافش النور أنا عملت محضر لأنكوا لازم تلاقوا حل يا باشا. اللي شفناه ده "ضيف"، ضيف جه زار أرض القطّان من سبعة وعشرين سنة وممشيش من ساعتها. والضيف ده..

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

قاطعه اقتحام "سعفان" للغرفة:

- إيه يا بني آدم اللي بتعمله ده؟!!! صاح "إيهاب".

- معلش يا باشا. بس فيه حاجة غريبة جدًا بتحصل.

قالها "سعفان" وعلى وجهه أعتى آيات الهلع، ثم أكمل وهو يشير إلى شاشة المراقبة بأصابع مرتعشة:

- التلاتة اللي في الزنزانة 6.

التفت "إيهاب" إلى ما يشير إليه.. إلى شاشة المراقبة. تسمّرت عيناه عليها فسأل "سعيد" بقلق:

- مالهم؟

بصوتٍ متهدجٍ ردّ "سعفان":

- بقوا أربعة.

*****

(3)

وقفت "ليلى" في سوبر ماركت كبير تتطلع إلى أرفف الحلوى لم تكن هذه نيّتها عند خروجها من المنزل لكن بعد مجيئها لهذا المكان شعرت بثقلٍ ينزاح عن صدرها بدأ شعور قوي بالذنب تجاه معاملتها ليوسف يتسلل إليها؛ لذا سوف تعدّ عشاءً فاخرًا كنوعٍ من أنواع الاعتذار.

ظلت تحاور نفسها وهي تتأمل الأرفف المكدسة:

متى تسلل إليك الغيرة والشك يا "ليلى"؟ إنكانت "سمية" تلك قد زارت "يوسف" بمكتبه يوم الإجازة فلا يعني ما تفكرين فيه. إنها عجوز شمطاء. لا يمكن أن يكذب زوجك في هذا الأمر لأنه من السهل معرفة الحقيقة. استعيذي بالله من الشيطان الرجيم.

مكتبة بيت الحكايات
maktabbah.blogspot.com

لكنها عرضت عليه رِشوة.

هذه نقرة وتلك نقرة. "يوسف" ابن أصول ولن يأكل من حرام.

نفضت عن رأسها تلك الأفكار ثم أمضت وقتًا لا بأس به تبتاع مُكوِّنات العشاء. ها هي الآن تنتقي آخر عنصر: الحلو. مدّت يدها لتأخذ علبة كعك جاهزة وأدارتها كي تقرأ مكوناتها.

إن الضوء ضعيف حقًا.

هل كان كذلك منذ أن دلفت إلى هذا الممر؟

نظرت حولها تبحث عن مكانٍ أكثر إضاءة تستطيع فيه أن تقرأ المكتوب على ظهر العلبة.

ما هذا الهدوء؟

أين رُوّاد المحل؟

وضعت العلبة وقد بدأ القلق يتسلل إليها. اتجهت لتخرج من هذا الممر ضعيف الإضاءة لكنها فوجئت بإحدى العاملات تدخل الممر وهي تدفع تروللي مليئًا بمُعلّبات الكاكاو. فتاة لا تتعدى العشرين ذات وجه مثلث وشعرها الأسود الفاحم معقود كذيل الحصان.

- أقدر أساعد حضرتك؟

اطمأنت "ليلى" بعض الشيء وابتسمت للفتاة قائلة:

- آه. هو فيه كيكة إسفنجية جاهزة؟

توقفت الفتاة وجالت بعينها في الأرفف:

- مممم. أعتقد... آه. بُصّي حضرتك في الرف الأخير هناك. وأشارت إليها ناحية آخر الممر... حيث الضوء لا يكاد يصل.

- شكرًا.

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

استدارت "ليلى" متجهةً إلى آخر الممر وسمعت صوت الترولي يتحرك مجددًا. التفتت لترى الفتاة تمشي وراءها.

- عندكوا حفلة النهارده؟ في عندنا شمع وزينة.

توقفت "ليلى" واستدارت قائلة:

- أحسن حاجة أخلي جوزي يجي يشتري هو. عمومًا ميرسي.

تقدمت "ليلى" ناحية الفتاة كي تخرج من الممر لكنها فوجئت بها قريبة منها جدًا.

كيف وصلت عندها بهذه السرعة؟

- الست هي اللي بتجهز الحاجات دي مش جوزها.

قالتها الفتاة بنبرة جافة بعد أن توقفت عن دفع الترولي.

ضحكت "ليلى" بعصبية وقالت:

- عندك حق والله. بس جوزي بيحب يجيب هو الحاجات دي.

لثوانٍ قليلة وقفت "ليلى" أمام الفتاة التي سدّت الممر بالترولي.

- ممكن أعدي؟

قالتها "ليلى" بصوتٍ مرتعش.

- من الناحية التانية.

كان رد الفتاة الخالي من أية مشاعر.

التفتت "ليلى" لتنظر لنهاية الممر المظلمة، حيث أشارت الفتاة. إنها لا ترى شيئًا هناك رغم أنها متأكدة من وجود مخرَج للممرّ في كلتا الناحيتين. بين الالتفاف والمرور بجانب الفتاة والذهاب إلى نهاية الممر المظلمة بدت فكرة الابتعاد عن الفتاة هي الأصوب. تحركت "ليلى" إلى النهاية المظلمة وقررت أن تفتعل ضجيجًا لعل أحدًا ما يسمعها، فهتفت قائلة:

maktabbah.blogspot.com

- أنا مش فاهمة إزَّاي مفيش نور هنا ده إهمال!!

سمعت خطوات الفتاة تقترب. لكن.. ما هذا الصوت؟

هل هذا صوت خُلخال؟

جاءها صوت الفتاة من ورائها يقول:

- زيّ الإهمال بتاعك مع "يوسف"؟

توقفت "ليلى" عن السير وقالت دون أن تلتفت إلى الفتاة:

- إنتي بتقولي إيه؟

لم ترد عليها. لكنها لم تحتج أن تفعل كي تستنتج "ليلى" حقيقة الموقف الذي وقعت فيه.

لا بد أن تبتعد عن هذه الفتاة أيًا مَنْ أو أيًا ما كانت.

سمعت صوت صرير عجلات التروللي يتحرك ببطء تجاهها فعاودت المشي في اتجاه الظلام. هنالك استطاعت تحديد إفريز باب مغلق. توجد لافتة فوقه. أخرجت المحمول وسلطت ضوءه ناحية الباب. صوت الصرير يتسارع ويقترب منها. شعرت "ليلى" بأنفاسها تتلاحق. قبل أن تصل إلى نهاية الممر سمعت الفتاة تغني على بُعد خطوات منها:

- القمح الليلة ليلة عيده. يا رب تبارك تبارك وتزيده. يا رب تبارك يا رب. يا رب تبارك يا رب. يا رب تبارك وتزيييييدووووه!!

صرخت في النهاية وزادت من سرعتها في اتجاه "ليلى".

هنا ألقت "ليلى" ما تحمله من أكياس واندفعت مذعورةً ناحية الباب. قرأت كلمة (مَخْـرَج) فوقه لكنها حتمًا ستكون نهايتها لو كان مغلقًا.

- "ليلى"!!

كان هذا صوت الفتاة خلفها مباشرة.

مكتبة بنت الحريات
maktabbah.blogspot.com

- "يوسف" مَبقاش ليكي.

انقضّت "ليلى" على الباب لتفتحه ووقعت على الأرض خلف السوبر ماركت. حولها وقف عمال المحل مذهولين فقامت لتعدل ملابسها وانطلقت مبتعدةً وهي على مشارف الانهيار.

***

تعمّد "يوسف" أن يذهب للبيت متأخرًا فهو قدتجاهل مكالمات "ليلى" التي تعدت الأربعين مكالمة، انهالت عليه الواحدة تلو الأخرى خلال اليوم. رغم أنها توقفت فجأةً عن محاولاتها للوصول إليه منذ ساعات من دون مقدمات، لكن هذا أدعى أن يتوقع معركة حامية الوطيس.

في تمام الحادية عشرة والنصف مساء كان يدخل شقته برفق. بالفعل البيت مظلم كما تمنى. ذهب ليلقي نظرة على ابنه فوجده نائمًا. وقف على عتبة الباب ونظر على يمينه فوجد لوحة قام "حسن" بتلوينها قبل أن يعلقها في ركن غرفته. لوحة كبيرة مكتوب عليها (هدية حيدة) ليس فيها إلا سهم يشير إلى الركن الفارغ. هز رأسه وابتسم ثم دخل ليقبّل ابنه وخرج لينهي إجراءات النوم.

ما إن فعل حتى انسلّ في الفراش بجانب زوجته. ألقى عليها نظرة سريعة ليتأكد أنه لم يوقظها لكن في قرارة نفسه يتمنى هذا. يتمنى أن تستيقظ وتملأ البيت صياحًا بدلًا من هذا العراك الصامت.

أنّبه ضميره على تجاهل مكالمات "ليلى" طيلة اليوم ربما كانت تحاول مصالحته

(ماذا حدث لنا؟ لقد كنّا مثالًا يُحتذى به ربما لهذا السبب ربما حسدنا شخص ما "إيهاب" و"سلمى"؟ لا لا ما هذا البلَه؟ إني مشغول عن زوجتي ليس إلّا، انشغلت عنها بـ"سميّة" و"زين" والورث والعمولة).

ظل على هذه الوتيرة لوهلةٍ لا يعرف مقدارها، يفكر فيما أطاح بهدوء

maktabbah.blogspot.com

حياته الأيام المنصرمة ثم مد يده لمحموله ليعرف الساعة.

إنها الخامسة صباحًا.

لقد امتنع النوم عن زيارته فظل راقدًا لما يزيد على الساعات الأربع. إن ما رآه على "ليلى" قد تخطى محاولة "زين" اقتحام شقته. إن سلوكها يتغيّر بطريقة غريبة. ما الذي يمكن أن يسبب هذا التغيير السريع؟ بالتأكيد ليس بسبب وجود حسن حولهما فالتغيير يأتي أسرع من يكون تأثير ابنهما.

هل تتصنّع "ليلى" الرقّة والوُدّ أمام حسن لسبب ما؟

حتى إن كان هذا هو السبب لكنه لا يفسر عدم سماع "حسن" لما يدور بينهما خارج الغرفة؟

مدّ يده للمحمول مرة أخرى. لقد أوشك الفجر أن يؤذن والنوم لا يأتي.

تُرى، ماذا كان غرض زين من محاولته لاقتحام شقته؟ ما ذلك الشيء الذي كان يريد إصلاحه كما قال لابن البوّاب قبل مقتله؟

والسؤال الأهم على الإطلاق: مَن الذي قتله؟

ما هذا الإزعاج؟

قام من نومته كي ينظر عبر الشيش التجمّع الضخم ذاته للكلاب الضالّة أمام العمارة ونُباحها بأعلى ما يمكن أن يكون فجأةً تتراجع كما لو كان شيءٌ أو شخصٌ ما هددها وأخافها ثم تعود لتهجم بغضب ناحية عمارته على ذلك الشيء الذي يناوشها ولا يراه "يوسف".

خناقة كلاب؟ ممكن.

كان هذا تحليل "يوسف" الذي أحكم غلق الزجاج حتى يمنع الضوضاء من الدخول ثم ذهب إلى فراشه.

الذي يناوشها ولا يراه "يوسف".

maktabbah.blogspot.com

خناقة كلاب؟ ممكن.

كان هذا تحليل "يوسف" الذي أحكم غلق الزجاج حتى يمنع الضوضاء من الدخول ثم ذهب إلى فراشه.

بعد أقل من دقيقة..

ما هذا الهدوء؟

رفع رأسه عن الوسادة ليسمع بكلتا أذنيه. لقد توقفت الكلاب. ليس هذا فقط فالهدوء ليس طبيعيًا. يشعر كأن هناك مَنْ ضغط على زرّ الصمت التام للكون كله. بالكاد يسمع صوت نفسه. يا له من شعور خانق. يا له...

انتفض فزعًا عندما دق جرس الإنتركوم. ثم عادت الأصوات طبيعية فهبّ من نومته ليهرول إلى باب الشقة حيث سماعة الإنتركوم. رفعها وسأل:

- مين؟

جاءه صوت "عودة" البواب:

- يا باشمهندس "يوسف" عايز أقفل الباب.

- باب إيه يا "عودة"؟ إنت خضتنا.

- آسف يا باشمهندس بس عايز أقفل باب العمارة.

- متقفله يا بني آدم، أنا مالي؟

- طب البت الشغّالة هتبات الليلة دي كمان ولا إيه؟

رجفة باردة رجّت أوصال "يوسف" وهو يستمع إلى ما يقوله "عودة".

- شغّالة مين؟ "إعتماد"؟ دي نزلت من بدري زَيّ كل يوم.

- بدري إيه يا بيه وكل يوم إيه؟ البت الشغالة مخرجتش من العمارة من يوم الخميس.

maktabbah.blogspot.com

لم يستطع "يوسف" أن يرد على الفور بل التفت ليجول في الشقة بعينيه. ثم انتبه لنداء "عودة":

- "يوسف" بيه؟

- أي.. أيوه يا "عودة". معاك. إنت متأكد من اللي إنت بتقوله ده؟

- طبعًا يا بيه أومال أنا نايم على ودني أنا والجرما اللي أنا مخلفه ده البت الشغالة لغاية الفجر يوم الحفلة مكانتش نزلت سهرتنا للصبح والله يا بيه وكنت هقول لحضرتك على ده، بس لما لقيتها تاني يوم عند مدام "سلمى" و"إيهاب" بيه قلت يمكن عدت عليا أول ليلة وما شفتهاش وهي خارجة. قمت ركزت في الموضوع ده النهارده ولقيتها بتنضف البلكونة عندكوا قلت أكيد بتبات عند حد فيكم؛ لأني لا أنا ولا حد من عيالي شافوها وهي داخلة النهارده. ده أنا لسه شايفها من ربع ساعة في بلكونة "حسن" بيه.

رمى "يوسف" السماعة وجرى على غرفة "حسن".

في طريقه لمح "ليلى" جالسة من دون حراك على طرف الفراش وهي محدقة في الأرض تجاهل الأمر، إن كل أجراس الخطر تدق في رأسه فتح باب غرفة حسن على مصراعيه ونظر إلى فراشه فوجده نائمًا في سُباتٍ عميق تنفس الصُعداء وجال ببصره في الغرفة معتمدًا على ضوء الشارع الذي ينسلّ من بين فتحات الشيش.

كله تمام. وقعت عيناه على الشباك الذي يفتح على شرفة البيت الرئيسة وتذكّر ما قاله "عوده".

تقدم تجاهه حتى تمكّن من رؤية الشرفة. لا يوجد أحد.

الله يخربيتك يا "عودة".

سرح ببصره في شوارع القاهرة ونيلها وقد بدأت السماء تنذر بهطول الأمطار. سُحب رماديّة تتجمع فوق العاصمة و... برق بعيد خطف نظره. يا

maktabbah.blogspot.com

لجما...

ما هذا الصوت؟

صوت خلخال... هناك من يمشي ببطء في الشقة مرتديًا خُلخالًا. إنه يعرف هذا الصوت ويعرف الشخص الوحيد الذي رآه يرتدي خلخالًا.
الصوت متقطع ويوحي أن الخلخال في قدم واحدة مما يؤكد نظريته: إنها "إعتماد".
maktabbah.blogspot.com
التفت ليخرج من الغرفة لكنه سمع الخلخال يقترب، على وشك الظهور عند باب الغرفة. انبطح أرضًا واختبأ بجانب فراش "حسن".

توقف الصوت أمام الغرفة مباشرة.

لحظة سكون.

صوت مختلف تناهى إلى مسمعه. صوت أقرب لاحتكاك أداة حادّة بسطح خشبي يصدر من عند عتبة الباب بالضبط. مكان... مكان الخدوش السوداء.

خشخشخشخش.

maktabbah.blogspot.com
بدأت الصورة تتكون في ذهن "يوسف"؛ أيًا كان مَن يسبب تلك الخدوش السوداء، إنه يفعل هذا الآن.

هي "إعتماد" اللي كانت بتعمل الخربشة دي ولا في حد تاني لابس خلخال؟

هل يمد عنقه ليرى من يفعل هذا؟

تشجّع يا "يوسف"...

خشخشخشخش.

ببطءٍ وحذرٍ شديدين، تحرك على أطرافه الأربعة إلى آخر الفراش. ها هو

maktabbah.blogspot.com

طرف إفريز الباب يظهر له خطوة أخرى ويرى هذا الشخص... أو الشيء الذي...

- "يوسف" باشا!

صوت "عودة" البواب في الإنتركوم كاد يتسبب له في سكتة قلبية. تراجع خطوة كي يقيّم الموقف من جديد.

توقفت الخربشة. صوت الخلخال يدل على أن من يرتديه قد انتفض ثم سمع صوته المميز يتحرك مبتعدًا عن غرفة حسن.

ليلى...

تذكّر "يوسف" مشهد "ليلى" وهي جالسة على الفراش فاستجمع شجاعته ونهض ليترك الغرفة، علّه يلمح طرف هذا الضيف غير المرغوب فيه.

إيه حكاية الضيوف غير المرغوب فيهم اليومين دُول؟

"سمية" وبعدين زين وبعدين... مش عارف إيه اللي معانا دلوقتي في البيت بصراحة.

maktabbah.blogspot.com

وصل إلى غرفته فلم يجد "ليلى". سمع في المطبخ صوت تقليب ملعقة في كوب زجاجي. اتجه للمطبخ فوجده مظلمًا.

صوت همس.

مد يده لزر الإضاءة وقلبه يكاد يتوقف وقال:

- "ليلى".

كالتمثال وقف عند باب المطبخ ينظر لزوجته. وجدها تمسك بكوب زجاجي ووجهها ملاصق للدولاب، على بُعد ما يقلّ عن خمسة سنتيمترات منه. لهوله رآها تحرّك فكّها وفمها مغلق كأنها تقيم حوارًا ما مع الدولاب.

maktabbah.blogspot.com

صاح للمرة الثانية:

- "ليلى"!!!

توقفت عما تفعله والتفتت إليه ببطء. مُقطّبة حاجبيها ومحدّقة فيه بتركيز شديد كأنها قد استيقظت لتوّها ولا تتعرف إليه.

هذا التعبير مخيف حقًا.

نظر إلى الكوب فوجده فارغًا تمامًا ونظيفًا كأنه لم يكن فيه شيء في الأساس.

ماذا كانت تشرب إذًا؟

حوّلت نظرها للممر خلف زوجها.

شيءٌ ما عبر خلفه.

جفل واستدار لينظر خلفه فلم يرَ شيئًا، فقط وجد باب الشقة مفتوحًا. ذهب إليه مسرعًا وجال ببصره في السلم المظلم. هل دخل شيء أم خرج؟

بطرف عينه لمح شيئًا في غرفة "حسن". نظر هناك فوجد ظِلًا ضخمًا يقف في الغرفة. انطلق باتجاهها والأدرينالين يكاد يفجّر عروقه. تضاءل الظل كأنه يتراجع في ركن الغرفة حتى اختفى تمامًا عند دخول "يوسف".

لأ ده كده كتير.

*****

(4)

جلس "إيهاب" أمام التلفاز في الصالة التي تقع على يسار باب شقته كان حاله لا يختلف كثيرًا عن حال صديقه "يوسف" في الطابق الأعلى فلم يَزُره النوم هو الآخر لكنه تعامل مع هذا بطريقة مختلفة فهو لم يحاول أن ينام من أساسه.

maktabbah.blogspot.com

اهتمامه لم يكن على المعروض على الشاشة لكن بما سمعه ورآه اليوم.

ما هذا الظلّ الذي رآه في الزنزانة 6 والتقطته كاميرات المراقبة؟

هل هناك بالفعل شيء ما مع السجناء الثلاثة:

"عوض" و"إسماعيل" و"صبحي"؟

هم ما زالوا على صمتهم كالتماثيل لأكثر من أربعة أيام. هل بإمكانه فك طلاسم هذا اللغز أم ستقضي مجازفته بالاحتفاظ بهم على مستقبله؟

ما الذي يفعلونه بالضبط حين لا يراهم أحد؟ ما هذه الحركات المخيفة التي يقومون بها كأنهم في مواقف خيالية مع أشخاص غير حقيقيين؟

أخذ يراجع الاستجواب الذي أداره مع "شبانة" راكب الميكروباص وراجع تفاصيل المواجهة الرهيبة مع هذا الشيء الذي خرج من أرض القطّان... ذلك الذي رآه كل راكب بصورة مختلفة.

إيه الضيف اللي قال عليه "شبانة" ده؟ إيه اللي جه مع "عوض" و"إسماعيل" و"صبحي" من بَرّ الضيف؟

التفت إلى غرفة نومه التي تقع أمام باب الشقةلكن لليمين قليلًا. من موقعه على الأريكة يستطيع أن يرى "سلمى" وهي تجلس صامتة على طرف فراشها.

اعتصرت يد باردة قلبه وهو يراها تستلقي ببطء وتضع رأسها على الوسادة ثم مدت يدها لتطفئ المصباح إلى يسار الفراش.

إيه اللي جه من بلدك يا "سلمى"؟ إيه علاقتك باللي بيحصل في القسم عندي؟

تنهّد ونظر خارج النافذة وقد حالت الأمطار الغزيرة دون نزول الناس للشارع. امتدت يده لجهاز التحكم وأغلق التلفاز ليقبع في الظلام.

لا يدري متى تمكّن منه النوم، لكنه استيقظ على صوتٍ هامسٍ يقول:

maktabbah.blogspot.com

- بابا.

ركز "إيهاب" للحظةٍ كي يحدد إن كان مستيقظًا أم أن هذا الصوت في حُلمه. نظر إلى يمينه فوجد باب الشقة مفتوحًا.

- "بابا".

لا... أنا مش بحلم. ده صوت هنا... في الشقة.

إنه صوت أخنف بعض الشيء لطفل صغير لكنه يطيل في حرف الألف بطريقةٍ دراميّة وآليّة مريبة.

اعتدل "إيهاب" في جلسته وكان أول رد فعل له أن يبحث عن سلاحه لكنه لا يتذكر أين وضعه.

- "بابا".

التفت إلى مصدر الصوت: إنه يأتي من الممر الصغير المظلم. هناك رأى شيئًا في الظلام، شيئًا قصيرًا أو... شخصًا قصيرًا يقف في منتصف الردهة.

- "بابا".

في أقل من ثانية هرب النوم من عين "إيهاب" بعد أن تأكد أن مصدر هذا النداء هو هذا الظل القصير.

الظل الذي تحرك ناحيته.

حاول "إيهاب" ألا يتسبب في إيقاظ زوجته لكنه في الوقت نفسه أراد أن يكون حازمًا وهو يقول:

- مين هنا؟

- "بابا".

قالها الشيء مرة أخرى ومرة أخرى مط حرف الألف بنفس الطريقة ثم

مكتبة بيت الحكايات
maktabbah.blogspot.com

تحرك خطوةً ناحيته؛ فانتفض جسده العضلي المكتنز وهبّ واقفًا ليكرر سؤاله:

- مين هنا؟!

بدأت ملامح أوّلية لهذا الشيء تظهر. تمكن "إيهاب" من تحديد رأس كبير بعض الشيء على جسد صغير ثم لمح مسدسه على الطاولة الصغيرة بجانب غرفة النوم الرئيسة... خلف هذا الكيان الأدكن. تحرك "إيهاب" في اتجاه سلاحه دون أن يترك الظل الكابوسي يغيب عن نظره لحظةً واحدة وقال:

- إنت دخلت إزّاي؟ مش من مصلحتك إنك متردّش. أنا مقدم في الداخلية.

- "بابا".

- بابا مين يا بن الكلب؟!!

هتف بها "إيهاب" وظن أنها ستسبب في إيقاظ "سلمى" لكنه لم يسمع لها حركة في غرفتها. نظر إلى مسدسه فتبين له أنه سيتوجّب عليه أن يعبُر الجزء المظلم الذي يقف فيه هذا الشيء ليصل إليه.

ببطء حَذِر تقدم "إيهاب" للممر المظلم جاعلًا مسافةً آمنةً بينه وبين هذا الشيء.

تنبّه للمرة الأولى أن كلاب الشارع تعوي بهستيريا.

إن الكلاب تعوي بهذه الطريقة عند نشاط هذه الظواهر في العمارة أو حولها. هل تشعر الكلاب بما يحدث هنا؟ هل تشعر بهذا الضيف غير المدعُوّ؟

يدور ببطء حول الظل القصير الذي يستطيع أن يميزه بصعوبة شديدة عن البقعة المظلمة التي يقف فيها. إنه أشبه بظل طفل وهو يدور معه بالتأكيد، ينظر إليه، يراقبه ،لكنه لم يعُد يتكلم

maktabbah.blogspot.com

لاحظ "إيهاب" هذا فتوقف متوجسًا. هل ينوي من يقف أمامه فعل شيءٍ ما؟ لا مفرَّ أمامه من عبور المسافة المظلمة إن كان يريد الوصول لسلاحه لكنه لو فعل ذلك سيصبح هو وهذا الشيء على بعد أقل من متر من بعضهما. نظر إلى ظِلّ الطفل فوجده واقفًا دون حراكٍ فصاح به مُلوِّحًا بيديه كأنه يهُش حيوانًا ما:

- امشي!!

لكنه فعل العكس... اقترب.

تراجع "إيهاب" خطوةً فاصطدم بكرسي السفرة. الكلاب اللعينة تزيد من توتره بنُباحها.

لا مفرَ.

سوف يخترق الظلام بجانب هذا القَزَم الظِّلّي كي يصل لسلاحه. اتخذ القرار وانطلق.

لا يدري ما الذي عرقل قدمه فالطفل ما زال بعيدًا عنه لكنه تعثَّر وسقط في المسافة التي لا يصل إليها النور. بسرعة التوى كي يجعل ظهره على الأرض ويتمكن من رؤية الظل.

إنه أمامه مباشرةً. يستطيع الآن أن يميزه بسبب الحائط خلفه الذي يسقط عليه ضوء الشارع الكئيب.

- "بابا".

شعر "إيهاب" بأن طفل الظِّل هذا يمد يده في اتجاهه فضرب في الهواء بذراعه علّه يصطدم بيد هذا الشيء قبل أن تصل إليه.

قبل تلك اللحظة كان هناك احتمال، أو رغبة دفينة، عند "إيهاب" أن يكون كل هذا من نسج خياله. لكن عندما شعرت يده بشيء بالفعل تيقَّن أن ما يراه حقيقي. شيء ليس صلبًا ولا حتى رخوًا، شيء كالهواء الساخن عندما تعبُر بيدك فوق النيران لكنه أكثر كثافة منه. إنه يشعر به يقترب منه. شعر

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

لاحظ "إيهاب" هذا فتوقف متوجسًا. هل ينوي من يقف أمامه فعل شيءٍ ما؟ لا مفرَّ أمامه من عبور المسافة المظلمة إن كان يريد الوصول لسلاحه لكنه لو فعل ذلك سيصبح هو وهذا الشيء على بعد أقل من متر من بعضهما. نظر إلى ظِلّ الطفل فوجده واقفًا دون حراكٍ فصاح به مُلوِّحًا بيديه كأنه يهُش حيوانًا ما:

- امشي!!

لكنه فعل العكس... اقترب.

تراجع "إيهاب" خطوةً فاصطدم بكرسي السفرة. الكلاب اللعينة تزيد من توتره بنُباحها.

لا مفرَ.

سوف يخترق الظلام بجانب هذا القَزَم الظِّلّي كي يصل لسلاحه. اتخذ القرار وانطلق.

لا يدري ما الذي عرقل قدمه فالطفل ما زال بعيدًا عنه لكنه تعثَّر وسقط في المسافة التي لا يصل إليها النور. بسرعة التوى كي يجعل ظهره على الأرض ويتمكن من رؤية الظل.

إنه أمامه مباشرةً. يستطيع الآن أن يميزه بسبب الحائط خلفه الذي يسقط عليه ضوء الشارع الكئيب.

- "بابا".

شعر "إيهاب" بأن طفل الظِّل هذا يمد يده في اتجاهه فضرب في الهواء بذراعه علّه يصطدم بيد هذا الشيء قبل أن تصل إليه.

قبل تلك اللحظة كان هناك احتمال، أو رغبة دفينة، عند "إيهاب" أن يكون كل هذا من نسج خياله. لكن عندما شعرت يده بشيء بالفعل تيقَّن أن ما يراه حقيقي. شيء ليس صلبًا ولا حتى رخوًا، شيء كالهواء الساخن عندما تعبُر بيدك فوق النيران لكنه أكثر كثافة منه. إنه يشعر به يقترب منه. شعر

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

رأسه وذراعه يتحركان كأنه يتعرض لمجال مغناطيسي.

هذا الشيء يكاد يلمسه.

ثم ظهر الوجه في ضوء الشارع.

يا لها من ابتسامة مخيفة!

"إيهاب".

***

التفت "إيهاب" إلى باب الشقة ليجد "يوسف" هناك. على وجهه علامة استفهام كبيرة.

- بتعمل إيه؟

نظر "إيهاب" مرة أخرى للظل فوجد القزم قد اختفى. هبّ واقفًا وأغمض عينيه محاولًا التحكم في أعصابه.

- ادخل يا "يوسف" واقفل الباب.

دخل "يوسف" وقال:

- مش عايز أسيب شقتي لوحدها. الباب كان مفتوح وحاسس إن فيه حاجة كانت في البيت.

- فيه حاجة في العمارة كلها يا "يوسف".

خطف "يوسف" نظرة لسلم العمارة ثم قال بتوجس:

- يعني أنا متجننتش لسه؟

لم يبتسم "إيهاب" لكنه رد بتفهُّم وجلس على كرسي ليلتقط أنفاسه:

- لأ متجننتش.

نظر "يوسف" حول المدخل المظلم الذي يقفان فيه.

maktabbah.blogspot.com

- كان فيه حاجة عندك إنت كمان دلوقتي؟

هزّ "إيهاب" رأسه بالإيجاب.

تناهى إلى سمعهم صوت أذان الفجر.

قال "يوسف":

- أنا قلقان يا "إيهاب". لأول مرة أحس بالخوف ده. خايف على "ليلى" و"حسن". خايف عليك وعلى "سلمى". خايف على شغلي وحياتي كلها. والكارثة إني مش قادر أشوف ولا أحدّد إيه اللي أنا خايف منه. ده ابن عمي حاول يقتحم شقتي يا "إيهاب". وفي نفس الليلة اتقتل في العمارة عندنا. غير اللي بيحصل بالليل. فيه إيه؟ عايز أفهم فيه إيه؟

"إيهاب":

- حقك تخاف. أنا ابتديت أحِس إن "زين" كان عايز يحذرك من حاجة. بُصّ، الفجر أذّن. بكره بالليل نتقابل أنا وأنت ونجمّع الخيوط مع بعض. بس كلمني. ما تنسانيش زي النهارده.

وافترقا على ميعاد.

*****

(5)

في صباح اليوم التالي دخل "يوسف" مقرّ عمله واتجه مباشرةً لمكتبه دون أن يُحيّي أحدًا أو يرد تحية أحد لم يكن في ملابس العمل المعتادة بل كان يرتدي بنطلون چينز وقميصًا أسفل چاكت قديم؛ مما كان سبب استغراب زملائه حتى ذقنه، تركها لتنبت علي وجهه الثلث المرهق بينما لم يزر شعره القصير الفرشاة هذا الصباح.

لم يكن هناك الكثير من الموظفين في هذا الوقت المبكر لكن صديقه "عادل"، الذى كان موجودًا على غير العادة، نادى عليه من مكتبه لكن لم

maktabbah.blogspot.com

يُعزه "يوسف" اهتمامًا. أغلق عليه بابه ونظر إلى رسالة على محموله تتضمَّن صورة ضوئية لشيك مَصرفي بمبلغ مليون ونصف المليون جنيه. تمتم قائلًا:

- يا بنت الـ...

ثم أخرج ملف قضية "سمية" وهمَّ بمراجعته لكنه قرر إجراء مكالمة سريعة لزوجته. أمسك المحمول واتصل بها.

- صباح الخير يا "ليلى". معلش نزلت من غير ما صحّيكي.

- ماكنتش بترد عليّا ليه إمبارح؟ أنا حصلّي موقف مش عارفة أفسره.. موقف كنت هاموت فيه.

- إيه؟... إيه اللي حصل؟

روت له "ليلى" موقف السوبر ماركت بكل تفاصيله واستمع بكل تركيز حتى أنهت كلامها قائلة:

- في حاجة بتحصلنا يا "يوسف". أنا مش عارفه مين البنت دي ولا هي عرفت التفاصيل دي إزَّاي. مش متصورة لو كانت مسكتني كانت عملت فيّا إيه.

صمت "يوسف" وهو يتذكّر ما حدث الليلة السابقة ثم قال:

- بُصّي. أنا هخُلص بدري وأجيلك. ممكن نسيب البيت كام يوم ونطلع العين السخنة ولا أي حتة مع بعض لغاية ما نشوف هنعمل إيه.

* * *

بعد عددٍ من الساعات لم يَذرِ "يوسف" عددها دقَّ هاتف المكتب فرفع السمّاعة قائلًا:

- أيوه؟

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

- ...

- صباح النور يا دكتور.

- ...

- أيوه أنا بقفّله أهوه.

- ...

رد يوسف بصوتٍ مهزوز:

- والله حضرتك الناس دي شكلها عندها حق.

- ...

- طبعًا زُحت عاينت الموقع. والحقيقة أوراقهم كمان سليمة. مش عارف إيه مشكلتهم.

- ...

دقّ محموله فنظر ليجد اسم "إيهاب".

- طب هاجي لحضرتك.

أنهى "يوسف" مكالمته مع "شريف" ورد على صديقه.

- خير يا "بوب"؟

- أنا مش قلتلك إمبارح تكلّمني يا بني؟ إيه عدم الاهتمام ده؟ إنت بتتهرّب مني ليه؟

- مش بتهرّب ولا حاجة. معلش الشغل سحلني. قولّي الأول، عملتوا إيه في "زين"؟

- شغل؟ كان رد "إيهاب" بتهكّم لكنه استطرد: عمومًا "زين" طلع على المشرحة والتحقيق شغال بس ما أعتقدش إن نظرية القبطان أنور سليمة. ما أعتقدش إن فيه عصابة هَمّ اللى قتلوه. كنت ناوي أسألك على تفاصيل

مكتبة بيت الحكايات
maktabbah.blogspot.com

الموضوع بتاعه بس ظهر موضوع أهم.

- موضوع إيه؟

- الست اللي بتبعتلك الهدايا دي، مش كان اسمها "سُميّة"؟

ابتلع "يوسف" ريقه وتردد قليلا قبل أن يقول:

- آه. ليه؟

صمت "إيهاب" للحظة ثم سأله:

- هي جاتلك البيت؟

- لا ماجتش. قولي عايز إيه بسرعة علشان لازم أروح لمديري.

تغيرت نبرة "إيهاب" وهو يقول:

- لأ خلاص روح لمديرك ونتكلم بالليل على القهوة.

لم يردّ "يوسف" على الفور؛ مما جعل لهجة"إيهاب" تتغير:

- يوسف. فيك إيه؟

كان "يوسف" يحدّق في الحمّام المظلم والمفتوح بابه وتذكّر موقفًا ليس ببعيد.

- "يوسف"!! هتف "إيهاب".

- أيوه أيوه معلش. كنت بتقول إيه؟ آه. ماشي نتكلم بالليل.

صمت ثقيل تبع كلام "يوسف" لكن في النهاية قال "إيهاب": "ماشي" وأنهى المكالمة.

ترك "يوسف" غرفته واتجه إلى مكتب "شريف" لا ينظر إلى أحد ولا يتفاعل مع أحد ناداه "عادل" مرةً أخرى لكنه لوّح له ودخل مكتب مديره ضرب "عادل" كفًا بكفٍ لكنه لم يجد وقتًا للتعجب من برود "يوسف" معه لأنه تنبّه إلى شيء أغرب. أمام الباب الخاص بمكتب "يوسف" وقف

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

"هارون" عامل البوفيه العجوز بشعره الأشعث كالتمثال. ينظر داخل مكتب "يوسف" بعينيه الضيقتين ويحك ذقنه غير الحليقة. مرت ثوانٍ طويلة عليه وهو بهذه الطريقة أمام الغرفة ثم من دون مقدمات دخلها

***

فوجئ "يوسف" بضيف غير متوقع عندما دخل على مديره من تسريحة ولون شعرها الكستنائي الذي تتخلله خُصلات بيضاء استنتج هويّة من يجلس معطيًا ظهره للباب عدّل دكتور "شريف" نظارته الطبية على وجهه الطفولي وقال:

- "شمية" هانم جت بنفسها علشان تطمّن عليك يا "يوسف". تعالَى اقعد.

أسقط في يد "يوسف" دون أن يعرف لذلك سببًا. شعور بالذنب يتملّكه رغم أنه لم يعطِ لـ "سمية" إجابته النهائية إنه يفكر في عرضها، وهذا يكفي وتعامله مع ملف قضيتها أصبح غير حيادي دار ببطء حول الكرسي الذي تجلس عليه وعينه مثبتة عليها تدور في رأسه الآن تفاصيل ما دار بينهما يوم السبت وبدأ يتخيل وجهها المتسخ وآثار الدماء المنتشرة في أماكن متفرقة من ملابسها. وتخيّل أرجلها الحافية.

لكنها اليوم في منتهى الأناقة.

جلس على الكرسي المواجه لها أمام مكتب شريف وقال بنبرة آليّة حَذِرة:

- أهلًا وسهلًا. أومّال فين البودي جارد؟

ردت باقتضاب:

- مِشي. مبقتش محتاجاله.

- غريبة. عمومًا إنتي كويسة دلوقتي؟

شريف:

maktabbah.blogspot.com

- إيه يا هانم؟ كنت تعبانة ولا حاجة؟

رفعت "شمية" وجهها لتنظر مباشرة في عينه وردت بطريقتها اللزجة:

- كريزة سكُر بسيطة. بس الحمد لله عدّت. أنا بقى أول ما "شريف" بيه قالّي إن عندك ظرف طارئ في البيت يا باشمهندس "يوسف" قلقت عليك. عملتوا إيه في اللي اتهجُم على بيتك؟

التفت "يوسف" إلى "شريف" وسأله:

- حضرتك قلتلها إيه؟

- كان في بينكوا ميعاد امبارح مش كده؟ واضح إنك مقلتلهاش إن عندك معاينات بَرّه. عمومًا أنا شرحتلها ظروفك. كان رد "شريف".

- مبحبش حد يعرف أسرار بيتي الصراحة.

هنا تدخلت "شمية" قائلة:

- لا سمح الله أنا مش قصدي التطفل. أنا بعتبر بيتك هو بيتي. اللي يصيبه يصيبني. إنت زي أخويا الصغير برضه.

- أخويا الصغير إيه وبتاع إيه؟ إيه يا دكتور الكلام ده؟ هو طبيعي يبقى فيه مقابلات مع الناس اللي بنحكم في القضايا بتاعتهم؟

- مش عارف. كنت أتمنى إنت اللي تفهمني.

قال "شريف" جملته الأخيرة وابتسامة غريبة ترتسم على وجهه الدائري.

فكر "يوسف" أن يهبّ واقفًا ويغادر لكنه تذكر الأصفار التي تراصّت في الشيك. هز رأسه لينفض هذه الأفكار.

تذكّر كلام "زين": عمر الطمع ما كان طبع أبوك.

إيه اللي بيحصلّي؟ ليه بقيت ضعيف كده؟ ليه مش عارف أمشي؟

ظل جالسًا ينظر إلى "شمية" بحنق وهي تبادله النظرات بابتسامةٍ لزجة.

maktabbah.blogspot.com

عدل "شريف" نظارته الطبية ورجع بظهره ليسنده على الكرسي الذي كاد يبتلعه وهو يقول:

- خلاص خلاص. هي بتحاول تبقى زوق. عمومًا إحنا هنتناقش دلوقت في وضع القضية. معايا هنا تقرير المساحة والحي حنراجعهم سوا بما يُرضي الله.

فُتِح باب المكتب ودخل "هارون" ومعه محمول "يوسف".

- بعد إذنك يا دكتور، تليفون أستاذ "يوسف" بيرن من الصبح. غالبًا البيت.

"شريف":

- شكرًا يا "هارون". خُطه على الترابيزة اللي جنب الباب واقفل الباب وراك. ومتخلّيش حد يخُش تاني.

فعل "هارون" ما أمره "شريف" ولكن "يوسف" لمحه يلقي نظرة خاطفة على "سمية" قبل أن يلتفت إليه ويقول:

- رُدّ على البيت يا "يوسف" بيه. ممكن يكون فيه مشكلة.

استدار هارون ليخرج وهمس بشيء وهو يمد يده ليغلق الباب في اللحظة نفسها أمالت "سمية" برأسها ناحيته دون أن تكمل الالتفاتة تحرك بؤبؤ عينيها ناحية هارون واحتفظ وجهها بتعبيرٍ زجاجيٍ خاوٍ

تساءل "يوسف" في قرارة نفسه: ما الذي يحدث هنا؟

ثم تذكر معلومة مهمة: لقد كان "هارون" بالمكتب في نفس توقيت زيارة "سُميّة" الكابوسية يوم السبت. ماذا رأى العامل العجوز؟

بدأ "شريف" في استعراض الملف بينما ذهب "يوسف" لأخذ محموله من خلف "سمية". نظر فيه فلم يجد أية مكالمة واردة.

غريبة. لماذا قال "هارون" إن هاتفه كان يدق؟

جلس "يوسف" في كرسيّه ممسكًا بالمحمول وتجاهل نظرات العجوز

maktabbah.blogspot.com

الشمطاء له. لا يدري لماذا تذكر "ليلى" وبدأ ضميره يؤنبه على معاملته لها. إنه ليس غاضبًا منها الآن، عجيب هذا الأمر. إنه لا يعرف سبب شجارهما ولا حتى سبب انتهاء المشاجرة.

"إعتماد"؟ مفيش غيرها. وراها مصيبة.

لقد قال البواب إنها لم تغادر العمارة منذ يوم عيد الميلاد ربما كان "إيهاب" على حق فيما قاله عن "زين" أنه لم يكن يريد به شرًا ربما أراد حمايته أو تحذيره من شيء وربما هذا الشيء هو "إعتماد"

كيف لم يرَ الحقيقة الواضحة كالشمس؟

لا بد أن يحذّر "ليلى". لا بد أن تترك البيت فورًا.

رفع عينه تجاه الحوار الدائر فوجد "سمية" تنظر إليه بعينين ثاقبتين تكادان تختفيان أسفل الرموش الصناعية العملاقة والكُحل المبالغ فيه.

- رحت فين يا "يوسف"؟ سأله "شريف".

هنا جاء ليوسف خاطر. لم يكن الحال بينه وبين ليلى ينصلح فقط عند خروجهم من المنزل.. هناك ظرف آخر.

يا إلهي... كيف لم أرَ ذلك.

- مفيش. هَبعَت رسالة للناس اللي كلموني.

زادت نظرتها حدّة. تجاهلها وتركها لـ "شريف" الذي انخرط تارةً أخرى في تفاصيل القضية.

كتب رسالة نَصيّة لليلى.

* * *

- والله يا فندم ماعندناش أي فكرة إيه ده بس هو مش سوس ولا عفن قالها فنّي مكافحة الحشرات وهو ينهض من انحناءته وقفت ليلى عند باب غرفة حسن مع الفنّي تحدق في الخدوش السوداء التي يشير إليها

maktabbah.blogspot.com

وقد امتدت لمنتصف الردهة. أومأت برأسها متفهمة ثم أوصلته للخارج شاكرةً إياه.

عادت لتنظر داخل الغرفة، حيث جلس "حسن"على الأرض أمام الطاولة القصيرة منهمكًا في الرسم.

لمحها فالتفت لها مبتسمًا وقال:

- هو النهارده كنتي خارجة من بدري يا ماما؟

دفعت بخصلات شعرها الأسود القصير خلف أذنيها وبادلته ابتسامته بأخرى منكسرة وردت عليه قائلة:

- لا يا حبيبي. مخرجتش.

- بس أنا صحيت ملقيتش حد.

- بابا هو السبب. كنت قاعدة في البلكونة بريّح أعصابي.

قالتها بغضبٍ جعله يحدّق فيها دون أن يدري كيف يرد. تنهّدت وخطت داخل الغرفة. انحنت لتجلس بجانبه وقالت:

- بس هو معذور. الشغل كتير عليه.

- بابا بيحبنا أكتر من الشغل قالها "حسن" وهو منهمك في رسومه ابتسمت حتى أشرقت غمازتاها وسرحت بنظرها في الأمطار خارج النافذة استمعت لصوت الهواء وهو يصارع كي يتزلق من حول الزجاج، حتى دق محمولها فدسّت يدها في شنطتها وأخرجته.

قرأت الرسالة ثم تجمّدت مكانها. إنها رسالة من "يوسف" تقول:

(ليلى، أنا عدّيت على السوبر ماركت ما لقيتش واحدة بالوصف بتاعك. بس أنا مصدقك.

"عايزك تخلّي بالك من إعتماد". البواب بيقول إنها في العمارة من يوم عيد ميلاد "حسن". من يوم الجمعة وهي معانا يا "ليلى". مش عارف كانت

مستخبيّة فين. واحدة بالحجم الضخم ده وفوق الستين سنة هتستخبّى فين يعني؟ عمومًا متخليهاش تدخل البيت.

إحنا لازم نسيب الشقة دي. لِمّي حاجات خفيفة وهاجي أخدك)

صوت تقليب ملعقة في كوب.

انحنت إلى اليسار قليلًا كي ترى الردهة القصيرة. الصوت يأتي من هناك.

حدثت نفسها: رسالتك متأخرة شوية يا "يوسف".

دقات قلبها بدأت ترتفع واندفع الدم في عروقهابقوة ألقت نظرةً خاطفةً على عتبة باب الغرفة وقامت لتنظر إلى إفريز الشباك، حيث يتراءى لها خدوش سوداء مشابهة لتلك التي أمام باب الغرفة ثم تذكرت شيئًا التفتت إلى "حسن" فوجدته انتقل إلى فراشه وأخذ يطالع فيلم كارتون على التابلت فسألته :

- سوكة حبيبي، مين اللي كان بينضّف الأوضة اليومين اللي فاتوا دول؟ "إعتماد"؟

- لأ. "إعتماد" مكانتش عارفة تدخل الأوضة أصلًا.

ابتلعت "ليلى" ريقها وقالت:

- إزّاي يعني؟

- كانت بتحاول من عند الباب ومبتعرفش. حاولت من الشباك كمان بس معرفتش برضه.

رسالة أخرى من "يوسف" وصلت:

(آه صحيح. حاجة تانية لازم اقولهالك. أوضة "حسن" فيها حاجة. حاسس إن الست دي عملتلنا حاجة في الشقة وأوضة "حسن" الحاجة دي مش شغالة فيها. خدتي بالك إزّاي لما بندخل فيها الدنيا بيتّا بتتعدل؟ لو حاجة حصلت اجري استخبّي فيها)

maktabbah.blogspot.com

إن "يوسف" على حق. لا بد أن يتركوا هذه الشقة.

ثم تذكرت شيئًا في الرسالة قبل الأولى فقرأتهامرة أخرى وتوقفت عند جملة: (واحدة بالحجم الضخم ده وعندها فوق الستين). رفعت رأسها وتقدمت ببطء إلى المطبخ؛ صوت حركة خافتة يأتي منه.

بهدوء مثير للأعصاب التفتت "إعتماد" إليها.

تسمَّرت "ليلى" وهي تنظر إلى وجه الفتاة العشرينية السمراء الذي يبتسم لها ثم حانت منها نظرة لقدمها.. للخلخال.

- عايزة حاجة يا ست "ليلى"؟

هنا شهقت "ليلى" وقد بدأت ترى الحقيقة.

لكن بعد فوات الأوان.

***

بعد أن أرسل الرسالة النَّصية الأخيرة وضع "يوسف" المحمول على الطاولة بينه وبين "شمية" ورفع عينيه ليراها ترمقه.

- معايا يا حجّة؟

التفتت "سمية" إلى "شريف" قائلة:

- معاك يا دكتور. إنما الباشمهندس "يوسف" هو اللي شكله مش معانا.

التفت "شريف" إلى "يوسف" قائلًا:

- "يوسف" لو سمحت ركِّز معانا شوية. إنت عارف أهمية القضية دي.

- حاضر اتفضَّل سيادتك.

عاود "شريف" الخوض في الملفات وقال:

- طيب يبقى إحنا كده ملناش حل أضمن من إننا نعرض التقارير دي على

الموضوع بتاعه بس ظهر موضوع أهم.

- موضوع إيه؟

- الست اللي بتبعتلك الهدايا دي، مش كان اسمها "سَميّة"؟

ابتلع "يوسف" ريقه وتردد قليلا قبل أن يقول:

- آه. ليه؟

صمت "إيهاب" للحظة ثم سأله:

- هي جاتلك البيت؟

- لا ماجتش. قولي عايز إيه بسرعة علشان لازم أروح لمديري.

تغيرت نبرة "إيهاب" وهو يقول:

- لأ خلاص روح لمديرك ونتكلم بالليل على القهوة.

لم يردّ "يوسف" على الفور؛ مما جعل لهجة"إيهاب" تتغير:

- يوسف. فيك إيه؟

كان "يوسف" يحدّق في الحَمّام المظلم والمفتوح بابه وتذكّر موقفًا ليس ببعيد.

- "يوسف"!! هتف "إيهاب".

- أيوه أيوه معلش. كنت بتقول إيه؟ آه. ماشي نتكلم بالليل.

صمت ثقيل تبع كلام "يوسف" لكن في النهاية قال "إيهاب": "ماشي" وأنهى المكالمة.

ترك "يوسف" غرفته واتجه إلى مكتب "شريف" لا ينظر إلى أحد ولا يتفاعل مع أحد ناداه "عادل" مرةً أخرى لكنه لوّح له ودخل مكتب مديره ضرب "عادل" كفًا بكفٍ لكنه لم يجد وقتًا للتعجب من برود "يوسف" معه لأنه تنبّه إلى شيء أغرب. أمام الباب الخاص بمكتب "يوسف" وقف

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

"هارون" عامل البوفيه العجوز بشعره الأشعث كالتمثال. ينظر داخل مكتب "يوسف" بعينيه الضيقتين ويحك ذقنه غير الحليقة. مرت ثوانٍ طويلة عليه وهو بهذه الطريقة أمام الغرفة ثم من دون مقدمات دخلها

***

فوجئ "يوسف" بضيف غير متوقع عندما دخل على مديره من تسريحة ولون شعرها الكستنائي الذي تتخلله خُصلات بيضاء استنتج هويّة من يجلس معطيًا ظهره للباب عدّل دكتور "شريف" نظارته الطبية على وجهه الطفولي وقال:

- "شمية" هانم جت بنفسها علشان تطمّن عليك يا "يوسف". تعالَى اقعد.

أسقط في يد "يوسف" دون أن يعرف لذلك سببًا. شعور بالذنب يتملّكه رغم أنه لم يعطِ لـ "سمية" إجابته النهائية إنه يفكر في عرضها، وهذا يكفي وتعامله مع ملف قضيتها أصبح غير حيادي دار ببطء حول الكرسي الذي تجلس عليه وعينه مثبتة عليها تدور في رأسه الآن تفاصيل ما دار بينهما يوم السبت وبدأ يتخيل وجهها المتسخ وآثار الدماء المنتشرة في أماكن متفرقة من ملابسها. وتخيّل أرجلها الحافية.

لكنها اليوم في منتهى الأناقة.

جلس على الكرسي المواجه لها أمام مكتب شريف وقال بنبرة آليّة حَذِرة:

- أهلًا وسهلًا. أومّال فين البودي جارد؟

ردت باقتضاب:

- مِشي. مبقتش محتاجاله.

- غريبة. عمومًا إنتي كويسة دلوقتي؟

شريف:

مكتبة بيت الحريات
maktabbah.blogspot.com

- إيه يا هانم؟ كنت تعبانة ولا حاجة؟

رفعت "سمية" وجهها لتنظر مباشرة في عينه وردت بطريقتها اللزجة:

- كريزة سكُر بسيطة. بس الحمد لله عدّت. أنا بقى أول ما "شريف" بيه قالّي إن عندك ظرف طارئ في البيت يا باشمهندس "يوسف" قلقت عليك. عملتوا إيه في اللي اتهجُم على بيتك؟

التفت "يوسف" إلى "شريف" وسأله:

- حضرتك قلتلها إيه؟

- كان في بينكوا ميعاد امبارح مش كده؟ واضح إنك مقلتلهاش إن عندك معاينات بَرّه. عمومًا أنا شرحتلها ظروفك. كان رد "شريف".

- مبحبش حد يعرف أسرار بيتي الصراحة.

هنا تدخلت "سمية" قائلة:

- لا سمح الله أنا مش قصدي التطفل. أنا بَعتبِر بيتك هو بيتي. اللي يصيبه يصيبني. إنت زيّ أخويا الصغير برضه.

- أخويا الصغير إيه وبتاع إيه؟ إيه يا دكتور الكلام ده؟ هو طبيعي يبقى فيه مقابلات مع الناس اللي بنحكم في القضايا بتاعتهم؟

- مش عارف. كنت أتمنى إنت اللي تفهمني.

قال "شريف" جملته الأخيرة وابتسامة غريبة ترتسم على وجهه الدائري.

فكر "يوسف" أن يهبّ واقفًا ويغادر لكنه تذكر الأصفار التي تراصّت في الشيك. هز رأسه لينفض هذه الأفكار.

تذكّر كلام "زين": عمر الطمع ما كان طبع أبوك.

إيه اللي بيحصلّي؟ ليه بقيت ضعيف كده؟ ليه مش عارف أمشي؟

ظل جالسًا ينظر إلى "سمية" بحنق وهي تبادله النظرات بابتسامةٍ لزجة.

maktabbah.blogspot.com

عدل "شريف" نظارته الطبية ورجع بظهره ليسنده على الكرسي الذي كاد يبتلعه وهو يقول:

- خلاص خلاص. هي بتحاول تبقى زوق. عمومًا إحنا هنتناقش دلوقت في وضع القضية. معايا هنا تقرير المساحة والحي حنراجعهم سوا بما يُرضي الله.

فُتِح باب المكتب ودخل "هارون" ومعه محمول "يوسف".

- بعد إذنك يا دكتور، تليفون أستاذ "يوسف" بيرن من الصبح. غالبًا البيت.

"شريف":

- شكرًا يا "هارون". خُطه على الترابيزة اللي جنب الباب واقفل الباب وراك. ومتخلّيش حد يخُش تاني.

فعل "هارون" ما أمره "شريف" ولكن "يوسف" لمحه يلقي نظرة خاطفة على "سمية" قبل أن يلتفت إليه ويقول:

- رُدّ على البيت يا "يوسف" بيه. ممكن يكون فيه مشكلة.

استدار هارون ليخرج وهمس بشيء وهو يمد يده ليغلق الباب في اللحظة نفسها أمالت "سمية" برأسها ناحيته دون أن تكمل الالتفاتة تحرك بؤبؤ عينيها ناحية هارون واحتفظ وجهها بتعبيرٍ زجاجيٍ خاوٍ

تساءل "يوسف" في قرارة نفسه: ما الذي يحدث هنا؟

ثم تذكر معلومة مهمة: لقد كان "هارون" بالمكتب في نفس توقيت زيارة "سُميّة" الكابوسية يوم السبت. ماذا رأى العامل العجوز؟

بدأ "شريف" في استعراض الملف بينما ذهب "يوسف" لأخذ محموله من خلف "سمية". نظر فيه فلم يجد أية مكالمة واردة.

غريبة. لماذا قال "هارون" إن هاتفه كان يدق؟

جلس "يوسف" في كرسيّه ممسكًا بالمحمول وتجاهل نظرات العجوز

maktabbah.blogspot.com

الشمطاء له. لا يدري لماذا تذكر "ليلى" وبدأ ضميره يؤنبه على معاملته لها. إنه ليس غاضبًا منها الآن، عجيب هذا الأمر. إنه لا يعرف سبب شجارهما ولا حتى سبب انتهاء المشاجرة.

"إعتماد"؟ مفيش غيرها. وراها مصيبة.

لقد قال البواب إنها لم تغادر العمارة منذ يوم عيد الميلاد ربما كان "إيهاب" على حق فيما قاله عن "زين" أنه لم يكن يريد به شرًا ربما أراد حمايته أو تحذيره من شيء وربما هذا الشيء هو "إعتماد"

كيف لم يرَ الحقيقة الواضحة كالشمس؟

لا بد أن يحذّر "ليلى". لا بد أن تترك البيت فورًا.

رفع عينه تجاه الحوار الدائر فوجد "سمية" تنظر إليه بعينين ثاقبتين تكادان تختفيان أسفل الرموش الصناعية العملاقة والكُحل المبالغ فيه.

- رحت فين يا "يوسف"؟ سأله "شريف".

هنا جاء ليوسف خاطر. لم يكن الحال بينه وبين ليلى ينصلح فقط عند خروجهم من المنزل.. هناك ظرف آخر.

يا إلهي... كيف لم أرَ ذلك.

- مفيش. هَبعَت رسالة للناس اللي كلموني.

زادت نظرتها حدّة. تجاهلها وتركها لـ "شريف" الذي انخرط تارةً أخرى في تفاصيل القضية.

كتب رسالة نَصيّة لليلى.

* * *

- والله يا فندم ماعندناش أي فكرة إيه ده بس هو مش سوس ولا عفن قالها فنّي مكافحة الحشرات وهو ينهض من انحناءته وقفت ليلى عند باب غرفة حسن مع الفنّي تحدق في الخدوش السوداء التي يشير إليها

maktabbah.blogspot.com

وقد امتدت لمنتصف الردهة. أومأت برأسها متفهمة ثم أوصلته للخارج شاكرةً إياه.

عادت لتنظر داخل الغرفة، حيث جلس "حسن"على الأرض أمام الطاولة القصيرة منهمكًا في الرسم.

لمحها فالتفت لها مبتسمًا وقال:

- هو النهارده كنتي خارجة من بدري يا ماما؟

دفعت بخصلات شعرها الأسود القصير خلف أذنيها وبادلته ابتسامته بأخرى منكسرة وردت عليه قائلة:

- لا يا حبيبي. مخرجتش.

- بس أنا صحيت ملقيتش حد.

- بابا هو السبب. كنت قاعدة في البلكونة بريّح أعصابي.

قالتها بغضبٍ جعله يحدّق فيها دون أن يدري كيف يرد. تنهّدت وخطت داخل الغرفة. انحنت لتجلس بجانبه وقالت:

- بس هو معذور. الشغل كتير عليه.

- بابا بيحبنا أكتر من الشغل قالها "حسن" وهو منهمك في رسومه ابتسمت حتى أشرقت غمازتاها وسرحت بنظرها في الأمطار خارج النافذة استمعت لصوت الهواء وهو يصارع كي يتزلق من حول الزجاج، حتى دق محمولها فدسّت يدها في شنطتها وأخرجته.

قرأت الرسالة ثم تجمّدت مكانها. إنها رسالة من "يوسف" تقول:

(ليلى، أنا عدّيت على السوبر ماركت ما لقيتش واحدة بالوصف بتاعك. بس أنا مصدقك.

"عايزك تخلّي بالك من إعتماد". البواب بيقول إنها في العمارة من يوم عيد ميلاد "حسن". من يوم الجمعة وهي معانا يا "ليلى". مش عارف كانت

مكتبة بنت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

مستخبيّة فين. واحدة بالحجم الضخم ده وفوق الستين سنة هتستخبّى فين يعني؟ عمومًا متخليهاش تدخل البيت.

إحنا لازم نسيب الشقة دي. لِمّي حاجات خفيفة وهاجي أخدك)

صوت تقليب ملعقة في كوب.

انحنت إلى اليسار قليلًا كي ترى الردهة القصيرة. الصوت يأتي من هناك.

حدثت نفسها: رسالتك متأخرة شوية يا "يوسف".

دقات قلبها بدأت ترتفع واندفع الدم في عروقهابقوة ألقت نظرةً خاطفةً على عتبة باب الغرفة وقامت لتنظر إلى إفريز الشباك، حيث يتراءى لها خدوش سوداء مشابهة لتلك التي أمام باب الغرفة ثم تذكرت شيئًا التفتت إلى "حسن" فوجدته انتقل إلى فراشه وأخذ يطالع فيلم كارتون على التابلت فسألته :

- سوكة حبيبي، مين اللي كان بينضّف الأوضة اليومين اللي فاتوا دول؟ "إعتماد"؟

- لأ. "إعتماد" مكانتش عارفة تدخل الأوضة أصلًا.

ابتلعت "ليلى" ريقها وقالت:

- إزّاي يعني؟

- كانت بتحاول من عند الباب ومبتعرفش. حاولت من الشباك كمان بس معرفتش برضه.

رسالة أخرى من "يوسف" وصلت:

(آه صحيح. حاجة تانية لازم اقولهالك. أوضة "حسن" فيها حاجة. حاسس إن الست دي عملتلنا حاجة في الشقة وأوضة "حسن" الحاجة دي مش شغالة فيها. خدتي بالك إزاي لما بندخل فيها الدنيا بينًا بتتعدل؟ لو حاجة حصلت اجري استخبّي فيها)

maktabbah.blogspot.com

إن "يوسف" على حق. لا بد أن يتركوا هذه الشقة.

ثم تذكرت شيئًا في الرسالة قبل الأولى فقرأتهامرة أخرى وتوقفت عند جملة: (واحدة بالحجم الضخم ده وعندها فوق الستين). رفعت رأسها وتقدمت ببطء إلى المطبخ؛ صوت حركة خافتة يأتي منه.

بهدوء مثير للأعصاب التفتت "إعتماد" إليها.

تسمَّرت "ليلى" وهي تنظر إلى وجه الفتاة العشرينية السمراء الذي يبتسم لها ثم حانت منها نظرة لقدمها.. للخلخال.

- عايزة حاجة يا ست "ليلى"؟

هنا شهقت "ليلى" وقد بدأت ترى الحقيقة.

لكن بعد فوات الأوان.

* * *

بعد أن أرسل الرسالة النَّصية الأخيرة وضع "يوسف" المحمول على الطاولة بينه وبين "شمية" ورفع عينيه ليراها ترمقه.

- معايا يا حجّة؟

التفتت "سمية" إلى "شريف" قائلة:

- معاك يا دكتور. إنما الباشمهندس "يوسف" هو اللي شكله مش معانا.

التفت "شريف" إلى "يوسف" قائلًا:

- "يوسف" لو سمحت ركِّز معانا شوية. إنت عارف أهمية القضية دي.

- حاضر اتفضَّل سيادتك.

عاود "شريف" الخوض في الملفات وقال:

- طيب يبقى إحنا كده ملناش حل أضمن من إننا نعرض التقارير دي على

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

المحكمة. تقرير اللجنة البيئية لوحده كفاية.

التفت إليه "يوسف" متعجبًا:

- اشمعني يعني؟ فيه إيه التقرير ده ممكن يخلي المحكمة تغير رأيها؟

"شريف":

- اللجنة وضحت وجود مصرف مكان البيت سنة 1977 وده معناه إن البيت اتبنى بعد كده. فين تقريرك بتاع الآثار؟ ده أهم واحد نظر "يوسف" إلى "سمية". إن تقريره ليس جاهزًا ولم يذهب لمعاينة الموقع لكنه قال:

- جاهز.

رسالة أخرى من "ليلى".

"شريف":

- ممكن تعمل موبايلك على وضع الصامت؟

- حاضر.

قالها "يوسف" والتقط المحمول وجعله على الصامت. دفعه قلقه لفتح رسالة ليلى. إنها صورة ضوئية. في الصورة "ليلى" تخرج من غرفة "حسن". الصورة مُلتقطة من الردهة الصغيرة ويبدو من زاوية التقاطها أن من التقطها فعل ذلك من وضع الرقود. جودة الصورة ليست جيدة، مهزوزة شيئًا ما.

- طيب ممكن تجيب التقرير؟ جاء سؤال "شريف" الذي انتزعه من جموده.

- حاضر.

أخذ "يوسف" محموله وخرج مسرعًا من الغرفة ليجد زميله "عادل" في انتظاره.

maktabbah.blogspot.com

- إيه يا فورمة، مصبحتش على أستاذك ليه؟

- طيب ممكن تجيب التقرير؟ جاء سؤال "شريف" الذي انتزعه من جموده.

- حاضر.

أخذ "يوسف" محموله وخرج مسرعًا من الغرفة ليجد زميله "عادل" في انتظاره.

maktabbah.blogspot.com

- إيه يا فورمة، مصبحتش على أستاذك ليه؟

لم يتجاوب "يوسف" مع الدعابة وأمسك بذراع "عادل" ومال عليه هامسًا:

- بقولّك إيه يا "عادل"، فاكر حاجة من عيد ميلاد ابني؟

- ياه ومين يفتكر؟ ده حيالله أول أول إمبارح بس إيه يابني فاكر دي؟ طبعًا فاكر.

"طب تعالَ"، قالها "يوسف" وسحبه معه إلى غرفة مكتبه وأغلق الباب وراءه.

maktabbah.blogspot.com

- اقعد.

- فيه إيه يا "يوسف"؟ "حسن" فيه حاجة؟

- لأ ركّز معايا بس. فاكر طقم الخدّامين؟

- ممم. آه. غالبًا. عادةً مبركّزش في الخدّامين. مالهم؟

- فاكر اللي اسمها "إعتماد"؟ شغالة سمينة كده وعجوزة وبتتحرك ببطء.

- لأ. أنهي واحدة دي؟

- اللي جابتلنا الشاي في البلكونة يا أخي. اللي قلت عليها فرانكنشتاين.

maktabbah.blogspot.com

- ده كان راجل يا بني.

زادت نبضات قلب "يوسف" وهو يقول:

- إيه؟ راجل إزّاي؟

- يعني إيه راجل إزّاي؟ راجل يعني راجل. بتاع خمسين سنة كده وخلقته، استغفر الله العظيم، معوجة خالص.

"يا نهار أسود"، كان تعليق "يوسف" وأمسك محموله ليتصل بـ "ليلى".

اعتدل "عادل" في جلسته واكتسب جدّية وهو يسأل:

- "يوسف" إنت ابتديت تقلق...

رفع "يوسف" إصبعه في الهواء كي يجعل "عادل" يصمت. بالفعل أطاعه زميله وظل "يوسف" يستمع إلى رنين هاتف "ليلى".

- ليلى مابترُدّش.

أنهى "يوسف" المكالمة ولكن قبل أن يضع المحمول على المكتب رأى رسالة أخرى.

- بعتتلي رسالة.

فتح الرسالة وتسمّر أمامها.

"عادل":

- مش بتقول مابتردش؟ طب الرسالة بتقول إيه؟

- دي مش رسالة مكتوبة. دي صورة.

قام "عادل" من مكانه ودار حول المكتب لينظر إلى شاشة محمول "يوسف".

- إيه المشكلة؟ "ليلى" في أوضة "حسن" مش عارف بتعمل إيه.

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

رفع "عادل" حاجبيه متعجبًا عندما استقبل محمول "يوسف" رسالة أخرى:

صورة لـ "حسن" وهو يكلم "ليلى" داخل غرفته.

ثم صورة أخرى: "ليلى" في غرفة "حسن" والأخير على الترابيزة بجوارها.

جميع الصور مهزوزة كأن محمول "ليلى" به عطب ما أو من التقطها لا يدري كيف يفعل ذلك. لكن ما هو مؤكد أن تلك الصورة الأخيرة ألتقطت من خارج نافذة الشرفة.

تنبه "عادل" لشيء ما:

- ... استنّى. هو مين أصلًا اللي بيصوّرها؟ هو فيه حد معاهم؟ اللي بيصوّر تحس أنه مستخبّي.

دخل "هارون" الغرفة وبآلية رفع أكواب الشاي الفارغة. قبل أن يغلق الباب خلفه التفت إلى "يوسف" سائلًا:

- كله تمام يا "يوسف" يا بني؟ بيتك بخير؟

ثم استدار ليغلق باب الغرفة دون انتظار إجابة.

قبل أن يستفسر "عادل" عن هذا السؤال الغريب هبّ "يوسف" واقفًا وقال:

- أنا لازم أروح البيت حالًا. بلّغ "شريف" إني مشيت.

***

وقف "عادل" على باب مكتب شريف الذي سأله ذاهلًا:

- مشي؟ مشي إزّاي؟

رد "عادل" قائلًا:

- مش عارف. بس جاله تليفون مهم ومشي بعديه بسرعه.

مكتبة بنت الحريات maktabbah.blogspot.com

قامت "سُمية" وقالت:

- طيب. أستأذن أنا بقى. عندي زيارة مهمة.

قام "شريف" بدوره مودعًا إيَّاها:

- مع السلامة ومَعلِش على اللي عمله "يوسف".

بابتسامة لزجة وزعتها بالتساوي على "شريف" و"عادل" أجابت:

- ولا يهم حضرتك. عمومًا أنا كنت عايزه أوزِّي لسيادتك حاجة كنت هوزِّيها لـ "يوسف"، بس للأسف شكله مش مركِّز معايا. هبعتهالك على الموبايل.

راقبها "عادل" وهي تغادر وعلى وجهه عشرات التساؤلات. التفت إلى "شريف" سائلًا:

- إيه الوليِّه دي؟

لم تمر ثوانٍ حتى استقبل محمول "شريف" رسالة. فأسرع بفتح الرسالة لتجحظ عيناه في ذهول..

*****

(6)

طرق الصول "سعفان" باب مكتب "إيهاب" وانتظر حتى سمح له بالدخول.

فتح الباب وقال:

- الرائد "نادر عبد الرحيم" سيادتك.

- خلِّيه يتفضل.

وقف "إيهاب" ليرحب بالضابط الوسيم متوسط الطول حليق الرأس

الواقف على بابه:

- يا أهلًا بالناس اللي عدّت ونسيتنا خلاص.

صافح "نادر" "إيهاب" بحرارة وانتظر حتى أغلق "سعفان" الباب وضحك قائلًا:

- أنا اللي عدّيت برضه؟ ده إنت اللي شكلك كده ناوي على لِوا مرة واحدة الحركة اللي جاية.

جلس "نادر" على الكرسي أمام المكتب واستطرد:

- الكلام عليك حلو اليومين دول يا "إيهاب". اللّوا "راشد" مظبّطك.

جلس "إيهاب" على كرسي مكتبه وقد فقد روح الدُعابة.

- كتّر خيره. أهي دي الحاجة الوحيدة العدلة اللي عملها الوالد: شمعته الكويسة في الداخلية.

- وهي دي قليلة؟ ده إنت كنت أصغر مقدم وشكلك هتبقى أصغر عميد زي والدك.

- يا عم مش عايز. عمومًا خلّيها تعدّي على خير الأول ونشوف ساعتها إيه اللي هيحصل.

قطّب "نادر" حاجبيه باستغراب وقال:

- هي إيه دي اللي تعدي على خير؟ المدة اللي فاضلة؟ ده فاضل أقل من تلات أسابيع على حركة الترقيات.

انحنى "إيهاب" للأمام وقال بصوتٍ منخفض:

صمت "نادر" للحظةٍ واعتدل في جلسته قائلًا بجدّية:

- ماهو أنا حاسس. أقدر أساعدك إزّاي يا "إيهاب"؟

جلس "نادر" خلف شاشة الكمبيوتر الخاص بـ "إيهاب" يستعرض

تسجيلات كاميرات المراقبة، بينما يروي له الأخير تفاصيل قضية النزلاء الثلاثة. ساعات طويلة من التسجيلات الرقمية اختزلها في سويعات قليلة، والباقية تحتوي على أكثر من يومين من التسجيلات للزنزانة 3 المظلمة والزنزانة 6 حيث انتقل النزلاء الثلاثة ليجلسوا من دون حراك.

أشار "إيهاب" للبدين الواقف أمام باب الزنزانة:

- ده أكتر واحد باينه عليه. هم بيبقوا قاعدين من غير حركة لساعات وبعدين يتحركوا فجأة ويعملوا الحركات دي. زي ما إنت شفت. الطويل وشّه للحيطة والضخم بعيد عن النور. بس أنا حاسس إنهم بيقولوا نفس الحاجة أو بيكمّلوا كلام بعض.

تنهّد "نادر" ومدّ إصبعه ليضغط زر الإرجاع كي يعيد اللقطة.

- ممكن أحاول اقرأ شفايفهم. إنما لما بتكون شفايفهم مقفولة مستحيل استنتج بيقولوا إيه أو بيعملوا كده ليه أساسًا. استنّى خلّيني أشوف. سيبني شوية.

اعتدل "إيهاب" من وقفته المنحنية على الجهاز بجوار "نادر" ودار ليجلس أمام المكتب.

- خد وقتك.

بعدما يقرب من ساعتين طرق أحدهم الباب فقال "نادر" وهو يضغط بقوة على السماعات التي يرتديها:

- لأ. قولّهم مش عايزين إزعاج.

"حاضر" كان رد "إيهاب"، وقام كي يفتح الباب ليجد "سعيد" أمامه وفِي يده أوراق.

- "سعيد"، مش عايزين حد يزعجنا لو سمحت.

- سيادتك ده من الطبيب الشرعي. تقرير دكتور "نصيف".

مدّ "إيهاب" يده بلهفة إلى الأوراق وبدأ بتصفُّحها على الفور وهو يقول:

- قال إيه؟

- مفهمتش قوي. شوية مصطلحات طبية مجعلصة. بس قريت حاجتين مهمين لبُشوا جثّتي.

"إيه؟"، سأله "إيهاب" دون أن يرفع عينيه عنالأوراق.

- سرطانات وتعفّن. التلاتة دول بيموتوا من جوّه سيادتك. إن مكانوش ماتوا فعلًا دلوقتي.

رفع "إيهاب" عينيه عن الأوراق ونظر في عين "سعيد". فتح فاه ليقول شيئًا لكن أتاه صوت "نادر" من خلفه:

- "إيهاب"، تعالَ لو سمحت.

تبادل "إيهاب" و"سعيد" النظرات لثوانٍ قليلة أخرى ثم التفت الأول وذهب إلى "نادر". بذهن شارد وضع تقرير الطبيب الشرعي على المكتب وسأله:

- عرفت تقرا حاجة؟

أشار "نادر" لشاشة الكمبيوتر:

- لسّه. قولّي، شفت إنت الحتة دي؟

نظر "إيهاب" للشاشة حيث تظهر الزنزانة 3 قبل أن تصبح معتمة. تشير إصبع "نادر" إلى بقعة أكثر سوادًا من بقية الغرفة، بقعة أقرب لظِلّ شخص.

- أيوه شُفتها. بس مقدرتش أفسّر اللي أنا شايفه.

- بُصّ يا سيدي. اقفل الباب لو سمحت. قالها لـ "سعيد".

دخل "سعيد" وأغلق الباب خلفه ودار حول المكتب لينظر للشاشة مع "إيهاب".

- بصُوا. دي... وأشار للكتلة السوداء غير الواضحة... دي حاجة في صورة بني آدم شكلها كده.

ثم قدَّم إليهم رسمًا كروكيًا. نظر "إيهاب" إليه غير مصدق. إنها على شكل قَزَم ضخم الرأس. نظر للشاشة مرة أخرى ليجد الكتلة السوداء، التي بدأ يرى فيها القزم، تتحرك ناحية الشباك وتخرج منه.

راقب "نادر" تعبير وجه "إيهاب" ثم قال بنبرة حَذِرة:

- كان فيه كتل سودة أشكالها مختلفة، شفتها بس مرسمتهاش: بنت فلاحة وراجل رفيع. كلهم بيظهروا فجأة من العدم ويطلعوا من الشباك زي ما شفت.

صمت للحظة متأملًا وجه "إيهاب" قبل أن يسأله:

- إنت شفت الحاجات دي قبل كده يا "إيهاب"؟ يعني القَزَم أو الراجل أو البِتَ الفلاحة؟

- مش عارف.

كان رد "إيهاب". لكن شعر كلٌ من "نادر" و"سعيد" أنه يخفي أمرًا.

- طب أستأذن أنا، قالها "سعيد" وخرج مسرعًا.

انتظر "نادر" حتى أغلق "سعيد" الباب خلفه ليقول لصديقه:

- إيه اللي بيحصل هنا يا "إيهاب"؟ إيه القنبلة الموقوتة اللي مخلّيها عندك دي؟

ارتمى "إيهاب" على الكرسي وقال بنبرة يائسة:

- مش عارف. مش عارف. إيه اللي أنا عملته ده؟ ينعل أبو دي ترقية. ودلوقتي الوقت فات إني أصلّح الموقف. ثم التفت إلى "نادر" قائلًا: أعمل إيه يا "نادر"؟

- اللوا "راشد" عارف الموضوع ده؟

- لأ.

- يبقى دي أول حاجة. قولّه أي عذر. الوضع ده بقاله كتير؟

- خمس أيام.

عدل "نادر" وضع النظارة على وجهه وقال:

- هممم. كتير. بس هتعمل إيه؟ لازم تتخلص من الوضع ده. مش عارف إزّاي لسه مانفجرش لغاية دلوقتي.

شرد "إيهاب" بذهنه وتذكر ما يحدث في عمارته قبل أن يغمغم:

- ومين قال إنه مانفجرش لسّه؟

- عمومًا أنا قربت أخلص قراية اللي بيقولوه. وعلى فكرة كل واحد فيهم بيقول حاجة مختلفة.

جلس "إيهاب" أمام "نادر" منتظرًا وسرح في سيناريوهات عدة.

ماذا لو ازداد الأمر سوءًا؟

ماذا لو كان هناك صور أخرى لهذا الضيف لم تظهر بعد؟

إنه يعرف الآن أن نزلاء الزنزانة 6 قد سكن في أجسادهم كائن سرطاني متعدد الأشكال لا يعرف هُويّته.

لكن من أيضًا؟ من ممن حوله قد أصبحوا وعاء لهذا الظلام؟

هل (سمية الدهشوري على سِنّ ورمح) ضحية له هي الأخرى؟

ماذا يريد هذا الكائن القاتل؟

سؤال يكاد يصرخ به: إيه اللي طلع من بَرّ الضُّيف؟

قطع تفكيرَه صوتُ "نادر": تمام.

التفت إليه ليجده ينزع السماعات ويضعها على المكتب. هاله ما رأى من الهَمّ على وجه صديقه.

- إيه؟ الموضوع كبير كده؟

- بصراحة يا "إيهاب" في العشرين سنة خدمة بتوعي مشفتش حاجة أكبر من كده و... عايزك إنت بالذات تمسك أعصابك.

كالعادة أتت هذه الجملة بعكس النتيجة المرجوّة منها. فقد تضاعف قلق "إيهاب" الذي أعطى صديقه كل تركيزه.

"بُصّ"، قالها "نادر" وأمسك بورقة ليقرأ منها ثم استطرد:

- أنا عرفت هُمّ بيقولوا إيه. السمين والطويل بيقولوا حاجة تحس إنهم بيكملوا بعض زي ما إنت قلت. إنما الضخم اللي ورا... بيقول حاجة تانية.

بدأ الفضول يتمكّن من "إيهاب" وهو يستمع إلى صديقه.

- طب اقرأ. بيقولوا إيه؟

- القصير بيقول: قَسَمً مع الأيام صار منسيًا.

يقوم الطويل يقول: ولكنّا نحن لا ننسى.

حانت من نادر نظرة إلى "إيهاب" فوجده ينصت بكل حواسه فأكمل قائلًا:

- بعد كده القصير يكمّل: قصدنا بيوتًا باتت قبورًا.

يقوم الطويل يرد: وجعلنا صراخكم همسًا.

شرد "إيهاب" ببصره بعيدًا وتدبّر فيما سمعه .

- قَسَم تاني؟

التفت إلى "نادر" فوجده عند الباب.

- إيه ده؟ رايح فين؟

التفت إليه "نادر" ببطء وقال:

- اللي قاله الأخير مكتوب على الورقة اللي على مكتبك. "إيهاب" اهرب من القصة دي قبل ما تحرقك وتحرق اللي حواليك. أنا يدوبك لمستها من بعيد واتهزّيت. اخلَص من اللي في القسم بتاعك.

تجاهله إيهاب وانقضّ على الورقة الملقاة على مكتبه. سقط قلبه في قدمه عندما قرأها ورفع عينيه إلى نادر مذهولًا. قبل أن يخرج الأخير ويغلق الباب خلفه قال ضاغطًا على جميع حروفه:

- إيهاب... الناس دي جايالك إنت.

ثم أغلق الباب تاركًا إيهاب يحدق في الاسم المكتوب على الورقة:

(يسري الدّماطي).

*****

(7)

دخل "يوسف" شقته فوجد "ليلى" جالسة أمام التلفاز فتنفّس الصُعداء وهتف بها:

- "ليلى"!!

التفتت إليه ثم عاودت النظر للمسلسل قائلة:

- إنت جيت بدري يعني؟

وضع المفتاح على الطاولة الصغيرة وذهب ليجلس بجانبها.

- ودي حاجة كويسة ولّا وحشة؟

- إنت شايفها إيه؟

للحظة جاءه شعور بالندم إنه تسلل من الاجتماع وترك "شريف" وحده مع "سميّة". عمومًا "سميّة" في حاجة إليه ومضطرة تنتظره. داعبت صورة الشيك مُخيّلته فنفضها وجال ببصره في الشقة قائلًا:

- مش كنّا كويسين مع بعض في التليفون الصبح الحالة شكلها رجعت تاني؟ عمومًا هي "إعتماد" جت النهارده؟

- حالة إيه يا "يوسف"؟ حالة إيه؟ ومالها "إعتماد"؟

قالتها "ليلى" وهبّت واقفة فأمسك "يوسف" بيدها بحزم ونظر في عينيها وكرر سؤاله:

- هي هنا؟ رُدي عليّا. "إعتماد" دي هنا؟

سحبت ذراعها من يده وصاحت غاضبة:

"لأ مجتش النهارده" وانطلقت تجاه المطبخ. أخرج "يوسف" محموله وتأمل الصور مفكرًا: أومّال مين اللي صوّرك يا "ليلى" إنت و"حسن"؟

- طيب لمّيتي حاجاتنا؟

- لأ.

- ليه؟ كان سؤاله من بين أسنانه. مش كنتي موافقة إننا نسيب البيت وانبسطّي من الفكرة؟

- نسيب البيت؟ ليه؟ علشان كلام المجانين اللي إنت بعتّهولي الصبح ده؟ لأ طبعًا مش موافقة.

ضدم من ردها وحدّث نفسه: لأ دى "ليلى" فيها حاجة متغيّرة تمامًا.

- بابا تعالى شوف رسوماتي.

هبّ "يوسف" ليذهب إلى "حسن" فوجده على أعتاب غرفته فأسرع بقول:

- خليك جوّه يا سوكة. متطلعش. أنا جايلك.

ذهب "يوسف" إلى "حسن" مارًا بالمطبخ الذي لمح فيه "ليلى" واقفةً كالتمثال مواجهة الباب. تجاهل هذا الأمر فكل ما يشعر تجاه زوجته الآن هو الحنق. ما الذي حدث وجعلها تتغير هكذا؟ إنها امرأة أخرى غير التي حادثته صباحًا.

جلس مبتسمًا بجوار ابنه الذي سأله:

- هو فيه حاجة يا بابا؟ شكلك زعلان.

أخذ "يوسف" نفسًا عميقًا وقال:

- أنا واحش مامتك زيادة بس اليومين ذول. والشغل واخدني منكوا. بس إنت ليه بتقول كده؟

- "إعتماد" اللي بتقول.

تجدد القلق عند "يوسف" وسأل ابنه:

- هي دخلتلك أوضتك؟

- لأ. بس بتقعد أوقات كده عند الباب برّه وبتقولّي كلام غريب.

- آه. بسمعها بتعمل حاجات غريبة. لما بقوم أبصّ تتعدل بسرعة وتربّع عند الباب من بره.

- وبتقول إيه؟

- بتقول إنك بقى عندك حاجات أهم منّي ومن ماما. وبتقول إن ماما مبقتش بتصدقك خلاص.

"ليلييييى!!"، نادى "يوسف" ثم عاود الحديث مع ابنه.

- يا سلام. وإنت بقى تصدق أي حد كده؟ مش إنت شايفنا أنا وماما بنحب بعض إزّاي؟

- ما هو أنا مصدقتهاش.

ثم أضاف بسعادة طفولية:

- دي اترقزت قوي يا بابا. قعدت تخربش عند الباب بتحاول تحفر وتجيلي. بعد شوية لقيتها عند الباب بتحاول تحفر وتجيلي بعد شوية لقيتها عند الشباك من برّه واقفه في البلكونة برضه حاولت تخربش وتخُش الحمام بتاع حيدة كان بيضايقها في الأول وكان بيخلّيني أحس لما بتكون هي واقفة برة في البلكونة بس هي مؤتته وبرضه معرفتش تخش.

همٌ عظيم هبط على صدر "يوسف" في هذه اللحظة. عدم الأمان الذي شعر به عند رؤية الأنوار التي تنير وتطفئ في البَرْ الثاني من النيل قد تضاعف.

هناك صلةٌ ما بين كل ما يحدث له لكنه لا يراها.

لا يمكن أن يكون كل هذا مصادفة. قضية "سمية وظهور "زين" والوِرث وما يحدث في بيته و... ثم فجأةً تنبه إلى أمرٍ ما.

- "حسن"، هو إنت طلعت من الأوضة دي آخر مرة إمتى؟

- مش فاكر يا بابا. يوم عيد ميلادي تقريبًا. من ساعة حيدة ما دخلت تدّيني هدية عيد ميلادي وقالتلي بعد عيد ميلادي ما يخلص مطلّعش من الأوضة دي إلا معاها.

ذاهلًا قال "يوسف":

- إيه؟ من ساعة عيد ميلادك؟ طب هي قالتلك هي هتروح فين؟

- آه. عند جدُو.

- أومال ماما هي اللي كانت بتأكّلك وتدخّلك الحمام اليومين اللي فاتوا دول؟

- لأ.

- أومال مين؟

رد "حسن" مشيرًا إلى ركن الغرفة الذي تشير إليه رسمته:

- الراجل ده.

*****

(8)

وقف "إيهاب" وسط القسم ثائرًا كالبركان. لا يعرف أحدٌ لثورته سببًا فهو على هذه الحالة منذ أن خرج من عنده الرائد "نادر".

لكنه يفهم الآن.

لقد كان الحل أمامه طول الوقت. منذ أن تحفّظوا على ركاب الميكروباص و"صبحي" هذا يحاول أن ينبهه. تأكد في لحظة قراءة اسم والده أن ما يحدث في بيته مرتبط بما يحدث هنا في القسم ومرتبط في نفس الوقت ببَرَ الضيف.

وهو في منتصف كل هذا.

يشعر أنه بدأ يضع يده على أول الخيط لكن الوضع الآن مرعب فهناك شيء أتى من بَرَ الضُيف وهو متأكد أنه أتى إليهم: لـ "يوسف" و"سلمى" وله أيضًا رغم أنه و"ليلى" قد أصبحا جزءًا من عائلة القطّان فإنه يربطه بهذه البلدة الملعونة شيءٌ آخر: والده.

الآن هو يرى أنه السبب في كل هذا. فهو الذي جازف وأبقى "إسماعيل" و"صبحي" و"عوض" في القسم بدلا من إرسالهم إلى مستشفى الشرطة.

لكن... هل كان الوضع سيتغير لو لم يكن أبقاهم؟

هل كان مَنْ - أو ما - يفعل هذا سيتركهم في حالهم أم كان سيصل إليهم

حتمًا؟

شعر إنه سيجنّ. لا بد أن يفهم ما يحدث. أفكار واحتمالات شتى تعصف بتفكيره.

تشجّع "وليد" وتقدم منه قائلًا:

- "إيهاب" باشا، تحب سيادتك أقولّك على بقية البلاغ؟ سيادتك كنت عايز تعرف عنوان واسم مكتب الاستشاري.

تنهّد "إيهاب" والتفت إليه: "قُول". رغم أنه كان شبه متأكد مما سيسمعه.

تنحنح "وليد" ثم قال:

- مكتب دكتور اسمه "شريف عبد الباقي".

كان هذا كما توقع "إيهاب" فلم يَبدُ على وجهه أي تعبير. "شكرًا يا وليد" والتفت ليدخل الممر المؤدي إلى الزنزانة .6

مكتب "يوسف" .

بلد "يوسف".

عمارة "يوسف".

...

أخت "يوسف"؟

لأ. متدخُلهاش في القصة دي.

لم يتعمّد فعلها لكنه صرخ وهو أمام الزنزانة:

- إنتوا حكايتكوا إيه؟!!

- حكايتهم خلصت خلاص.

...

مين اللي قال كده؟!! صرخ في قرارة نفسه.

نظر حوله... لا أحد.

نظر عن يمينه... إلى نافذة الزنزانة.

- مين اللي جوّه؟

بحذر اقترب.

نظر داخل الزنزانة ليجد النزلاء الثلاثة جالسينعلى الأريكة دون حراك. لكن... هناك شخص رابع. شخص حقيقي وليس ظلًا.

يجلس هذا الشخص، الذي يبدو من لباسه أنه شرطي برتبة صول، على ركبتيه أمامهم. بجانبه طبق فيه شيء ما لم يَستبِن "إيهاب" مُكوّناته وفِي يده نفس الشيء يضعه في فم الراكب الطويل.

من دون تفكير فتح "إيهاب" الزنزانة.

- إنت مين يا جدع إنت؟ دخلت الزنزانة إزّاي وبتعمل إيه؟

توقف الرجل عما كان يفعله ونهض واقفًا. ببطء استدار ليواجه "إيهاب" بطوله الفارِه ووجهه المستطيل.

تسارع نبض "إيهاب" وتحسس سلاحه.

- بأكّلهم سيادتك. ما هو لازم ياكلوا برضه وهم مابيأكّلوش نفسهم زي ما سيادتك عارف.

ظل "إيهاب" واضعًا يده على سلاحه وهو يقول:

- بتأكّلهم إيه؟

- دقيق وسُكّر وسمن.

- إشمعني يعني الأكلة دي؟ مش اسمها سدّ الحنك؟

- مظبوط سيادتك دي الحاجة الوحيدة اللي بياكلوها

أخفض "إيهاب" يده عن سلاحه وبدأ التوتر والشك يتلاشيان تدريجيًا

- قولّي، حالتهم زي ما هي؟

- لأ

- لأ إزَّاي؟

- بقت أسوأ. حتى الحركات اللي كانوا بيعملوها من سكات، الحركات اللي تحس إنهم بيعملوها من جوّه، بطّلوا يعملوها.

قطّب "إيهاب" حاجبيه وسأله:

- هو إنت اللي قلت (حكايتهم خلصت خلاص) وأنا برّه؟

- أيوه سيادتك.

- كنت بتكلم مين؟

- بكلم سيادتك.

ضيّق "إيهاب" عينيه وسأل محدثه وهو يأخذ خطوة في اتجاهه:

- طيب كنت تقصد حكاية إيه؟ وإيه اللي خلّاك تتكلم عن لسانهم؟

- الناس دي دورهم انتهى. أنا بس بَهوّن عليهم آخر ساعاتهم قبل ما يقابلوا رَبّ كريم.

بُهت "إيهاب" مما يسمعه ولم يعرف بما يرد.

- التلاتة دول بقوا أقل مشاكلك.

- أقل مشاكلي؟ أومّال في إيه تاني؟

- بيتك يا "إيهاب" باشا. بيتك.

قالها الصول ثم استدار ليجلس مجددًا أمام الثلاثة.

قبضة باردة اعتصرت قلب "إيهاب"، لقد قال هذا الشرطي ما كان يخشاه. نظر إليه فوجده بدأ في إطعام البدين، وكان شيئًا عجيبًا فالبدين بمجرد أن يشم المزيج يفتح فمه بآلية ليضع الشرطي فيه الطعام

- طيب لو مشّيتهم من هنا؟

سأل "إيهاب"

- فات الأوان

- عرفت منين؟ عرفت منين كل اللي بتقوله ده؟

- علشان إنت جيت وشفتني.

- إيه المشكلة في إني أشوفك؟

دون أن يلتفت إليه الصول رد قائلًا:

- طالما شفتني يبقى الوقت خلص. دلوقتي الغشاوة هتتشال من على عينيك وهتعرف أنا مين.

استرد "إيهاب" توجُسه من الرجل وضيّق عينيه وهو يقول:

- صحيح، هو إنت جديد هنا؟

- لأ. أنا قديم جدًا.

- إنت مين؟ اسمك إيه؟

- اسمي "هارون" .

*****

(9)

من اللحظة التي أوقف فيها "إيهاب" سيارته في جراج العمارة وهو يراقب كل ركن ويدقق النظر إلى كل ظل. بدءًا من الجراج إلى منور العمارة مارًا بالسُلَم الصغير الواصل بينهما حتى وصل إلى باب العمارة.

تأكد أن البواب قد أغلقه جيدًا ثم فكر للحظة. أخرج مفتاحه وفتح الباب مرةً أخرى ليخرج إلى الشارع.

إن الوقت متأخر. استند على سيارة والتفت إلى القهوة... ثم إلى العمارة. حاول أن يلمح هارون القهوجي لكنه لا يراه.

هارون القهوجي.

هارون السواق.

هارون عامل البوفيه.

والآن هارون الشرطي.

شعور رائع هو أن تنزاح الغشاوة عن عينيك. الصورة التي يراها الآن ليست كاملة بعد، لكنها حقيقية. إنه على يقين بهذا.

رفع عينيه إلى سطح العمارة المظلم.

إنتي فين يا توحيدة؟ إنتي الوحيدة اللي ممكن تفهّميني اللي بيحصل. إنتي كنتي هناك. في بر الضيف. من سبعة وعشرين سنة.

إنتي و... والدي.

لحظة تأنيب ضمير تمر به. هل ظلم والده؟

ما الذي فعله والده في بَرّ الضيف؟

ما الذي كان يسكن أرض القطّان وما الذي فعله الركّاب الثلاثة بعد تسلّلهم إليها؟ هل أطلقوا سراحه؟

يكاد يجزم أنه لمح هذا الظل العملاق يزحف على واجهة عمارته قبل أن يختفي خلفها. نظر إلى مجموعة الكلاب التي بدأت في التجمهر على الكورنيش وعيونها على عمارته، ثم قال لنفسه وهو يعود للداخل:

إنه ليس فقط خرّ طليق. إنه هنا.

* * *

في مكانه المفضل أمام شقته، استند "إيهاب" على درابزين السلم يُجري آخر مكالمة عمل قبل دخوله البيت.

- كلام سيادتك مظبوط. إحنا عرفنا معلومات كانت نقصانا. مش فاضل غير اللي حصل في البلد اللي جه منها الميكروباص. دلوقتي النقيب "أيمن" في طريقه لمركز العلاتمة مع أهل التلاتة اللي جُم استلموهم. هناك ممكن نعرف المعلومات اللي ناقصة كلها سيادة اللوا.

-...

تردد "إيهاب" لحظة قبل أن يجيب:

- أهلهم جُم إمبارح سيادتك. النقيب "أيمن" هو اللي استقبلهم.

- ...

- ماهو سيادتك شفت بنفسك يا راشد باشا. حتى كونسولتو الدكاترة العباقرة بتوعنا معرفوش كان مالهم بالظبط. ما كانتش مجازفة ولا حاجة.

صمت اللواء راشد للحظة.

- سيادتك معايا؟ الدكاترة أخدوا شوية عيّنات وحللوها. التقرير معايا.

أخرج ورقة من جيبه وقرأها لمحدثه:

- النتيجة النهائية بتقول إن جسمهم مليان سرطانات. التقرير مطلّعهم جثث سيادتك. بيقول إن أجسامهم ابتدت تعفّن من جوّه من قبل ما

نوصلهم. الدكاترة نفسهم مش عارفين إزَّاي هم عايشين أصلًا.

تنبه لنزول أحد على السلم لكنه لم يتمكن من رؤيته، ثم انتبه مرة أخرى لمحدثه وقال:

- عارف سيادتك خطورة الموقف. عمومًا أهلهمجم استلموهم النهارده زي ما قلت لسيادتك. لما يدفنوهم والجنازة تخلص حنعمل مسح للمنطقة بتاعة مركز العلاتمة كلها. من أول ترماش لحد بَرّ الضيف.

يمكنه أن يشكر "أيمن" لتخليصه من ركاب يمكنه أن يشكر "أيمن" لتخليصه من ركاب الميكروباص. رغم الشك الذي ملأه تجاه هؤلاء الذين ظهروا فجأة موضِّحين أنهم أهل الركاب لكن هذا لا يهم. المهم إنه تخلص منهم. تخلص من الشيء الذي كان سينسف أية فرصة له في ترقية.

ترقية برضه؟ لسّه بتفكر في الترقية؟ الموضوع كان فيه خطورة على مستقبلك المهني كله. والأهم من هذا أن الخطر وصل لبيتك.

صوت نُباح الكلاب يصل إلى أذنه. انتفض حين سمع باب الشقة خلفه يُقفل.

- ...

- أيوه يا فندم مع سيادتك. حاضر. بُكره الفجر التقرير هيكون عند سيادتك. مع ألف سلامة.

أنهى المكالمة وأطلق زفيرًا حادًا. ضميره غير راضٍ على تجاهله التدقيق فيما فعله "أيمن".

اخرس. يكفى أنهم ذهبوا بعيدًا عنا.

قالها مخاطبًا ضميره ثم التفت إلى باب الشقة فوجدها مظلمة من خلف الزجاج.

مين اللي قفل الباب؟

مهلًا. إنه لم يعُد يسمع صوت الكلاب.

هذا صوت آخر، صوت يأتي من شقته... غناء. اقترب من الباب ووضع أذنه عليه. صوت "سلمى" تغني.

أخرج مفتاحه ودخل الشقة ثم وقف ليجول ببصره في أنحاء الشقة. هادئة ومظلمة، كانت شقته. لكنه لم يكن الإحساس الوحيد الذي شعر به، هذا الظلام ليس مريحًا على الإطلاق.

دومًا يأتيك هذا الشعور عندما تدخل بيتك،إحساس الراحة والطُمأنينة. لكنه يشعر في هذه اللحظة كما لو كانت الملائكة تركت بيته وهربت منه الرحمة والبركة. مد يده إلى زرّ إضاءة الممر الذي يمتد إلى يمينه. من المطبخ أتى صوت "سلمى" وهي تغني:

"القمح الليلة الليلة ليلة عيده..."

إيه ده؟!!!

هي الأغنية الملعونة دي وصلت لـ "سلمى" إزّاي؟

تذكّر يوم عيد ميلاد "حسن" وكيف ظل محموله يعيد ويزيد فيها.

ثم رجع بذاكرته أبعد من هذا، لقد كان "يوسف" يكره هذه الأغنية.

اقترب من المطبخ المظلم ووقف على بابه ليرى "سلمى" على ضوء الممر وهي جالسة على الطاولة في منامة خفيفة.

- قاعدة في الضلمة ليه يا "سلمى"؟

توقفت "سلمى" عن الغناء وإن ظلت على حالهامُعطية إياه ظهرها كأنها تجالس شخصًا أمامها. طفقت تحرك يدها دون إصدار أية أصوات كأنها تمثّل مشهدًا صامتًا. لكن "إيهاب" لا يرى أحدًا. يا للهول... إنها تفعل مثل ما كان ركاب الميكروباص يفعلون. أسرع ليضيء نور المطبخ فزأرت "سلمى":

- اطفي النوووور!!

لم يُطِفها فهبّت لتطفئ النور بنفسها بثورة عارمة. أمسكها "إيهاب" واحتضنها بقوة. حاولت المناص لكنه أحكم ذراعيه القويتين حولها. إن جسدها بارد للغاية. سيحاول نقل حرارة جسده لها.

- سيبني. سيبني. طفّي النور.

همس "إيهاب" في أذنها:

- باااس. هششششش. معلش يا حبيبتي. خلاص ملعون أبو الشغل اللي ياخدني منك تاني.

انفجرت "سلمى" في البكاء وهي في أحضان زوجها

- كل مرة تقول كده كل مرة توعدني بكده بس كل مرة بتبعد أكتر من الأول لغاية لما بقيت مبتردش عليّا في التليفون أصلًا أنا ليّا لازمة يا "إيهاب"؟ ليّا لازمة في حياتك؟

انهالت دموع "إيهاب" وهو يشعر بـ "سلمى" تنهار بين يديه فجلس بها على الأرض عند باب المطبخ وقال بين دموعه:

- والله ليكي. والله ليكي. لولاكِ مكنتش أقدر أكمّل لغاية دلوقتي.

لم تبد "سلمى" أنها سمعته بل ازداد بكاؤها حدّةً حتى بدأ "إيهاب" يقلق عليها.

- سلّومة. حبيبتي. كفاية كده.

- لأ مش كفاية. مش كفاية. أنا عايزه أخلّف يا "إيهاب". عايزه طفل. عايزاااا...

وضعها "إيهاب" على الأرض وانطلق باحثًا عن مهدّئ. دخل الحمّام وعاد بحقنة مهدئة لكنه وجدها قد غابت عن الوعي. حملها ودخل غرفتهما كي يضعها على الفراش وجلس بجوارها يكاد قلبه يبكى ندمًا.

*****

(10)

في القهوة جلس "يوسف" يتأمل شاشة المحمول وهو يحكم الچاكت الشتوي الثقيل حول جسده ويرفع ياقته لتغطي أذنيه. تنقّل بين صور "ليلى" التي تلقاها اليوم وصورة شيك "سُمية" ولم ينتبه لـ "إيهاب" إلا بعد أن جلس بجانبه.

- "كويس إنك جيت"، قالها لصديقه وهو يضع محموله على الطاولة. في حاجات بتحصل خطيرة يا "إيهاب". الموضوع أكبر من إن في حد حاول يقتحم شقتي. إحنا كان لازم نقعد من بدري. معلش أنا السبب.

"فعلًا"، قالها "إيهاب" والهمُّ واضح على ملامحه. أشار للقهوجي كي يأتي إليهم ثم قال:

- طيب ابتدي إنت.

- آه خلّيني أنا الأول. بُصّ يا سيدي...

حكى له "يوسف" ما حدث في شقته الأيام المنصرمة بالإضافة إلى ملخص سريع للأحداث الغريبة التي مرت عليه في عمله. تلافى في سرده التفاصيل المخزية لموضوع رشوة "سميّة"، حتى وصل إلى اللحظة التي أشار فيها "حسن" إلى ركن الغرفة. حينها كان "إيهاب" في قمة انتباهه.

انتظر "إيهاب" حتى أنهى "يوسف" كلامه وسأل:

- كان فيه حد واقف؟

- لأ. مشفتش حد. كل اللي شفته الرسمة اللي حاططهاعلى الحيطة وكاتب عليها (هدية حيدة) وفيها سهم بيشاور على الركن. أنا متأكد إن "حسن" مبيكدبش. هو فعلًا كان فيه حد واخد باله منُّه اليومين اللي فاتوا. ولا أنا ولا "ليلى" كنا مركزين معاه أصلًا.

انحنى على جليسه وأخفض صوته رغم خلوّ المكان من الزبائن.

- حاسس يا "إيهاب" إن فيه حاجة في بيتنا. لأ دول حاجتين ضد بعض؛ حاجة تأثيرها سلبي ومؤذية وحاجة ضدها. الحاجة السلبية دي في كل حتة إلا أوضة "حسن". وده من بعد ما "توحيدة" دخلت معاه يوم عيد ميلاده. إيه هي هديتها بالظبط مش عارف بس حاسس إنها الحاجة اللي شاور عليها في الركن. حاجة كده...

- حاجة كده إيه؟

- أ... أصلي شفت إمبارح في أوضة "حسن" خيال كده زَيّ ما يكون راجل. مجرد خيال.

تذكر "إيهاب" ما شاهده مع "نادر"، تلك الظلال والأشكال التي تظهر في الزنزانة 3 وتخرج من الشباك وكذلك الظل الرابع الذي رآه في الزنزانة 6 . هو شبه متأكد أن ما في القسم كائن شرّ. ربما يكون هناك بالفعل توازن في الأمر. ربما يكون هناك قوى خير تساعدهم وهذا مُطمئِن بعض الشيء.

- طيب كمّل.

استطرد "يوسف" قائلًا:

- كان المفروض آخد بالي من أول ما الأكل ما ابتدىيختفي من البيت، زي ما يكون البركة راحت منه. البيت كله كده بقى ضلمة وكئيب. والفتافيت اللي كنت بشوفها على الأرض- حاجة ملهاش تفسير كده ومرعبة. وبعدين جه موضوع الكلاب والأصوات الغريبة والنور اللي بينوّر ويطفي الناحية التانية.

دارت عينا "إيهاب" حولهما سريعًا في مسحٍ سريعٍ للمنطقة التي سيطرت عليها ظلال الليل الكئيبة، ولمح مجموعة الكلاب الصامتة التي ترقد في تأهُّب على رصيف الكورنيش ثم قال:

- كلامك مظبوط. اللي إنت مرّيت بيه ده لاحظته أنا كمان ومرّيت بحاجات مشابهة. فعلًا فيه حاجة في العمارة. على السلم وفي الأركان

الضلمة و.. في بيوتنا.

تردد "يوسف" قبل أن يقول:

- ابتديت أحس فعلًا ان زين كان عايز يساعدنا. يمكن كان عايز يحذرنا من حاجة، من "إعتماد" مثلًا، أيًا كانت هي إيه أصلًا. معرفش إزّاي كل واحد فينا شافها بطريقة مختلفة. بس هي ما طلعتش من العمارة من يوم عيد الميلاد.

- إيه؟!! يعني إيه لسّه في العمارة؟

- زي ما بقولّك كده "عودة" كان مراقبها

تنهد إيهاب وقال وهو يرمق شرفة شقة يوسف متذكرًا استجواب شبانة:

- يبقي زي أنا ما استنتجت أيًا كان الحاجة دي، هي بتاخد أشكال مختلفة وكمان إحنا بنشوفها بطريقة مختلفة، وغالبًا طلعت ورايا من القسم بتاعي حسّيت بيها في عربيتي يوم الأربع وأنا طالع منه ده أنا كمان شفت خيال اسود ضخم على عمارتنا إزّاي بقى هي هنا وفي نفس الوقت في القسم مش عارف ممكن يكونوا أكتر من واحد. لأ هم فعلًا أكتر من واحد، أنا شفتهم في كاميرات المراقبة. ولّا هو واحد بياخد كذا صورة؟ مش عارف. أيًا كان، أنا السبب إنه وصلنا.

- إنت السبب إيه يا "إيهاب"؟ كنت هتعرف منين يعني؟ متلومش نفسك.

- لأ أنا حسّيت بيه بس كابرت. كنت عارف إنها مجازفة إني أحتفظ بـ... سكت لحظةً واستطرد: مكانش فيه حاجة في دماغي يا "يوسف" غير إني أثبت إني ظابط أجمد من أبويا.

- استنى بس. بإيه؟ تحتفظ بإيه؟ كمّل جملتك.

- تلات بلاوي جم من بلدك، من بر الضيف.

- علشان كده كنت بتسأل عليها. بُص يا "إيهاب"، شغلتك دي كلها مجازفات. مش معنى إنك تلاقي مشكلة وتحاول تحلّها إنك بتقامر. ده

صميم شغلك.

انتفخت أوداج "إيهاب" واحتدَّ قائلًا:

- لأ مقامرة. لما يكونوا بالحالة اللي جم عليها دي ومحدش يفهم مالهم ولا حتى كونسولتو دكاترة وبرضه أخلّيهم يبقى مقامرة. لما الناس تحذّرني وأصمّم على رأيي رغم إني حاسس بالخطر يبقى مقامرة. لما أحس بعلاقة شخصية بيني وبينهم وأستمر في محاولاتي يبقى مقامرة وكمان غير قانوني. أنا غلطت وكنت عارف والدليل على كده إني كنت مخبّي الموضوع. كنت مكسوف منه.

لم يعلق يوسف وأشاح بعينه بعيدًا. لحظات طويلة مرت عليهم وهم في صمت. أشار إيهاب ليوسف كي ينظر إلى باب العمارة، فصرف الأخير نظره هناك ليرى أن أحدهم قد أضاء نور السلم.

- أكيد أنور. محدش هينزل الجراج دلوقتي غيره. تلاقيه عايز يتطمّن على عربياته.

كان تعليق إيهاب ثم التفت إلى صديقه الذي ظل على صمته. توقّع أن يلقي بإحدى دعاباته التي تستفز أنور جارهم القبطان المتقاعد لكن يوسف لم يفعلها. لوهلةٍ تأمل وجهه المثلث المرهق فوجده مكفهرًا فقرر أن الوضوح أقصر الطرق وأسلمها.

مال تجاه "يوسف" وقال:

- حاسس إنك مخبّي حاجة كبيرة إنت كمان.

- الحقيقة آه.

- طب قول.

تردد "يوسف" للحظة وهو ينظر في عين صديقه ثم تشجّع:

- أنا معروض عليّا رشوة.

رجع "إيهاب" ليستند بظهره على الكرسي وقال:

- طيب. كويس. أنا كنت حاسس إنها حاجة كده. بس إيه‌الجديد؟ مش أول مرة. كبيرة زيادة المرة دي؟

- مش مسألة الرقم. أيئغم دول مليون ونص كاش وبعدين نسبة ممكن توصَل لواحد في الميّة من قيمة أعمال بمليار. بس الموضوع مش كده.

أطلق "إيهاب" صفيرًا خافتًا وقال:

- دول فوق العشرة مليون. هو ممكن يكون فيه حاجة تضغط عليك أكتر من كده؟

- أنا اتعرض عليَا قبل كده مبالغ كبيرة زي دي ويمكن أكتر، بس المرة دي حاسس إن الضغط أكتر من اللازم. الست صاحبة الأرض تصرفاتها غريبة جدًا والمفروض إنها تنفِّرني من الموضوع كله، لكن الغريب إني بفكَّر جديًّا في الرشوة. زي ما يكون فيه قوة روحية رهيبة بتساعدها.

استمع له "إيهاب" بإمعان وعيناه على النيل لا تغادران سطحه المتلألئ. انتظر حتى انتهى "يوسف" من كلامه والتفت إليه قائلًا:

- مش دي الست اللي اسمها "سُمية"؟

- أيوه.

- طب بُصّ بأه. كلامك إنهم حاجتين مش حاجة واحدة مظبوط. طالما جبت سيرة الست دي خلّيني أقولَك أنا كمان كل حاجة بمنتهى الشفافية يمكن نكمّل الصورة مع بعض.

قاطعه القهوجي: "قهوتك يا "إيهاب" باشا".

التفت إليه "إيهاب" وسأله:

- أومَّال فين "هارون"؟

- مجاش من إمبارح.

- ليه؟ فيه حاجة؟

- وأنا اشعرُفني يا باشا. هو في حد بيعرف حاجة عن "هارون". ده ولا حتى صاحب القهوة عارف عنه حاجة. لولاش بس هو أمين واللي جابه كان والد سيادتك مكانش رضي يشغّله هنا من أصله.

استدار القهوجي وعاد لمزاولة عمله تاركًا "إيهاب" و"يوسف" ينظران لبعضهما غير مصدقين.

- والدك اللي جابه؟

- مش عارف يا "يوسف". أنا هتجنّن. أنا سمعت اسم أبويا واتجابت سيرته أوڈامي الكام يوم ڈول أكتر من حياتي كلها. بُص ركّز معايا أنا بقى في اللي هحكيهولك.

* * *

لم يكن أنور قد غادر الجراج بعد لقد قرر أن يظل بجوار سيارتيه أطول فترة ممكنة بعد أن تسببت الأحداث الأخيرة في خلق إحساس قوي بعدم الأمان، إحساس طرد النوم من لياليه لقد اعتاد على التعايش بأحاسيس مشابهة طيلة حياته، هذا ما يجعله مبالغًا في خوفه على ممتلكاته، لكن الذي يشعر به هذه الليلة لم يمرّ به من قبل .

شعور مزعج بأن شيئًا ما يحدث حوله ولا يراه شيء ما يقف في ركن رؤيته لا يستطيع تجاهله ولا تحديده. وهو يكاد يجزم أنه أتى أول ليلة نبحت فيها الكلاب الضالّة بتلك الطريقة الهيستيرية. لقد شعر به في اللحظة التي لمح فيها النور الذى يضيء ويطفئ مع نور شرفته في الجهة الأخرى من النيل.

هو على يقين... هناك شيء ما معهم في العمارة.

* * *

سرد "إيهاب" لـ "يوسف" تفاصيل الأيام المنصرمة حتى وصل إلى لقائه ذلك اليوم مع الرائد "نادر"

- إنت واثق في "نادر" ده؟

- فنيًا هو معاه أعلى فرَق في الاستطلاع ومعروف إنه أحسن واحد بيقرأ الشفايف في الوزارة. على الصعيد الشخصي، هو دُفعتي وأكتر من صديق.

استغرق "يوسف" في التفكير لوهلةٍ ثم سأل غير مصدِّق:

- "يسري الدماطي"؟! الراجل اللي اسمه "صبحي" ده قال‌كده؟ "يسري الدماطي"؟ بمنتهى البساطة نطق اسم والدك كده؟

- مش بس مرة واحدة. ده كان بيكررها من ساعة ما جه.

- وإيه حكاية القَسَم ده؟ اللي في القصيدة؟ وإيه معنى القصيدة ككل؟

- مبدئيًا التلاتة اللي كانوا في الميكروباص دول عملوا مصيبة في برّ الضَيف، واللي اتفق معاهم وخطط العملية كان "زين" والمصيبة دي ليها علاقة بأرض القطّان لأن الواد اللي جه معاهم في الميكروباص ذكر حاجة اسمها الضيف كانت محبوسة فى ارضكوا .

صمت "إيهاب" لوهلةٍ ليتفحَّص ملامح "يوسف" الذي كان مُحدِّقًا في النيل المظلم.

- معايا يا "يوسف"؟

- معاك. كمّل.

- ماشي. الكلام ده أنا فهمته من شهادة "شبانة"، راكب‌الميكروباص. بس إيه هو الضيف ده بالظبط؟ ماعنديش فكرة. كان ممكن أقول إنه بيخرِّف بس مش بعد اللي شفناه اليومين دول. أيًا كان إيه اللي جه من بر الضيف، هو حاجة حقيقية. والتلاتة اللي كانوا عندي دول هُمْ اللي طلّعوه.

أكمل "يوسف" ما بدأه صديقه:

- يبقى "زين" طمع في الأرض المركونة بقالها سنين واللي معمول عليها الحظر. ووالدك هو اللي ساعد عيلتي إنهم يعملوا الحظر ده زي ما دكتور "شريف" قالي. ممكن يكون "زين" حاول يحط إيده عليها. ده معنى رسالة "زين" اللي بعتها مع "محمد" ابن البواب: الغلطة اللي عملها وحاول يصلحها.

- يصلحها إزاي بقى؟ بإنه يقتحم شقتك؟

- مش عارف يا "إيهاب"، مش عارف.

هز "يوسف" كتفيه وأخذ نَفَسًا عميقًا بينما لاح شبح ابتسامة على شفتي "إيهاب". بمنتهى التحفّظ يأتي شعور بالفخر ليستبدل مشاعر الغضب التي يشعر بها تجاه والده. لقد بدأ يشعر الآن أن والده قام بمهمة بطولية ما في بَرّ الضَيف ولم يتخلَ عن قَسَمه له بالعودة إلا بسبب تلك المهمة. أخذ رشفة من القهوة وسأل:

- السبب كان إيه أصلًا في الحظر ده، دكتور "شريف" ماقالكش؟

- لأ وده أكبر لغز في الموضوع. بس ممكن يكون السبب هو البلوة اللي جتلنا في الميكروباص: الضيف. غالبًا كان محبوس في الأرض وطلع على التلاتة بتوع الميكروباص لما فتحوا السور.

- تمام. بس عايز يوصلّنا إحنا ليه يا "يوسف"؟ علشان ينتقم مثلًا لأن والدي هو اللي حبسه في أرضكوا؟ بس كده؟

- ممكن. وخلّي بالك، ده غير القصيدة. القصيدة بتقول فيه قَسَم. قسم إيه؟

فكر "إيهاب" أن يشارك "يوسف" مشهد وقوفه على باب شقته وهو يبكي بحرارة لحظة خروج أبيه. مشهده وهو ينادي عليه من بين دموعه:

"احلف إنك هترجع على طول يا بابا".

عندها توقف "يسري الدماطي" والتفت إليه قائلًا: أحلفلك إني هعمل كل

اللي هقدر عليه علشان أرجعلك بسرعة.

- رُحت فين يا "إيهاب"؟ سأله "يوسف" كي يعيده إلى الحاضر.

- مارحتش في حتة. لازم نعرف الضيف ده بيعمل إيه في الناس. التلاتة دول كان مالهم؟

- هنا بقى يبتدي القلق لو الدكاترة بتوعكم بيقولوا إن فيهم حاجة بتاكل فيهم من جوّه زي السرطانات، ووصفوا الحاجة دي إنها حاجة واحدة بدليل جملة (مُخ متصل) يبقى هو ده تأثير الكيان ده بيسيطر على أجسادهم وأرواحهم بطريقةٍ ما. وغالبًا ده نفس اللي حصل لـ "سُميّة". وأنا مرعوب على "سلمى" و"ليلى" بصراحة.

استمع "إيهاب" لما قاله "يوسف" بإنصاتٍ قبل أن يضيف بانفعال:

- "سلمى" ابتدت تتغير فعلًا وتعمل نفس حركات الركاب التلاتة. يا نهار إسود. هتجنّن يا أخي. إيه الضيف ده؟

رجع "يوسف" بظهره على الكرسي:

- ولا عندي أي فكرة. وعلى فكرة "ليلى" كمان ابتدت تعمل نفس الحركات.

أخذ "إيهاب" نفَسًا عميقًا وقال:

- ما هو يا جن، يا عفريت، يا نيلة أرواح. وأنا بصراحة معنديش ثقة في إمكانية تواصُل عالمنا بالحاجات دي.

رد عليه "يوسف" بجديّة:

- ممكن الضيف ده يطلع حاجة تانية خالص منعرفهاش.وأنا أعتقد إنه لو بالمواصفات اللي اتفقنا عليها دلوقتي يبقى ولا حاجة من دُول عمومًا أنا على يقين إن معلوماتنا ضعيفة جدًا في النواحي دي وكل القصص اللي بنسمعها هي قشور للحقيقة حد يعرف إيه تصنيف النداهة دي؟ أو الغول؟ حد يعرف هَمّ إيه بالظبط؟ ماتبَصليش كده. ده فرضًا إنهم حقيقة. عالم

الغيب ده مهول يا "إيهاب" وممكن نكون لمسنا حاجة جديدة.

- طب برضه إيه اللي جابها بَرّ الضَيف أصلًا؟ في حاجة ناقصة يا "يوسف".

- فعلًا. ده السؤال الأساسي وكمان جايه تعمل إيه؟ لأن ده معناه إن الشيء ده كان بعيد ودلوقتي وصل للقاهرة هيعمل إيه دلوقتي الله أعلم أنا خايف على "ليلى" وعليك وعلى نفسي بس أرجع وأقولك إن إحساسي إن فيه حد من عالم الغيب ده بيساعدنا وبيحمينا مطمنّي بس هرتاح أكتر أكتر لو شفته أو حتى عرفته.

كان هذا دور "إيهاب" لينحني ويقترب من "يوسف" ثم قال بصوت منخفض:

- أنا عارف هو مين؟

* * *

حسنًا، هذا يكفي. قالها أنور لنفسه فلن يستطيع أن يبقي في الجراج إلى الأبد وحتمًا سوف يترك سياراته في وقتٍ ما تنهد وأطفأ موتور السيارة ونزل منها مسح عليها بمنديل كَلَفتةٍ حانيةٍ أخيرة ثم استدار ليغادر الجراج مد يده ليطفئ المصباح الوحيد الذي يعاني كي ينشر ضوءه في أطراف المكان.

مهلًا. هل أغلق السيارة بالريموت؟

تحسّس جيوبه باحثًا عن جهاز التحكّم عن بُعد فلم يجده. لا بُدّ أنه تركه على السيارة المجاورة لسيارته وهو يلمعها بالمنديل. استدار ليعود إلى سيارته.

تييت تييت.

... إيه ده؟ ده صوت ريموت عربيتي.

- مين هنا؟

* * *

هتف "يوسف" قائلًا:

- وساكت كل ده؟ مين؟

"إيهاب" بابتسامة خبيثة:

- هسألك سؤال الأول: اسم سوّاق عمتك إيه؟

- اسمه "هارون". ليه بتسأل؟ ما أنت عارفه.

تجاهل "إيهاب" سؤال "يوسف" وأردف :

- واسم بتاع البوفيه اللي في مكتبك إيه؟

- ممم... "هارون".

- والقهوجي بتاعنا؟ اللي ماجاش النهارده ده؟

- يا نهار أبيض. برضه "هارون".

ازدادت ابتسامة "إيهاب" طولًا وهو يُنهي كلامه:

- طب الصول اللي لقيته بيأكّل التلاتة إياهم في الزنزانة تقدر تستنتج اسمه إيه؟

فتح "يوسف" عينيه عن آخرهما وشعر بغشاوة تقع عن بصره.

- متقولش. "هارون"؟ برضه؟

هزّ "إيهاب" رأسه بظفر فاستطرد يوسف:

- هو ده اللي بيساعدنا ويحمينا؟

استمر "إيهاب" في هزّ رأسه مبتسمًا.

- طب إزّاي ما خدناش بالنا كل ده؟ وأنت لاحظت إمتى؟ ده فعلًا "هارون" السواق كان على طول بيدّيني نصائح وتلميحات من تحت لتحت وبرضه بتاع البوفيه يا نهار أبيض علشان كده مكانش طايق "سميّة" من الأول، حتى قبل ما الضيف ما يوصلها يا نهار أبيض كَمَ المواقف اللي افتكرتها دلوقتي على مدار حياتي كلها مهولة. كان دايمًا حوالينا في أشكال مختلفة وبيساعدنا بنصائح وتصرفات مقنّعة. إزّاي ما أخدتش بالي؟ إزّاي يا "إيهاب"؟

- غالبًا دي من قدرات "هارون"، اللي أنا حاسس إنه حاجة زي الضيف برضه لأنه عنده قدرات شبيهه بقدرات التاني، بس خَيِّر ممكن أصلًا يكون عدو ليه

- قدراته إنه يخلّي الناس متخدش بالها من تكرار اسمه على صور مختلفة؟

- أيوه. الضيف الخبيث التاني عنده القدرة على التجسّد في أشكال مختلفة، محدودة بس مختلفة. زي القزّم والفلاح الضخم والبت الشغالة. إيه اللي بيحدد الأشكال دي معرفش ممكن يكون حاجة حصلت في الماضي بس الأكيد إن كل واحد بيشوفهم بطريقة مختلفة وبرضه عنده قدرة على السيطرة والدخول في أجساد البشر زي "سُمية" و"عوض" و"صبحي" و"إسماعيل" "هارون" بقى عنده القدرة إنه ياخد كذا شكل في نفس الوقت . بس غالبا لازم يكون اسمهم كلهم "هارون" وبيحطّ غشاوة على عيون اللي حواليه علشان ميلاحظوش تشابه الأسماء ده. لغاية ما أنا شفته في الزنزانة.

تدبّر "يوسف" في كلام "إيهاب" لوهلةٍ وهو يحدق في بوفيه القهوة المظلم ثم قال:

- طب ليه كشف نفسه دلوقتي؟

هنا اتخذ "إيهاب" هيئة جادّة وهو يقول:

- لأنه، زي ما قالّي، الوقت جه.

- وقت إيه؟

- المواجهة.

قالها "إيهاب" وهو يرمق العمارة بقوة.

* * *

جال "أنور" بعينه في أنحاء المكان باحثًا عن أي شخص ربما يكون يستخدم جهاز تحكم آخر لكنه تأكد في هذه اللحظة أن المستأجرين والمُلاك كانوا على حق في شكواهم من ضعف إنارة الجراج إنه لا يرى شيئًا تقريبًا فالمصباح الضعيف لا يتعدى ضوؤه الأمتار الثلاثة، ناهيك عن الأعمدة التي تُعيق انتشار الضوء وتضيف على المكان هيئة غابة من الظلال .

تييت تييت .

جفل "أنور" عند سماعه هذا الصوت للمرة الثانية وتقدم خطوة حتى تصبح سيارته في مرمى بصره .

تييت تييت.

رأى بعينيه الضوء الأحمر الصغير يشعُّ من مكانه في ركن الزجاج الأمامي معلنًا أن السيارة مغلقة. هناك من يغلق ويفتح سيارته باستخدام جهاز التحكم الخاص به.

أين وضع هذا الجهاز اللعين؟

-"عودة"؟

نادى على استحياء. لكن لم يأتِهِ رد.

بدأت أنفاسه تتلاحق وهذا الألم اللعين يزحف إلى صدره. إنه لا يحتمل

هذه الإثارة.

- مين.. هنـ. هنا؟!!

فررت.

صوت رفرفة.

بدأ يتراجع.

شيء ما يتحرك على يساره. التفت لينظر هناك لكن كل ما رآه هو الظلام. استنتج أن أيًا من كان هنا لا يريد أن يكشف عن وجوده. لقد كان نداؤه وسؤاله مسموعين ولا يمكن تجاهلهما إلا عن عمد.

تييت تييت.

طاخ. كرااش.

انتفض في مكانه وتقدم لينظر لسيارته متصورًا الأسوأ. وقد كان. إن زجاج سيارته مكسور.

- مين الحيوان اللي عمل كده؟!!!

صرخ بأعلى صوته.

صوت الرفرفة مرة أخرى. انحنى ليتفادى هذا الطائر الخفي لكن هذه المرة عبَر من خلفه ليستقر على نافذة في ركن مظلم. أخذ يُبسمِل وهو يتراجع ناحية السلم. رغم أنه كان قرارًا صعبًا لكن الموقف مخيف. تراجع "أنور" زاحفًا حتى وصل إلى السلم ثم هبَّ واقفًا وانطلق تاركًا الجراج وسيارته الغالية.

* * *

مرت دقائق على "يوسف" و"إيهاب" وهما على حالهما صامتين يتأملان عمارتهما. لقد تعدت الساعة الواحدة ليلًا وخلا الشارع من المارّة خصوصًا

مع برودة الجو. حتى القهوة لا يوجد بها سواهما.

قطع "يوسف" صمتهما قائلًا:

- فِكرك فيه حاجة فعلًا في العمارة؟

- ملهاش تفسير تاني. أعتقد إننا فهمنا المشكلة وشفنا الجزء الأكبر من الصورة. وده هيخلّينا نسأل سؤالين مهمين جدًا.

قالها "إيهاب" وأخذ رشفة أخرى من القهوة التي أصبحت مثلجة.

"يوسف":

- إيه هُمَّا؟

- بالنسبة للكيفية أو ملابسات قدوم الضيف ده لأرض القطّان من سبعة وعشرين سنة مش هنعرف المعلومة دي غير من هناك، من بَرّ الضيف. وبما إن مستحيل حد فينا يروح فممكن نعرف عن طريق النقيب "أيمن". بعد الضهر النهارده راح مع أهل التلات مساجين لمركز العلاتمة. نظر في ساعته واستطرد: هو وصل من أربع ساعات بالظبط وكلّمني. بس ده ولا واحد من السؤالين.

- معاك في اللي قلته وكويس إن "أيمن" راح معاهم. طب إيه هما السؤالين؟

- هي أو هو، أو هم، الضيف ده يعني، عايز إيه؟

ردَّ "يوسف" بعد تفكير سريع نظَّم فيه أفكاره:

- لو ركّزنا في تصرفاتنا إحنا الأربعة الكام يوم اللي فاتوا ممكن نستنتج إن اللي عايزه غالبًا ليه علاقة مباشرة بسلوكنا وتعقيداتنا الدفينة؛ وخصوصًا السلبي منها زي طَمَعي اللي ظهر فجأة ده وإحساسي المستمر بعدم الانتماء زي رغبتك في الترقية بأي طريقة والانتصار على والدك في معركة دايرة في مُخّك بس . زي شك "ليلى" وهلع "سلمى" على الخِلْفة. لكن هل دي بس المحفِّزات ولّا فيه حاجة تانية بتجيب الضيف ده؟ مش

عارف.

أخذ رشفة ماء ليبتلع جرعة الصراحة القاسية التي أخرجها لتوّه واستطرد:

- ولو أخدنا تقرير الطبيب الشرعي في الحسبان، يبقى اللي بيعمله الضيف جوّه جسد البشر بيعمل زيه في نفسيته وحياته. يعني سرطان طفيلي هيمُصّ الحياة مننا جسديًا ونفسيًا. سواده عايشة في بيوتنا تضلّمها وتطفّش البركة والوُدّ منها. إيه هدفه النهائي بقى؟ يعني بيستفيد إيه؟ برضه مش عارف.

توقف "يوسف" عن الكلام عندما رفع "إيهاب" إصبعه كأنه توصل لشيء ما:

- الكلمة دي اتقالتلي واتقالتلك أكتر من مرة: (بيتك). وفِي كذا موقف. ومن "هارون" و"توحيدة".

أشرق وجه "يوسف" وهو يعقّب:

- تصدق فعلًا وأنا كمان اتقالتلي في أكتر من موقف.كده ممكن نكون ابتدينا نحط إيدينا على الحل. أعتقد أن المخرَج من الاختبار الصعب ده إننا ناخد بالنا من بيوتنا. منسيبش فرصة للكيان ده إنه يهدّه ويهدّنا. منسيبلوش فرصة يلعب على نقط ضعفنا.

انشرحت سريرة "إيهاب" وقال لصديقه:

- صح. كلامك مظبوط. يبقى هو ده الحل.

- بس أنا كنت ناوى ألِمّ حاجتنا ونسيب البيت من الفجر.

- أنا فكرت نفس التفكير ده بس بعد اللي سمعته منك مش عارف.

- ليه؟

- أوضة "حسن"؟ فكرك هيبقَى في أمان لما يطلع منها؟ عمومًا ده يوصّلنا

للسؤال التاني.

"يوسف":

- اللى هو إيه؟

"إيهاب":

- السؤال التاني اللي مش عارف إزّاي مش واخدين بالنا منه: فين اللي خلّى أوضة "حسن" بالشكل الآمن ده. فين عمّتك كل الوقت ده؟

*****

(11)

استيقظت دكتورة "سوسن" على صوت ضجيج في الصالة. ارتدت الروب المنزلي وخرجت لتنظر خارج الغرفة، لتجد زوجها وقد أتى بكرسي وجلس مواجهًا باب الشقة في الظلام.

- بتعمل إيه عندك يا "أنور"؟

قالتها بنبرة صوتها العالية فجفل القبطان العجوز والتفت لها مذعورًا.

- إيه اللي صحّاكي يا "سوسن"؟ قطعتيلي الخلف.

جزعت زوجته عند رؤيتها البندقية التي يمسكها في يده.

- إيه ده؟؟ بتعمل إيه بالبندقية؟

- شششش. هتخرميلي طبلة ودني.

قالها أنور وهو يضع إصبعه على فمه ليهمس:

- وطّي صوتك.

- ليه في إيه؟ همست وقد بدأ الخوف يتسلل إليها.

- في حاجة في العمارة.

اقتربت منه وقالت بصوتٍ مرتعش:

- يا لهوي. حاجة إيه؟

أشار لها أن تلتزم الصمت وقام ليقترب من الباب. وضع أذنه على الزجاج المعتم وأنصت. أنصتت "سوسن" هي الأخرى لكن دون أن تتحرك من مكانها.

مرت الثواني كالدقائق وهم في أماكنهم كالتماثيل ثم انتبه "أنور" إلى صوت بالخارج شيء أو شخص ما يقترب هذا ما يؤكده صوت حفيف الأقمشة بالخارج ثم توقف في منتصف المسافة التي تفصل شقتهم عن شقة خليل في الجهة المقابلة . تحرك أنور كي ينظر من العين السحرية لكن السلم مظلم.

- ولّع النور. قالت "سوسن".

- شش، أمرها "أنور" بعصبية.

تناهى إلى مسامعه صوت جديد. هذه المرة يبدو أقرب إلى حوافر تمشي على البلاط. إنه يقترب.

- ولّع النور. همست له.

تجاهلها وظل ناظرًا من خلال العين السحرية محاولًا استكشاف هُويَّة ما يقف بالخارج. ثم فجأةً أضاءت زوجته نور الممر الصغير الذي يقف فيه. شهق وانبطح أرضًا ليستند على الباب دون حراك أسفل الزجاج المعتم. ظلت "سوسن" تنظر إليه لثوانٍ ثم سألته والفضول يطلّ من عينيها:

- شُفته؟

رفع إليها عينين مذهولتين مما فعلته لتوّها وهبّ ليطفئ النور مجددًا. نظر في العين السحرية لكنه لا يرى شيئًا. تراجع ليجلس على الكرسي وهمس وهو يتأكد من بندقيته:

- لأ. بس أنا متاكد إن في حاجة في العمارة. ادخلي نامي إنتي.

هزت سوسن كتفها وضربت كفًا بكفٍ ثم دخلت لتنام.

***

بعد أن بدأت الرؤية تتضح لهما جاء قرار "يوسف" و"إيهاب" نهائيًا. حكى "يوسف" لـ "إيهاب" عن سلوك عمته ليلة الخميس واستنتجا معًا سبب موقفها... لقد كانت تقصد الضيف عندما قالت إنها لن تُدخل غريبًا منزلها. إذن، حتى ترجع توحيدة التي تعرف ما لا يعرفونه، سوف يرجع كُلّ منهم إلى بيته ويُصلح ما انكسر.

كان آخر شيء قاله يوسف لإيهاب هي جملة عمته له صباح الخميس بعد أن كسرت الجرامافون:

(البيوت أسرار يا يوسف. اقفل الباب وراك كويس).

إن للضيف هدفًا واضحًا وهو نقطة ضعفهم. لقد تمكن من سميّة بسهولة لفساد قلبها وإصرارها على تلويث يد يوسف نفس الشيء فعله مع ركاب الميكروباص قبلها أما وقد احترقت هذه الكروت فليس لدى إيهاب ويوسف أدنى فكرة عن خطوة الضيف التالية هذا ليس معناه أنهم أصبحوا في أمان، بل معناه أن الصراع قد أصبح على المكشوف.

والآن، أمام كُلّ منهما مهمة صعبة. يوسف سوف يرفض رِشوة سميّة ويعطي قراره النهائي بما يمليه عليه ضميره. أما الوِرث، فسوف ينساه تمامًا. وبالنسبة إلى "ليلى" فسوف يفعل ما بوسعه كي يسترد ثقتها به وبنفسها.

لكن "إيهاب" مهمته أصعب. مبدئيًا سوف يعود لممارسة واجبه ويترك سعيه وراء منصب أو مجد أو انتصار أجوف.

يتوجّب عليه متابعة ما تم مع النزلاء الثلاثة ومراجعة ما قام به أيمن ليتأكد مما فعله بالضبط معهم. هذا ويتوجب عليه أيضًا مصارحة اللواء

راشد بكل شيء مع إنه يشعر أنه يخفي شيئًا ما هو الآخر. أما "سلمى" فسوف يساعدها على التخلص من شعور النقص الذي تمكّن منها كى تعود وترضى بقضاء ربها.

وأخيرًا، وهو أصعب جزء، سوف يبحث في قلبه أن يسامح أباه.

*****

(12)

فتح "يوسف" باب شقته وعقله تعصف به التساؤلات.

هل فعلًا توجد مثل هذه المخلوقات؟ ولماذا لم يسمع عن هذا الضيف من قبل؟

دخل شقته بخفّة وآخر سؤال يرجُ كيانه رجًا:

هل هناك شيء معهم في الشقة؟

كانت غرفة "حسن" هي وجهته الأولى حيث يرقد ابنه في هدوء. حانت منه نظرة إلى الركن المظلم الذي أشار إليه ابنه سابقًا لكنه ما زال لا يرى شيئًا هناك، فقط تلك الرسمة الطفولية التي تشير إلى الركن المظلم.

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة .

تقهقر خطوةً للوراء ونظر أسفل قدميه... للخدوش السوداء لا يوجد تفسير آخر غير الذي قاله "حسن" لـ "ليلى" أيًا ما كان الشيء الذي دخل بيتهم في هيئة الشغالة "إعتماد" فهو يحاول بشتى الطرق الوصول لابنه نظر للنافذة فوجد الشرفة خارجها مضاءة. لا بد أن "ليلى" تركتها كنوع من أنواع الأمان.

اتجه للمطبخ مفضلًا عدم فتح الأنوار كي لا يؤرّق "ليلى" في منامها. لمحها نائمة. تدريجيًا بدأ يستعيد سخطه منها. إنه لا يعبأ براحتها ولكن

براحته هو.

كم يكره جدالها وشكوكها!

دخل المطبخ وبدأ في إعداد كوب من الشاي. أضاء نورًا خافتًا في الطرف البعيد من المطبخ بجوار الشباك. لمح بطرف عينه سيجارة على الطاولة في النصف المظلم من المطبخ. نظر أعلى وحدة الأطباق فلمح طرف علبة السجائر. استشاط غضبًا وأمسك السيجارة بأصابعه كعادته عندما يفكر.

ما هذا الإهمال؟ كيف تترك السيجارة على الطاولة؟

إيه اللي إنت بتقوله ده؟ إيه المبالغة دي؟ إنت نسيت اتفاقك مع "إيهاب".

أغمض عينيه ونفض عن ذهنه تلك الأفكار والأحاسيس السلبية.

ثم فتح عينيه.

- إنت فين؟

صمت مطبق.

- أنا عارف إنت بتعمل إيه؟ مش هنؤلهالك.

تشِك..

إيه الصوت ده؟

ليس فقط صوت، بل ضوءً أيضًا.

التفت ليرى شعلة تطفو على يمينه، في الظلام. شعلة كأن أحدًا أشعل عود كبريت ويمد يده ليشعل له السيجارة.

اتنفض "يوسف" فزعًا ورمى السيجارة. مد يده إلى زِرّ الإضاءة ورفعه. بعيون ملتاعة جال بعينه في أنحاء المطبخ.

لا يوجد أحد.

هل كان يهذي؟

لا. فهذا هو عود الثقاب المحترق على الأرض.

بهدوء حَذِر تراجع ليخرج من المطبخ وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

قاوم يا "يوسف".

بلع ريقه واستدعى كل الشجاعة التي تبقَّت لديه وهمس:

- يا بن الذين. سمِّمتلي تفكيري ناحية "ليلى". وعايزني أرجع أشرب سجاير تاني؟ إنت إيه بالظبط؟ شيطان؟ بس أنا مش هنوِّلك مرادك.

أطفأ نور المطبخ واتجه إلى غرفة نومه وعيناه تتنقلان بين الأركان المظلمة المنتشرة في المكان. هدأ روعه قليلًا حين وقف يتأمل زوجته التي دفنت نفسها تحت طبقات من الأغطية تقيها برد الجو، ثم قبَّل رأسها التي لا يظهر منها إلا شعرها الأسود.

بأقل ضجيج ممكن أبدل "يوسف" ثيابه وانسلّ تحت الأغطية. رمى زوجته بنظرة حانية حاملةً وعدًا غير منطوق: هنرجِّع أيّام زمان إن شاء الله يا "ليلى".

اعتدل ليواجه الشباك المؤدي للشرفة وأغلق عينيه. حاول بشتى الطرق أن ينسى ما حدث في المطبخ لكن بعد كل ما مر به، هل يعرف النوم له طريقًا؟

إنه يشعر به.

يشعر بوجوده حوله. يكاد يجزم أنه يرى شيئًا ما في هذا الركن المظلم. وخلف الستائر. و...

لا بد أن يتركوا هذا البيت.

لا بد...

لكنه لم يكن قد قرر بعد هو و"إيهاب" إن كان تركهم منازلهم سيقيهم شر هذا الضيف أم سيلاحقهم أينما ذهبوا. ما كانوا يثقون به هو أن غرفة "حسن" ملاذ آمن قد صنعته له "توحيدة" يجب أن يجدوا له بديلًا إن أرادوا أن يُخرجوا "حسن" منها.

إن التفكير يكاد يدفعه للجنون.

هل هذا صوت تقليب ملعقة في كوب؟

فتح "يوسف" عينيه وأنصت بقوة. تذكّر كوب الشاي الذي لم يُنهِ إعداده. رمى نظرة خاطفة إلى البيت المظلم خارج الغرفة وانتظر أن يسمع الصوت مرة أخرى، لكن ما سمعه هو صوت شخص ما يمشي في الردهة.

إنه يقترب.

أدار "يوسف" رأسه بحذر لينظر إلى باب الغرفة. صوت الخطوات وصل عندهم. غطّى وجهه بسرعة وبدأت أنفاسه تتسارع عندما ظهر ذراع رداء أبيض. توقفت الخطوات. صوتُ نَفسٍ عالٍ. مَّد يده لأسفل الفراش. هناك يعلم بوجود الحديد الذي يمارس به الرياضة. سوف يلتقطه ويهجم على هذا الشخص.

إنه الآن داخل الغرفة.

أعصابه تكاد تنفلت.

الآن هو عند الفراش.

شعر "يوسف" بشخصٍ يستلقي بجواره فالتفت ليجد "ليلى" تغطي نفسها من جديد. تنفّس الصُعداء وسحب يده المرتعشة من تحت الفراش وهو على وشك الضحك بصوتٍ عالٍ.

لقد كانت "ليلى". لا بد أنها شربت كوب الشاي الذي تركه في أوائل مراحل إعداده.

- خضيتيني يا "ليلى".

لم ترد.

يا سخيفة. معلش بكره حنصلّح اللي اتكسر بينا.

همَّ بإغلاق عينيه لكنه رأى وميضًا. مد يده ونظر في محموله ليجد رسالة. لا بد أنها سبب الإضاءة المفاجئة.

إنها من "ليلى".

إيه؟؟؟

التفت ليجدها نائمة بجواره.

فتحها. إنها صورة.

تجمَّد الدم في عروقه. إنها صورة واضحة له وهو نائم وبجانبه "ليلى" تحت جبال الأغطية.

إنها صورة لهما وهما نائمان... الآن.

جاءته رسالة أخرى.

صورة أخرى له وهو راقد على جنبه وبيده المحمول.

إنها صورة له في هذه اللحظة ذاتها.

نظر حوله وقد استنتج أن الضوء الساطع الذي رآه منذ قليل لا بد أنه الفلاش المستخدم والضروري للتصوير في هذا الظلام نظر مُجدَّدًا للصورة وقلبه يكاد يقف باستنتاج هندسي بسيط لمنظور الصورة شعر "يوسف" أن المصوِّر في الدولاب نظر هناك فوجده مُوازِيًا.

هناك ضوء يتحرك داخله. شخص يمسك بمحمول ويلوِّح له. وعندما قرَّب هذا الشخص بالمحمول من وجهه استنتج هُويَّته. يا إلهي!

إنها "ليلى".

حاول "يوسف" ابتلاع ريقه مرة أخرى لكن حلقه كان جافًا تمامًا لم يقوَ على الالتفاف ليرى مَن ينام بجانبه لكنه أزاح الغطاء عنه بحذر شديد أخرج قدميه ووضعهما ببطء على الأرض ثم توقف عن الحركة وهو في وضع الجلوس؛ ليرى مدى نجاح محاولته في عدم لفت انتباه مَن يرقد خلفه. نظر إلى الدولاب فوجده يُفتح ببطء.

مهلًا. ماذا لو كانت من ترقد على الفراش هي "ليلى" ومن يخرج من الدولاب الآن هو الضيف؟

انحنى ليلتقط قطعة الحديد وزن العشرة كيلو لكنه وجدها أثقل من أن يستخدمها في قتال. أبدل بها أخرى ذات الخمسة كيلوجرامات واعتدل ليجد "ليلى" واقفة أمام الدولاب.

ضوء الشارع الكئيب الذي ينساب من بين الشيش جعل إعياءها واضحًا له. عين دامية من كثرة البكاء ووجه مُكفهِرّ. لا بد أنها ظلت على هذه الحال لفترة طويلة. ربما منذ أن تبادلا الرسائل صباح اليوم. لا بد أن من يرقد في الفراش الآن هو من كان يلتقط لها الصور ويرسلها إليه.

مدَّ يده لها فاندفعت لتستقرَّ بين أحضانه. بدأ نشيجها يعلو حتى خشي "يوسف" أن توقِظ الراقد بجوارهما.

"شششش"، "يوسف" هامسًا وهو يضمها إلى صدره كي يعطيها شعورًا بالأمان يفتقده هو بشدَّة. من دون كلام تبادلا الإشارات أن يخرجا من الغرفة بعد أخذ متعلقات سريعة بأقل صوت. عيناهما على النائم.

اتجها إلى باب الغرفة لكنهما تسَمرا عند طرف الفراش عندما تقلَّب النائم تحت الأغطية. احتضن "يوسف" زوجته بقوة كي لا تصرخ وأغمض عينيه عندما أصدر الخشب تحت أرجله صريرًا.

ما صوت التنفس هذا؟ إنه أشبه بلَهاث كلب.

هل هذه زمجرة؟

الغطاء يتحرك.

إنه أو إنها تصحو.

حان وقت الركض.

هنا سمع الصوت الذي رجّ العمارة وأيقظ المنطقة بأكملها.

*****

(13)

تحتهم بطابق وفي غرفة مشابهة مرّ الوقت على "إيهاب" ببطءٍ شديدٍ وهو نائم بجوار "سلمى" لكنه مع اقتراب الفجر لم يعُد يشعر بها التفت ليطمئنّ عليها ليُصدم عندما لم يجدها بجواره على الفراش .

اضطر أن ينهض ليبحث عنها وخرج من الغرفة متسائلًا:

- هو أنا طفّيت نور الطرقة إمتى؟

إن الظلام حالك أكثر من المعتاد. أكثر من المنطقي.

خرج للصالة حيث يأتي ضوء ما. عندما وصل إليها وجدالباب الذي يقود للشرفة مفتوحًا. هناك رأى "سلمى" تقف في منامتها عند سور الشرفة مباشرة. كانت تفعل شيئًا جمَّد الدم في عروقه.

دون أن تُصدر أي صوت، أخذت تشير للنيل وتقوم بإيماءات وحركات بيديها كأنها تدعو شيئًا ما لمنزلها.

- "سلمى!!".

هتف بها والغضب يملؤه. إنها تفعل مثلما كان راكبو الميكروباص يفعلون.

كلّا. لن يسمح بدخول هذا الشيء لبيته.

توقفت "سلمى" عن الحركة كأنها تحولت إلى تمثال.

صرخ في قرارة نفسه: لأاا. مش هسمحلَك تاخد "سلمى".

انقضَّ "إيهاب" على زوجته واحتضنها بكل قوة... وكل حب.

- "سلمى!".

ناداها مرة أخرى لكنها لم ترد هذه المرة أيضًا. بدأ يتحرك بها للصالة وعيناه على النيل، أو بالأحرى، على البَرّ التاني. شعور كاسح أن هناك مَن ينظر إليه. ولكنه لا يراه. أغلق باب الشرفة وأجلس "سلمى" في الصالة.

- "سلمى"! حبيبتي. مالك؟

لا رد. فقط نظرات تائهة إلى لا شيء. أسرع للمطبخ كي يأتي بكوب ماء. فتح الثلاجة ثم تسمَّر مكانه.

تسمر "إيهاب" عندما رأى بقايا الطعام التي لم تكن على الأرض منذ دقائق بدأ يتتبَّع بقايا الطعام فوجدها تقود إلى باب المطبخ التفت لينظر خارجه علّه يرى شيئًا لكن بعد أن أغلق باب الشرفة بإحكام أصبح الظلام يفرد سطوته على شقته. لا يمكنه رؤية شيء. تقدم ليخرج إلى الممر واثقًا كل الثقة أن من يسبب بقايا الطعام تلك يتجول في شقته الآن.

هل فات الوقت فعلًا كما قال "هارون"؟

هل الضيف في بيته بالفعل؟

أضاء نور الرَّدهَة ووقف على أعتاب المطبخ يحدِّق في بقايا الطعام. لمح "سلمى" وهي في مكانها تجلس في ثبات في الصالة.

شكلك دعيتيه وخليتيه يدخل بيتنا يا "سلمى". وكله بسببي.

نظر مجددًا لبقايا الطعام فوجدها تقود إلى الغرفة الصغيرة. رغم أنه يعلم عدم جدوى الرصاص في ذلك الذي يتجول في بيته، سحب "إيهاب" سلاحه من فوق الطاولة الصغيرة بجوار الغرفة الرئيسة وتقدم ناحية الغرفة الصغيرة.

لقد داهم مقزّاتٍ لعصاباتٍ خطيرة من قبل لكنه لم يشعر بهذا النوع من الخوف أبدًا.

بينما كان يختصر المسافة بينه وبين الغرفة بخطوات غير واثقة سمع صوتًا تمنى ألّا يسمعه. هناك مَنْ فتح أحد أدراج المكتب الصغير بالداخل.

وصل للغرفة وأسند ظهره على الحائط الملاصق لها قرر أنه سوف يباغت مَنْ بالداخل كاد يضحك من سخف هذه الفكرة فكلاهما يعلم بوجود الآخر، وإن كان هناك من سيُفاجأ فسوف يكون هو بالتأكيد عندما يصبح وجهًا لوجه مع الشيء الذي بالغرفة سوف يعرف معنى الخوف، هذا مؤكد.

إنه يمرح بالداخل غير عابئ بمفاصل "إيهاب" التي ترتعد خارج الغرفة. ألقى الأخير نظرة خاطفة داخل الغرفة ارتدّ بعدها لموقعه لكنها لم تكن كافية لتحديد مكان زائر الظلام هذا. الظلال التي يسببها ضوء الشارع وقطع غرفة "حسن" القديمة تتلاعب بمُخيّلته.

- إنت دخلت هنا إزاي؟

لم يأتِ رد من الداخل.

حان وقت المواجهة. أخذ "إيهاب" القرار واقتحم الغرفة شاهرًا سلاحه ومد يده ليفتح النور في نفس الوقت.

اللعنة على هذا الدولاب. إنه ما زال يحجب زِرّ النور. لا يهم. ظل في مكانه يحاول أن يجعل عينيه تعتادان على الظلام.

صوت يأتي من يساره.

حوّل فوّهة مسدسه إلى هذا الجانب.

بين الحائط والدولاب ركن مظلم.

أخذ نَفسًا عميقًا وتقدم.

خطا على بقايا الطعام التي تقود إلى هذا الركن.

بدأت عيناه تعتادان على الظلام.

هناك مَن يجلس في هذا الركن.

إنه يعبث في شيءٍ ما.

جفل "إيهاب" عندما طار في وجهه راديو الميكروباص وسقط على الأرض أمامه.

"يا بن الـ..."، قالها وقد أصبح يواجه صعوبة في التحكم في أعصابه. يريد أن يصيح بمن في هذا الركن أن يرفع يده ويخرج، لكن لم يعُد لديه مخزون من الحزم - فقط مزيج رهيب من التوتر والخوف والإثارة.

حسنًا فليتقدم هو ناحيته.

فعل ذلك وفي نفس اللحظة خرج له هذا الشيء.

ما هذا الكائن؟

وقف أمام "إيهاب" قزَم قبيح ذو رأس كبير وشعر أسود لامع غزير. فمُه الكبير عليه ابتسامه عريضة بطريقة مبالَغ فيها. ملامحه كلها لا تتوسط وجهه لكنها مائلة للجانب الأيمن.

تقدم القزم خطوة.

تراجع "إيهاب" خطوة.

تقدم القزم خطوة أخرى غير عابئ بمسدس "إيهاب" المُسدَّد تجاهه.

بلغ التوتر من "إيهاب" مبلغه فصاح:

- خطوة تانية وهفرّغ المسدس ده في رأسك.

- ماما سلمى نايمة؟

- ملكش دعوة بـ "سلمى"!

تقدم القزم خطوة أخرى في نفس اللحظة التي سمع فيها شخصًا بجانبه

تمامًا يقول:

بتعمل إيه يا "إيهاب"؟

انتفض مبتعدًا عن الباب وصوّب المسدس تجاه محدثه ليرى "سلمى" واقفه تدعك عينها.

- سلمى. ابعدي من هنا.

فتحت "سلمى" عينيها بصعوبة ونظرت حولها. وقع نظرها على "إيهاب" فابتسمت، ثم حوّلت بصرها إلى ما يوجه إليه زوجها سلاحه وزادت ابتسامتها إشراقًا.

- "حسن". إنت صحيت يا حبيبي؟

واندفعت لتحتضن القزم الذي كان ينظر إلى "إيهاب" بخبث.

- "سلمى" ابعدي عنه.

نظرت له "سلمى" باستغراب وقالت والقزم في حضنها:

- الله. ليه؟

- ليه إيه؟ مين ده؟!!

- ابننا يا "إيهاب" مالك؟

فتح "إيهاب" عينيه عن آخرهما وتسمّر مكانه. لا يعلم هل يثور أم يبكي. تركها تلتفت إلى القزم وبدأت تحدثه عما أعدته له على العشاء وسدّد سلاحه إليه بهدوء. بهدوء مماثل حوّل القزم نظره إلى "إيهاب" وابتسامته اللعينة ما زالت على وجهه. إنه يتحداه.

من دون سابق إنذار، حولت "سلمى" بصرها ببطء إلى "إيهاب" وتكلمت بصوت غير آدمي أجش:

- فيه حد يعامل ضيوفه كده؟ بس هنقول إيه، إذا كان والدك نفسه ما

نفذش قسمه لينا وحبسنا في الأرض. واضح إن اللي خلّف ما ماتش، أكيد معاملتك مش هتختلف.

ثم انقضّا عليه كلاهما بوحشية.

هنا انطلقت الرصاصة التي أيقظت المنطقة بأكملها.

لكنها لم تخرج من مسدس إيهاب.

ببطءٍ استدار الأخير للاتجاه الذى جاءت منه الرصاصة. هنالك وقف آخر شخص تصور إيهاب أن ينقذه في يوم من الأيام.

*****

(14)

- أشكرك يا أستاذ "أنور". بس زيّ ما قلتك هنستنّاك علشان نقفّل المحضر.

قالها اللواء "راشد" وهو جالس بجوار" إيهاب" في صالة منزل الأخير. حولهم يعجُّ البيت برجال الشرطة وهم يفحصون كل شبر فيه.

- قبطان يا فندم. قبطا...

- خلاص عرفنا. اتفضل مع السلامة.

قال "راشد" بنبرة حادة جعلت وجه "أنور" يحتقن، لكنه التقط بندقيته واستدار مغادرًا من دون كلمة أخرى.

- إزّاي تسيب الأمور توصل لغاية كده يا "إيهاب"؟ إزّاي ما تقولّيش الحقيقة وتخبّي التفاصيل الرهيبة دي كلها؟ إزّاي ماتقولّيش إن التلاتة اللي كنت حاجزهم جايين من بلد مراتك... نفس البلد اللي والدك اختفى فيها؟

كان هذا السيل من الأسئلة موجهًا من اللواء "راشد" بعد استماعه لأقوال أنور عن أحداث الليلة السابقة، وكيف أنه سمع جلبة تأتي من شقة "إيهاب"

وصعد ليجد بابها مفتوحًا كان لتصرفه السريع بإطلاق الرصاص على هذا الشيء الذي هجم على إيهاب الفضل في نجاة الأخير

أما إيهاب نفسه فقد ظل شاردًا وعيناه لا تغادران الجثة الملقاة في الغرفة في آخر الممر من بين تحركات الموجودين وغابة السيقان التي تعوق الرؤية بشكل كبير يحدّق بثبات في الغطاء الأبيض الذي يعلو الجثة.

استطرد راشد:

- ده غير التصرفات الغريبة والمخيفة اللي كانوا بيعملوها. في نفس الوقت حاجات غريبة ابتدت تحصل في بيتك وبيت أخو مراتك. وتيجي تكتفي بإنك تدّيني تقرير الطبيب الشرعي؟

ثم رجع بظهره ليضع ساقًا فوق الأخرى ويغيّر نبرة صوته إلى طبقة منخفضة.

- ده حتى ابن عمّ مراتك جه من البلد دي علشان يتقتل في عمارتك ولسه معرفناش مات إزّاي. كل ده وإيه؟ شايفها صُدَف؟ كنت عايز تعمل إيه يعني؟ كنت هتستنّى لغاية إيه علشان تيجي وتقولّي؟ هه يا سيادة المقدم؟ ما ترد يا "إيهاب".

احتفظ إيهاب بصمته فتنهّد "راشد" وغيّر دفة الحديث قائلًا:

- المدام بخير دلوقت؟

هزّ "إيهاب" رأسه صارفًا نظره إلى جهاز الراديو الخاص بالميكروباص والملقى على الأرض مهشمًا بجوار الجثة:

- أيوه. في شقة أخوها فوق.

أخذ "راشد" من فنجان القهوة رشفة وقال وهو يشير إلى "يوسف" النائم في وضع الجلوس على الأريكة بجوارهم:

- أخوها ده؟

هزَّ "إيهاب" رأسه بالإيجاب.

وضع راشد الفنجان على طَبَقه الصغير ومال ناحية إيهاب قائلًا:

- فيه حاجة تانية منعرفهاش؟ إحنا هنتولى التحقيق من النقطة دي ولازم نكون عارفين كل صغيْرة وكبيرة.

التفت إليه "إيهاب" ببطء وقال:

- مين اللي قال إني عايز مساعدة. أنا اللي هجيب أرار الموضوع ده. أنا اللي هحلّها.

اعتدل راشد في جلسته وقال بنبرة حازمة:

- هتحلّها زي ما حليت مشكلة التلات ركاب؟ مش الراجل اللي ميّت جوّه ده المفروض أهله استلموه إمبارح؟ تقدر تفهّمني ده حصل إزّاي؟

رفع أحد أفراد المعمل الجنائي الغطاء عن الجثة ليظهر وجه راكب الميكروباص البدين. في رأسه ثقب كبير حيث اخترقت الرصاصة جمجمته. لكن لا يوجد دماء.

سؤال سيشجُّ رأس إيهاب نصفين: كيف تحولت جثة القزم إلى جثة راكب الميكروباص؟ استطرد راشد:

- بصراحة أنا حاسس إنك شِلت شيلة إنت مش قدّها.

التفت إيهاب إلى رئيسه:

- الموضوع خلِص خلاص.

راشد: خلص إزّاي؟ ممكن تفهّمني؟

تنهَّد إيهاب وعاود مجددًا النظر للجثة التي انفضَّ من حولها جموع الأطباء والمحققين.

"غالبًا..."، سكت لثوانٍ ثم التفت إلى "يوسف" الذي أكمل ما بدأه صديقه

دون أن يفتح عينيه، وقد تأكدا أنه كان يستمع لحديثهما:

- غالبًا اللي جه عندنا في العمارة هو نفس اللي كان في الزنزانة مع الركاب التلاتة .

نظر "راشد" إلى "يوسف" مقاطعًا:

- اللي هو إيه بالظبط؟

إيهاب: "حاجة اسمها الضيـ..."

فتح يوسف عينيه وأمسك بيد إيهاب وقال:

- إيهاب ممكن كلمة؟

راشد: إحنا هنهزّر؟ عايزين تقولوا لبعض حاجة قولوهاأودّامي. إياكوا تخبّوا عليّا حاجة.

يوسف: سيادتك عايز أقولّه حاجة عن مراته - اللي هي أختي.. ممكن؟

عض راشد شفتيه مغتاظًا وقال:

- اتفضّل قولّه.

انحنى "يوسف" على أذن صديقه وهمس:

- مستحيل يصدق أي حاجة عن الضيف ده. هو مستنيّك تجيب سيرة أي حاجة شبه كده، يعني حاجة من عالم غير بتاعنا زي الجن وخلافه، علشان يقلب عليك ويوريك وشّه التاني.

جاء دور "إيهاب" لينحني على أذن "يوسف" وهمس:

- عندك حق. بس هنقولّه إيه؟

انحني "يوسف" على أذن "إيهاب":

- ارميها في ملعب المعمل الجنائي والطبيب الشرعي.

هز "إيهاب" رأسه موافقًا. هتقعدوا تِتفّوا في ودن بعض كتير؟ قالها راشد فالتفتا ليجداه ينظر إليهما شَزْرًا.

تنحنح "إيهاب" وقال:

- بعتذر معلش. حاجات عائلية.

راشد من بين أسنانه:

- طب ممكن ترد على سؤالي. العيال بتوع الميكروباص دول كان مالهُم؟ إيه هي الحاجة اللي طِلعت من القسم ووصلت بيتك؟

إيهاب:

- معلش سيادتك. بس أنا مش مؤهل إني أوصِّف الحالة بتاعتهم. رأيي إن حضرتك تسأل الدكتور نصيف.

انتفخت أوداج اللواء راشد وهبّ واقفًا بقامته الفارهة ونادى:

- دكتور "نصيف" لو سمحت تعالى عايزك. وإنت ياعسكري مشّي الناس اللي برّه الشقة دُول بالذوق أحسن.

اقترب الدكتور "نصيف" وهو يرمق إيهاب بنظرة متحفِّظة. جلس "راشد" على مقعده ونظر للملف الذي يضمه نصيف إلى صدره بقوة، ثم صوَّب نظراته إلى عين الأخير مباشرةً قائلًا:

- عايز أعرف كل حاجة عن التلاتة دُول. أنا سمعت التقرير الطبي. عرفت إنهم كانوا مليانين سرطانات. عايز أعرف التقرير كامل.

ارتبك "نصيف" وقال:

- سيادة اللواء، لازم حضرتك تعرف إني مكنتش أقصد أخفي معلومات عن حالة المرضى على المقدم "إيهاب". أنا مكنتش لسه كوّنت رأي نهائي وهو في الحقيـ...

قاطعه راشد بنبرة باردة:

- ودلوقتي؟

- الحقيقة لو حضرتك تعفيني من الـ...

هتف به راشد غاضبًا:

- هو شغلنا ده حسب مزاجنا يا دكتور؟! القضية مش عاجباك تقوم تعتذر؟ سيادتك مش بتاخد أجر علي شغلك ده؟

اهتز "نصيف" بشدة حتى إن "يوسف" شعر بالشفقة تجاهه وقال:

- أيوه طبعًا... بس مش هي دي...

استمر "راشد" في جلده:

- يعني مش عمل تطوُّعي. يبقى لما فيه تلات أشخاص بالحالة دي يكونوا في حيازتنا ويتم فحصهم عن طريق جنابك يبقى لازم تذينا كل اللي عندك. مفهوم؟

هبط الصمت على شقة إيهاب وأعين الجميع على نصيف رئيس لجنة الكشف الجنائي. قطرات العرق تلتمع على جبينه رغم برودة الجو وهو يقول بصوتٍ مختنق:

- اللي تؤمر بيه سيادتك بس أنا مش مسئول.

- عن إيه؟ كان رد راشد.

بدأ راشد في استعادة غضبه:

- يعني إيه يا دكتور مش مسئول على اللي هتقوله؟

- لأ مش زي سيادتك فاكر. أنا قصدي إن اللي هقوله ده خارق للمألوف.

- اتفضل اقعد يا دكتور وقول كل اللي عندك. كل اللي بيحصل خارج على المألوف. أنا عارف.

جلس "نصيف" على الأريكة وقال:

- التلاتة ڈول في حاجة في جسمهم بتتصرف زي الطفيليات السرطانية بالظبط.

راشد:

- مرض يعني؟

تردد نصيف ونظر إلى إيهاب الذي أومأ برأسه مُشجعًا إيّاه. التفت الطبيب إلى راشد واستطرد:

- لأ. مش مرض.

راشد:

- أومّال إيه؟

نصيف:

- مش عارفين. بس هي حاجة ليها إرادة وإرادة خبيثة.

صاح "راشد":

- يعني إيه؟؟؟ حد يفهّمني. إيه الحاجة دي؟

ثم التفت إلى "يوسف":

- إيه اللي جه من بلدكوا يا باشمهندس؟

هنا تدخّل "إيهاب":

- علشان أعرف ده لازم أروح هناك.

فتح "يوسف" عينيه غير مصدق وقال:

- هتروح هناك فعلًا؟

"إيهاب" بحزم:

- أيوه. أنا بَعَتْ النقيب أيمن هناك إمبارح وهحضّله النهارده. وهجيب آخر القصة دي. مش هسمح للشيء ده إنه يأذي حد تاني.

تنهّد "راشد" ونظر إلى "إيهاب" مليًا ثم قال:

- في سؤال مهم جه على بالي دلوقتي. زوجاتكم، سيبنهم لوحدهم إزّاي؟ ليه ما سبتوش البيت ده؟ على الأقل لغا القلق ده ينتهي.

تبادل "يوسف" و"إيهاب" النظرات قبل أن يجيب "يوسف":

- هُمّ في شقتي فوق. ومش لوحدهم.

"راشد":

- عمومًا أنا أفضّل نحط حراسة بره باب الشقة لغاية منطّمن تمامًا.

رغم أن الحراسة الحقيقية كانت فيما وضعته "توحيدة" في غرفة حسن، فإنه لم يكن لدى يوسف وإيهاب أي اعتراض على اقتراح راشد.

أنا كمان هروح مع "إيهاب"، قال "يوسف".

وقف "راشد" وقال:

- لا إنت الأول هتيجي معايا علشان في محضر كبير لازم نملاه وبالنسبة ليك يا "إيهاب"، أرجو إنك تكون قولتلنا كل حاجة أنا هدّيك تمانية وأربعين ساعة تكون جبتلي آخر الموضوع ده لو ما حصلش هنضطر ناخد إجراءات أقوى مش عايز ألجأ لها... إجراءات هتفتح علينا نار جهنم.

"إيهاب" بقوة:

- بإذن الله هحلّها سيادتك. أقسملك إني هحلّها.

تسمّر "راشد" عند باب الشقة. ببطء استدار لإيهاب وعلى وجهه نظرة لم يفهمها الأخير. لثوانٍ طويلةٍ ظل راشد يحدق في إيهاب.

- فيه حاجة سيادتك؟ سأله إيهاب باستغراب.

- نفس المشهد. كان رد راشد العجيب.

وقف "إيهاب" احترامًا لمن يخاطبه وقال:

- مش فاهم سيادتك. قصد سيادتك إيه؟

استطرد "راشد" قائلًا:

- نفس موقف والدك من سبعة وعشرين سنة. نفس البلد اللي كان رايحها ونفس القَسَم.

- سيادتك كنت معاه؟ في الليلة اللي اختفى فيها؟

كان سؤال إيهاب. أطرق راشد للحظةٍ قبل أن يرفع عينيه ويقول:

- والدك نفَّذ أهم جزء من وعده يا إيهاب، وحل المشكلة ساعتها.

علق "إيهاب" بصوت مخنوق:

- بس مرجفش. حل المشكلة بس مرجعش. وأنا دلوقتى بس، بعد سبعة وعشرين سنة، ابتديت أفهم ليه.

راشد:

- أديك في نفس الموقف أهوه. رايح نفس البلد علشان غالبًا نفس الحكاية وزّينا هتعمل إيه بس خلّي بالك، والدك كان ظابط عظيم وكان بيحبك جدًا... ورغم كل ده زي ما إنت قلت، مرجعش خليك ثابت وخد حذرك وفتّح عينك كويس لأن اللي هاتشوفه في بَرَ الضِّيف هايكون فوق العقل .

ثم التفت ليغادر الشقة لكنه توقف بعد خروجه من الباب مباشرةً وقال:

- وحاول ترجع.

*****

(15)

رنّت كلمات "راشد" في ذهن "إيهاب" وهو ينهب الطريق الدائري نهبًا. ما الذي ينتظره في بَرّ الضيف؟ هل ينتظره ما واجهه والده منذ أكثر من ربع قرن؟

سؤال يكاد يقوده للجنون: ما الذي فعله والده في بر الضيف؟ وما الذي رآه اللواء راشد ليلتها؟

سرح في كرسي وثير مهمل وملقى على الرصيف الذييتوسط الطريق، كرسي مَهِيب يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ كراسي الأمراء والملوك وبجواره زجاجة متسخة.. من حالة الكرسي وكَمّ الأتربة التي تغطيه يوحي إليه أنه أمضى الجزء الأكبر من حياته مُلقًى في الشارع.

شيئًا ما يجذبه لهذا الكرسي، مشهد ضبابي لشخص يجلس عليه لا يرى ملامحه.

- "إيهاب" باشا، من هنا. هَتفَوْت الفتحة. سيادتك سرحان في إيه؟ كان نداء سعيد.

انتبه "إيهاب" للطريق وانحنى بالسيارة بحركة مفاجئة قوبلت بنفير أبواق غاضبة من باقي السيارات نظر بعدها في المرآه للكرسي ليجده خاويًا كما كان فالتفت ليكمل طريقه ما إن ترك الطريق الدائري حتى وجد فرع النيل المسمى بالريّاح الناصري على يمينه والأراضي الزراعية على يساره.

بنبرةٍ واثقةٍ قال "سعيد":

- يا باشا متقلقش.

- مقلقش؟ بعد كل اللي حصل ده ومش عايزني أقلق؟ لأ قلقان طبعًا. إحنا رايحين حتة مجهولة لمصر كلها، حتة شبه محرَّمة. ده غير إننا مش عارفين المفروض نعمل فيها إيه. حتى المأمور بتاعها مش طايقنا.

جاءت ابتسامة سعيد غير واثقة وقال:

- الرائد "ثروت" فاهم يعني إيه ابن الدماطي سيادتك. أكيد هو مخبّي حاجة وخايف تطلع بزّة بَرّ الضيف.

عقد "إيهاب" حاجبيه مفكرًا في كلام "سعيد" ورماهبنظره خاطفة لكنه لم يعلق. أخذ نَفَسًا عميقًا ثم تنبّه لشيء ما: نفس الكرسي الوثير مرة أخرى يربض على جانب الطريق..

- مش الكرسي ده شفناه من شوية؟ تساءل "إيهاب".

- كرسي مين يا فندم؟ خلّي بالك سيادتك إحنا قرّبنا من البلد.

اقتربا من مزلقان قطار فهدّأ "إيهاب" السرعة ليقف عند الحاجز. استمعا للسرينة التي تُنذر باقتراب القطار. لفت انتباههما ضابط أبيض البشرة يقف بجانب كُشك مراقب القطار. ما إن وقع بصره عليهما حتى لوّح لهم بحماس وأسرع إليهما.

- مش ده "أيمن"؟ سأل "سعيد".

- أيوه. أنا بعتُّه هنا من إمبارح علشان يمهد للمهمة.

حيّا الضابطان النقيب "أيمن" وأشار له "سعيد" أن يصعد للسيارة. ففتح الباب الخلفي بنفس الحماس غير المبرّر وقال وهو يجلس في الخلف:

- Welcome سيادتك، غرب الجيزة كله نوّر يا باشوات. ده الرائد "ثروت" استقبلني استقبال زي الزفت إمبارح. بس واضح إن اللواء "راشد" كلّمه النهارده وظبّطه. راح طالع من الصبح بَرّ الصُيف علشان يجهز لـ field visit بتاعة سيادتك.

بعصبية قال "إيهاب":

- "أيمن".. بقولّك إيه.. نروح على فين؟

ابتسم "سعيد" والتفت لينظر إلى أيمن فوجده أحمر الوجه من الخجل

فقال له:

- معلش يا أيمن. إنت معرفتش أصلك اللي حصل إمبارح.

- طبعًا مافيش حاجة. No problem

توقفت السّرينة عن الصراخ وفُتح الحاجز فانطلق "إيهاب" ثم كرّر طلبه:

- السكّة لو سمحت.

تململ "أيمن" في جلسته وجال بعينيه بين "سعيد"ومؤخّرة رأس "إيهاب". قام الأخير بالضغط على مكابح السيارة بعنف ووقف بالسيارة على جانب النهر. مسح بكفّه على وجهه كأنه يهدّئ من غضبه ونظر إلى "أيمن" في المرآة قائلًا:

- ممكن توصلنا للمركز؟

اعتدل "أيمن" وقد دبّ فيه الحماس مجددًا وقال:

- لو على المركز سهلة. إحنا هنوصل للجسر ونكلم "ثروت" باشا. هو بعد كده اللي هيوصلنا لبرّ الضّيف. Peace of Cake.

- يلعن أبو الإنجليزي. خلاص.. وِدينا عنده.

- إحنا هنتحرك يجي نص كيلو كده وبعدين نقف عند الجسر.

بعد يجي نص كيلو كده توقف "إيهاب" في مكان ينحني الطريق فيه يسارًا. أمامهم حائط من الأشجار العالية والزراعات الكثيفة إلى يمين خط الأشجار العملاقة يصل جسر خشبي قديم بين جانبهم والبر الآخر الذي هو عبارة عن جبال وتلال جدباء من حالة الجسر المهترئ والأعشاب العشوائية التي كادت تخفي ملامحه استنتج "إيهاب" أنه لم يعُد يُستخدم هذا غير أنه مغلق بحاجز أمني عتيق.

نظر "إيهاب" إلى امتداد فرع النيل، خلف حاجز الأشجار الضخمة، فوجده ينحني يمينًا مما مكّنه من رؤية ما هو أقرب للأحراش منها لأرض

زراعية على مرمى البصر. الحشائش تصل إلى المتر ارتفاعًا وأشجار المانجو غير مُعتنى بها. لا يكاد بصره يصل لأبعد من أمتار قليلة.

- أرض القطّان سعادتك.

قالها "أيمن" بفطنة ثم استطرد:

سألت عليها إمبارح قالولي هي على حالها كده من سنين محدش بيعتني بيها ولا بيهوّب ناحيتها. كلها تحت الحراسة سيادتك. مش عارف أنهي جهة بالظبط اللي فارضة عليها الحراسة دي.

التفت إليه "سعيد" وسأله:

- لسّه الحراسة شغالة؟

- أيوه. بس كان فيه محاولة لفتح السور من أسبوعين ومنجحِتش. غالبًا التلاتة اللي كانوا عندنا في القسم.

يبقى استنتاجنا كان سليم أنا و"يوسف"، فكر "إيهاب".

نظر "أيمن" إلى الطريق خلفهم وقال:

- أهوه. "ثروت" بيه جه.

تابع "إيهاب" و"سعيد" و"أيمن" اقتراب البوكس الذي يقوده عسكري وبجانبه ضابط عريض الوجه أحمر ذو عينين ضيقتين وأنف رفيع. وليس لديه شارب.

غريب. إن الشارب لهو ختم الداخلية خصوصًا في المناطق الزراعية. هذا جعل "إيهاب" ينظر إلى "ثروت" بمنظور مختلف. كان "ثروت" يتابعهم هو الآخر حتى توقف البوكس خلفهم. ترجّل "ثروت" من البوكس وتوجّه إليهم.

- "إيهاب" باشا. نوّرت العلاتمة.

مد "ثروت" يده فتلقاها "إيهاب" وقال:

- شكرًا سيادة الرائد. أرجو إننا منكونش عاملينلكوا دوشة.

رسم "ثروت" ابتسامةً بدت أقرب إلى امتعاضة وقال بنبرةٍ رسمية:

- اللي سيادتك تؤمر بيه.

لم يَرُق لـ "إيهاب" كثيرًا لهجة "ثروت" لكن الرجل لم يخطئ. هذا بالإضافة إلى أن الموضوع الذي هم بصدده ليس بالهيّن.

اعتدل "ثروت" في وقفته وهو يقول بمنتهى العملية:

- دلوقتي الموضوع اللي سيادتك كلمتني فيه كان محتاج تجهيزات مطوَّلة وترتيبات، لكن توصيات سيادة اللّوا "راشد" تتخطى كل التحديات. في زمن قياسي قدرت أجهز لسيادتك زيارة بكرة لبرّ الصُيف...

ببرودٍ وحزمٍ قاطعه "إيهاب":

- مينفعش.

سأله "ثروت" باستغراب:

- هو إيه سيادتك اللي مينفعش؟

بنفس البرود رد "إيهاب" بعد أن عقد ساعديه أمام صدره كعادته:

- مينفعش نستنّى لبكرة. اليوم بيفرِق.

ألقى نظرة خاطفة إلى مساعديه ثم استطرد قائلًا:

- فيه حاجات ممكن بكرة تكون راحت خلاص.

رفع "ثروت" حاجبيه وقال بنبرة فيها لمحة تهكُّم:

- يوم إيه سيادتك اللي هيفرق؟ دي بلد نسيها الزمن ونسيها أهل المنطقة كلها. ده حتى سجلّاتها والدليل الوحيد على وجودها هو دفتر صغير قرَّب ياكله الدود في درج مكتبي. زي ما تكون الحكومة نفسها عايزة تنسى

حكايتها. وبعدين معلش في السؤال، هو إيه اللي ممكن يكون بيحصل عندكم وليه علاقة بقرية قربت تنتهي وينقرض نسلها على بعد عشرات الكيلومترات؟ ده مافيش حاجة مشتركة بينكم وبينها غير النيل. والنيل ده هو الـ...

توقف فجأةً عن الكلام ونظر إلى الريّاح الناصري الذي يجري بجوارهم ثم نظر إلى "إيهاب". كان الأخير يرمقه بثقةٍ وعلى شفتيه ابتسامة غامضة اختفت عندما تكلم قائلًا:

- بالظبط كده سيادتك. فيه حاجات كتير مشتركة بينًا وبين البلد دي. وأظن سيادتك عارف إيه تاني مشترك بيني أنا شخصيًا وبين البلد دي.

تردد "ثروت" للحظةٍ قبل أن يقول:

- بس حتى لو أهل البلد وافقوا على دخولك البلد نفسها، مش لغاية ساحة السوق بس ودي هتبقى الواقعة الأولى من نوعها من ربع قرن، فده برضه هيبقى لنهار يوم واحد وهتبقوا تحت مراقبة لصيقة بعد المشكلة اللي حصلت من المطاريد التلاتة من أسبوعين. فبقُول يعني نخلّيها بكرة علشان يبقى عند سيادتك يوم طويل تعمل تحرياتك براحتك.

بحزمٍ قاطعٍ أضاف "إيهاب":

- النهارده.

هنا تدخل "سعيد" وقال:

- مَنزُوح النهارده وناخد قد ما ناخد. انشالله نقعد للصبح.

دون أن يدير عينه عن "إيهاب" رد "ثروت":

- مافيش غريب بيقعد في بَرّ الضِّيف ولا الساحة اللي بَرّه بعد المغرب. لما الليل ييجي لازم أهل البلد يمشُّوا الناس ويقفلوا على نفسهم.

باستغرابٍ شديدٍ سأل "سعيد":

- حتى لو الشرطة؟

رد "ثروت" قائلًا:

- حتى لو الشرطة. والتعليمات عندنا بتقول كده: محدش يقعد في بَرّ الضَيف بعد المغرب. والصراحة محدش جاتله الجرأة. وأظن سيادتك عارف مين اللي اتفق مع أهل البلد وقنّن القواعد دي.

تجلى الفضول واضحًا في عين "سعيد" و"أيمن" وسأل أولهما:

- مين؟

تبادل "ثروت" و"إيهاب" نظراتٍ طويلةً ثم قال "ثروت":

- والد "إيهاب" باشا. العميد "يسري الدماطي" .

رفع "أيمن" حاجبيه مشدوهًا وقال:

- Seriously؟ بس ليه؟ إيه اللي بيحصل في البلد دي بالليل؟

تدخّل "سعيد" قائلًا:

- ممكن نحكي الحكاية وإحنا ماشيين؟ الساعة عدت تلاتة وفاضل بتاع ساعتين على المغرب.

تدارك "ثروت" نفسه واستعاد لهجته الرسمية وقال:

- كلام النقيب... معلش اسمك معرفتوش لغاية دلوقتي.

- النقيب "سعيد" سيادتك.

- أهلًا وسهلًا. كلام النقيب "سعيد" مظبوط. اتفضلوا بينا على أغرب قرية في جمهورية مصر العربية.

*****

(16)

قُرب عصر اليوم نزل "يوسف" من سيارة الأجرة أمام عمارته وقام بمحاسبة السائق دون فِصال رفع عينه لينظر إلى سطح العمارة لكن كل ما رآه هو السور وطرف السلم الخشبي الذي يتوسط السطح ولا يصل لشيء لفت انتباهه العسكري الرابض أمام مدخل العمارة. تنهد هامسًا:

- إنتي فين بس يا عمتي؟

شخصٌ ما ناداه:

- كنت فين يا "يوسف" يا بني؟

التفت ليجد أستاذ "أنور" في بذلته الستينية وحذائه الأبيض يتجه إليه.

- كنت بَذلِي بأقوالي في المديرية، قالها يوسف بعزيمةٍ واهنة.

توقف أنور أمامه وقال:

- أنا سبقتك الصبح.

- مش عارف أشكرك إزاى يا سيادة القبطان. أنت أنقذت حياة أختي وجوزها.

- إيه اللى كان في شقتها ده يا يوسف يابني؟ أنا متأكد إني ضربت النار على شخص صغير مش الفلاح اللي لقينا جثته.

تنهَّد "يوسف" وقال:

- مش عارفين يا أستاذ أنور. مش عارفين. إحنا في كارثةواللي إنتوا شفتوه ده جزء صغيِّر منها.

خلف أنور مرَّ الأستاذ فاروق وزوجته وإيهاب وبدا ليوسف أنهما يتحاشيان النظر إليه.

- شفت؟ حتى جيرانًا بقي بيخافوا مِنّنا.

- أنتم زي الفل والله يا باشمهندس.

جاءت هذه الجملة بصوتٍ آخر فنظر يوسف خلفه ليجد عوده يتقدم تجاهه ويتوقف بجوار أنور:

- هُمّ بس خايفين من اللي شافوه اليومين دُول إنما إحنا معاك لحد الغُمّة دي ماتنزاح ما عفريت إلا بني آدم ولو كان عفريت بجد حتّى ماتقلقش يا باشمهندس.

ابتسم يوسف له مجاملًا واستدار ليصاحب أنور داخل العمارة. نظر مرةً أخرى إلى سطح العمارة وقال لعُودة:

- عمتي لسّه ماجتش يا عودة؟

عودة مستغربًا: مجتش منين؟

- من السفر.

- سفر؟ هي سافرت إمتى؟

توقف يوسف وفعل أنور مثله والتفتا إلى عُودة. ببطءٍ حَذِرٍ سأل يوسف:

- هو إنت متعرفش إنها مسافرة من الجمعة؟

حدّق عودة في يوسف ببلاهة ثم بعد ثوانٍ سأله:

- مسافرة من يوم الجمعة إيه يا باشمهندس؟ الستالكبيرة في بيتها من ساعة عيد ميلاد البيه الصغير. خرجت يوميها الصبح من غير هارون ورجعت على المغرب. بس تلاقي حضرتك كنت ملهي عنها حبتين.

يوسف وقد بدأ يحتد:

- في بيتها إيه يا جدع إنت؟ دي مشيت يوم الجمعة وقالتلي إنها رايحة تزور جد (حسن).

بُهت عودة من حدّة يوسف وظل على ثباته كتمثالٍ أصمّ. تدخل أنور

قائلًا:

- متأكد يا عودة؟ انا راخر مشفتهاش من ساعتها.

- متأكد إيه يا أستاذ أنور؟ قال يوسف بعصبية.

عودة مشيرًا إلى السطح بلهفة:

- أهو بُصّ أهو.

نظر الرجلان إلى السطح ليجدا ذراعًا مدلّاةً خارجالسطح ثم سحبها صاحبها. جرى يوسف عابرًا الشارع مبتعدًا عن العمارة ليُتاح له رؤيه السطح أفضل لكنه لم يرَ أحدًا. اتخذ قراره وعبر الشارع عائدًا وانطلق صاعدًا كالسهم.

* * *

كالصاروخ صعد "يوسف" السلّم وعبَر الطابق الذي به شقته. ألقى نظرة سريعة على "صالح" الذي هبّ واقفًا ليؤدي له التحية.

- كل شيء تمام يا "صالح"؟

- تمام سعادتك. الهوانم جوّه وبأمان.

شعر "يوسف" أن كل شيء مستقر فأكمل طريقه للسطح. هناك حتمًا سيجد الإجابة الوافية من عمته.

هذا هو الطابق الأخير.

أم هو قبل الأخير؟

مهلًا ما هذا الطابق؟

وقف "يوسف" أمام السلم المفترض أنه يؤدي إلى السطح مباشرةً حيث شقة عمته، لكنه يرى في أعلى السلم طابقًا آخر بينه وبين السطح نظر في منور السلم وقام بعَدّ الطوابق هذا هو الطابق الأرضي يليه الطابق الأول

حيث يسكن "أنور" و"خليل". ثم الطابق الثاني حيث يسكن "إيهاب" وأمامه الأستاذ "فاروق"، فالطابق الثالث حيث يسكن هو ويليه الرابع حيث به شقتان دون سكان.

إذًا ما هذا الطابق الذي يقف أمامه؟

هذا طابق لم يكن هنا من قبل. طابق مظلم تمامًا يحول بينه وبين عمته.

من المنطقي أن يتراجع أي شخص أمام موقف كهذا لكن ليس إن كان في حالة "يوسف". تملّكه غضبٌ عارمٌ نابعٌ من قلة حيلته وإحساسه بأنه قطعة في رقعة شطرنج يلهو بها هذا "الضيف". اتخذ قراره وتقدم صاعدًا إلى الدور العجيب.

بحذر صعد الدَّرَج المظلم درجة درجة مستعينًا بدرابزين السلم. إن الضوء الصادر من الطوابق الأخرى لا يصل إلا جزء صغير منه إلى هذا الدور هذه هي آخر مجموعة من الدرجات واستعد "يوسف" لرؤية باب شقة عمته لكنه لم يرَ شيئًا فقط الظلام المُطبِق كالذي رآه عندما بدأ في صعود السلم وجد أنه ما زال عند بداية السلم للدور المظلم.

هل كان هناك طابق آخر بينه وبين الطابق المظلم؟

هز "يوسف" رأسه متعجبًا وانطلق ليصعد السلم المظلم. هذه المرة كان أسرع بما أن عينيه بدأتا اعتياد الظلام. ها هو يتخطى آخر مجموعة من الدرجات. لكن أين شقة عمته؟

نظر في المنور ليجد نفسه ما زال في الطابق المظلم. تحته أربعة طوابق وفوقه طابق السطح حيث شقة عمته. معنى هذا أنه لم يتحرك من مكانه. قرر أن يجرب النزول. فبدأ في تنفيذ فكرته لكن ما إن وصل لنهاية السلم المظلم من الأسفل حتى وجد نفسه حيث بدأ.

انتفض عندما شعر بشيء يعبُر بجانبه. إنه متأكد. إنه يسمعه؛ شخص أو كائن ما يلهث في طريقه للصعود. عندما تلاشى الصوت انطلق صاعدًا

ولكن نفس النتيجة. إنه ما زال في الطابق نفسه.

جفل مرة أخرى عند عبور هذا الشيء بجانبه مصحوبًا بنفس صوت اللّهاث الذي بدا له بين لُهاث الإنسان والكلب وقف في ركن السلم كي يتابع حركة هذا الشيء ها هو يعاود المرور من جانبه مرة أخرى صعد "يوسف" خلفه هذه المرة لكنه وجد نفسه حيث كان. ثم مر هذا الشيء الصاعد بجانبه مرة أخرى متجاهلًا إيّاه تمامًا.

تذكر انك حملت تلك الرواية من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هتظهرلك .

توصل "يوسف" إلى استنتاج مخيف.

لقد علق.

وهناك شيء آخر علق معه.

*****

(17)

وقف رجال الشرطة الأربعة أمام البوكس عند منحنى الطريق أمامهم، في امتداد الطريق نفسه، كثافة زراعية كبيرة وأشجار عالية تحجب الرؤية عما خلفها للوهلة الأولى، للمارّة الذين لا يبحثون عنه بالتحديد، لا يظهر المدقّ الصغير الذي يمتد من الطريق الرئيس ويختفي تحت الأشجار المتشابكة.

فوق الأفرع المتداخلة يقف عشرات من الحمام بهدوء مريب كأنه جزء من لوحة صمّاء. على يمينهم فرع النيل وفي البر الآخر جبال وتلال قاسية وسط أراضٍ جدباء غير مأهولة.

- محدّش بيخُش بَرّ الضِّيف من الناحية دي، محدش غير اللي عارف

إزاي.

قالها "ثروت" قبل أن يقترب ليقف ملاصقًا للأشجار التي تسد الطريق. تبادل "إيهاب" النظرات مع "أيمن" و"سعيد" ثم هز كتفه وأشار لهم كي يذهبوا ويقفوا مع "ثروت".

هناك رأوه يفعل شيئًا عجيبًا.

بهدوء شديد مدّ يده إلى جانبه ليُخرج مسدسه شدّ أجزاءه ونظر إلى "إيهاب" ثم استدار ليواجه الأشجار الكثيفة التي ينتهي بها الطريق العمومي قبل أن ينحني يسارًا نظر كُلّ من "إيهاب" و"سعيد" و"أيمن" لأسراب الحمام الرابضة على الأفرع المتشابكة مازالت في مكانها كأنها تماثيل ليست بها حياة. رفع "ثروت" مسدسه باتجاه الأشجار المتشابكة وأطلق النار.

ما حدث بعدها كان شيئًا أغرب.

إثر إطلاق النار تفرّق الحمام في كل اتجاه. هذا كان متوقعًا. تابع "إيهاب" أسراب الحمام تحلق بينما هتف "أيمن":

- "What the hell". ?!!!

باندهاش تامّ خُيّل إليهم أن الأشجار تتحرك. لا بد أنها تتحرك، فها هو المدق يظهر بوضوح أمامهم.

بحركة مسرحية أشار "ثروت" للضباط الثلاثة قائلًا:

- يالّا بينا

* * *

في ساحة السوق وقف الضباط الأربعة بجانب بوكس الشرطة وحولهم ينتشر الخفر وأعشاش الباعة وفرشهم نما إلى علم كُلّ من "إيهاب" و"أيمن" و"سعيد" أن ساحة السوق الصغيرة تلك تقع على مشارف قرية بَرّ

الضَّيف وهي في العادة آخر منطقة مسموح بوجود أغراب فيها.

- إيه اللي إحنا شفناه بره ده يا فندم؟

كان سؤال "سعيد" والعرق يلمع على رأسه الحليق.

لم يرد "إيهاب" بل ظلَ يراقب "ثروت" وهو يخاطب أحد الخفر.

أعقبه سؤال "أيمن":

- سيادتك شفت الطريق ظهر إزَّاي لما الحمام طار؟

"إيهاب" بعصبية:

- شفت شفت. النيلة اللي إحنا فيها، دي فعلًا أغرب بلد في جمهورية مصر العربية زي ما "ثروت" قال. ماكدبش الراجل. اقعدوا ساكتين بقى مش عايزين أسئلة. مفهوم؟

- "تمام سيادتك" كان ردهم المزدوج.

بأعين متمرِّسة، راقب رجال الشرطة الثلاثة أركان السوق. لم يمرَّ الكثير على وقفتهم تلك حتى تمكَّنوا من ملاحظة التفاصيل الغريبة للمكان:

البوابة الخشبية الصغيرة المغلقة في آخر الساحة والسور الشائك حولها.

القماشة المخططة أبيض في أسود والمربوطة على بعض الأشجار خلف السور الشائك.

المراحل العمرية للموجودين وتضاؤل عددهم كلما قل عمرهم.

الصفائح المعدنية المثبتة في جوانب المصابيح.

هذا بالإضافة إلى الجو العام من عدم الوُدّ المعروف في الفلاحين. فلا دعوة لشرب شاي ولا كلمة "اتفضل" ولا حتى ابتسامة ترحاب.

لم يكن "أيمن" خائفًا بقدر ما هو متحمس. فكل هذا يعني أن وراء هذه البلد سرًا رهيبًا قرر أنه لن يغادر حتى يعرفه - ربما استطاع إثبات أنه

ليس طفلًا مُدللًا

بالنسبة إلى "إيهاب" فهذا المكان مظلم كئيب لا بركة فيه، مكان يرفض وجوده فيه بكل كيانه لكنه شر لابد منه فخلاص عائلته يبدأ من هنا.

أما "سعيد"، فلم يجد سببًا واحدًا يجعله يرغب في البقاء دقيقة أخرى في هذا المكان المُقبِض غير أوامر رئيسه المباشر.

التفت "إيهاب" إلى مجموعة الخفر الذين كان "ثروت" يُحادثهم ليجدهم ممسكين بما يشبه غطاء السيارة ويقتربون منهم ثم رأى البوابة الخشبية تُفتح ويخرج منها شخصان أحدهما متوسط الطول قصير الرقبة غليظها ذو شارب رفيع وأكتاف عريضة على كتفه شيء أقرب للمدفع منه للبندقية. أما الآخر فهو رجل مُسنٌ على رأسه غُترة بيضاء ويرتدي قفطانًا أنيقًا. عيناه الثاقبتان تطلان عليهم من وجه منير ذي ذقن وشارب أبيضين.

- الشيخ "خَلَف"، خال زين. الوحيد من الجيل الكبير اللي فضل عايش بعد ليلة القطّان وده "ناجي" كبير الغفر. كان تقديم "ثروت" للشيخ وصحبته.

سأل "إيهاب":

- ليلة "القطّان"؟ دي الليلة اللي حصل فيها الواقعة من سبعة وعشرين سنة مش كده؟

"ثروت":

- سيادتك مذاكر.

"إيهاب":

- ده تاريخ عيلتي. وأنا جاي هنا علشان أعرف بقية القصة.

"ثروت":

- كل حاجة هتبان سيادتك. بس في وقتها.

تبادل "إيهاب" مع "أيمن" و"سعيد" النظرات ثم التفتوا ليستقبلوا الشيخ.

اقترب منهم "خلَف" بخطوات بطيئة وهو يتفحَّصهم بدقة حتى توقف على بعد مترين منهم لثوانٍ قليلة ظل في مكانه كأنه يقيِّمهم بنبرةٍ يصعب سماعها وصوتٍ مبحوح قال شيئًا لـ "ثروت" ثم، من دون أن ينتظر رد فعل "ثروت"، استدار عائدًا تجاه البوابة الخشبية الداخلية. هنا قال "ثروت":

- الشيخ "خلف" كان محتاج يشوفك يا "إيهاب" باشا لغرض هو بس اللي عارفه. دلوقتي هو وافق إنكم تدخلوا. بس محدّش من أهل البلد هيتكلّم معاكوا. وده لسبب ممكن يفصحولكم عنه وممكن لأ. لغاية ما يقرروا ده هفضّل أنا حلقة الوصل.

ثم أشار إلى الخفر الممسكين بالغطاء قائلًا: "دَخّلوهم".. اتجه الخفر ناحية البوكس بينما تحرك "ثروت" متجهًا لمؤخرته وصعد فيه. بعد أن أومأ "إيهاب" لهما موافقًا، فعل "سعيد" و"أيمن" مثل "ثروت" وجلسا بجانبه داخل البوكس. كذلك فعل "إيهاب" لكنه سأل عندما اتخذ مجلسه أمام "ثروت":

- إحنا بنعمل إيه بالظبط؟

أجاب "ثروت":

- هنسيب السوق وندخل بر الضيف. من هنا لغاية ما نطلع بره البلد دي اعملوا زي ما أنا بعمل بالظبط لو سمحتوا. من غير نقاش ولا أسئلة. في حاجات هتفهموها لوحدكوا وحاجات هفهِّمهَلكُوا بعد ما نطلع. وفيه حاجات لا أنا ولا إنتم هنفهمها.

أحاط الخفر بالسيارة وفوجئ "إيهاب" ومساعدوه بهم يقذفون بالغطاء فوق البوكس ويسدلونه من جميع الاتجاهات. همَّ "أيمن" بالاعتراض لكن

إشارة بإصبع "إيهاب" كانت كفيلة بإسكاته.

ثوانٍ مرت سريعًا حتى حُجبت الرؤية تمامًا. سمعوا صوت باب كابينة القيادة يُفتح ويصعد بها شخص ما ثم يقفل الباب تارة أخرى. صوت المحرك يشتعل وبدأت السيارة في السير.

اتجهت يد "أيمن" إلى الغطاء المسدل على الكابينة الخلفية للبوكس بأكملها لكن "ثروت" نهاه صائحًا:

- إوعى! إياك تفتح وتبص

سحب "أيمن" يده كالملسوع وقال:

- ليه؟ هو فيه إيه بره؟

- هي دي شروطهم هتفهم بعدين .

زار الصمت بعدها الكابينة إلا من صرير مساعدين السيارة وهي تئنُ على المدق غير الممهد. بعد أقل من خمس دقائق قال "إيهاب":

- ممكن المختصر المفيد يا سيادة الرائد.

- عايز تعرف إيه؟

- كل حاجة طبعًا. بس نظرًا لضيق الوقت قولّي إحنا هنروح على فين بالظبط؟

أراح "ثروت" ظهره على الجانب الحديدي للكابينة ورد قائلًا:

- مش عايز تعرف إيه اللي بيحصل؟ عايز تعرف إيه الضيف ده؟ هتشوف.

بعد مرور أقل من دقيقة من الصمت انتفض "أيمن" في مكانه وسحب يديه من تحت الغطاء. التفت ثلاثتهم إليه وهتف به "ثروت" بغضب:

- إنت بصّيت من تحت الغطا؟ فيه حد شافك؟

شفتاه الجافتان، عيناه المفتوحتان عن آخرهما ولونه الأبيض كانت إجابة واضحة. توقفت السيارة مما جعل "ثروت" يقول من بين أسنانه:

- لو ما نفذتش الأوامر يا سيادة النقيب أقسم بالله نلف ونرجع!

ظل "إيهاب" و"سعيد" في جلستهما دون حِرَاكٍ يراقبان الموقف دون تدخل حتى فتح أحدهم الغطاء وطلب منهم النزول. حوّل "ثروت" نظراته النارية عن "أيمن" إلى الخفير وأخذ نَفَسًا عميقًا وقال لـ "إيهاب":

- اتفضل سيادتك. وزيّ ما قلت محدّش يعمل حاجة غير اللي أنا بعملها.

ثم ترجّل من البوكس وتبعه "أيمن" لكن "إيهاب" أمسك يد الأخير وسأله هامسًا:

- شفت حاجة؟

ألقى "أيمن" نظرة خاطفة على "ثروت" قبل أن يجيب بنبرة مرتعشة:

- أيوه.

قال "سعيد" والتوتر بادٍ على وجهه:

- أنا هقعد في البوكس سيادتك.

نظر إليه "إيهاب" وهز رأسه موافقًا ثم التفت إلى "أيمن" سائلًا:

- شُفت إيه؟

أيمن:

- شفت بنت.

"إيهاب" مستنكرًا:

- بنت؟ بنت إيه يا "أيمن" دلوقتي؟

- ثواني سيادتك. دي بنت بتاعة أربعتاشر سنة كده. كانت واقفة جنب

شجرة من اللي مربوط عليها

قماشة بيضة كبيرة دي. كانت بطّالي و...

- سيادة المقدم؟

كان هذا نداء "ثروت" من خارج البوكس فقال "إيهاب" لـ "أيمن":

- نكمّل بعدين. متقولش لحد. التفت إلى "سعيد" هامسًا:

- وأنت خلّيك صاحي وخلي موبايلك قُدّامك.

هز كلّ من "أيمن" و"سعيد" رأسيهما بالموافقة ثم نزل "إيهاب" وأيمن في بر الضيف.

*****

(18)

ينسلّ ضوء الشارع الأصفر من شيش النافذة حيث تجلس "ليلى" و"سلمى" على الفراش ليضيف لونًا كئيبًا على الغرفة المظلمة. عكفوا يحصون الدقائق التي أصبحت الواحدة منها تمر كالدهر إلى أن تساءل "حسن" الذي يرقد بين أحضان أمه:

- في إيه يا ماما؟

بصوتٍ مُتهدّجٍ همست "ليلى":

- شششش. وطّي صوتك يا "حسن".

- إنتي خايفة من إيه؟

صوت خطوات أقدام خارج الغرفة.

"م.. مدام ليلى" كان هذا صوت سمية المرتعش.

صاحت ليلى:

- هصوُت والِمَ الناس. امشي من بيتي لو سمحتي.

سميَة من خارج الغرفة:

- أنا مش شايفة حاجة. مش فاهمة إيه اللي إنتوا عملتوه ده. ليه طفيتوا النور؟ لو سمحتي ولّعي نور الأوضة علشان دعاكي للبيت ده.

لم ترد سمية.

صمت طويل استمر أكثر من دقيقة ثم أتى صوت سمية كأنها تبكي:

- "سامحيني".

تلا ذلك صوت ارتطام جسد بالأرض مع حشرجة مختنقة كأن شيئًا يعصر حنجرة شخص ما. سمعتا بعدها صوت طرقعة كأن حنجرتها قد شحقت، ثم صوتًا كلَهاث الضواري وهي تنهش فريستها.

استمر الصوت لأقل من دقيقة تلاه سكون مُطبِق.

نظرتا إلى بعضهما بعيون جَزِعة ثم تجرأت "سلمى" ونادت:

- "سمية!!".

لم يأتِها رد. مرت ثوانٍ قليلة سمعتا بعدها صوت مخالب تمشي على خشب الردهة متجهة إليهم. تلا ذلك صوت طواحن تسحق عظامًا ثم عاد صوت اللهاث وبدأ شيء يخدش الخشب عند باب الغرفة.

"ليلى" من بين دموعها:

- "سلمى".. في حاجة بزّه عملت فيها حاجة.

"سلمى" هامسة:

- استنّي. بحذرٍ تحركت فوق الفراش على أربعٍ واقتربت من الباب لتلقي نظرة خاطفة. يد حيوانية مشعرة تحفر في الخشب.

بسرعة سحبها صاحبها لظلمة الرَدهَة الدامسة قبل أن تستبين سلمى

تفاصيلها.

شعرت "سلمى" بمن يمسك بتلابيب ردائها. للحظةٍ فكرت أن تصرخ أو تصيح لكن صوتها لم يترك حنجرتها.. نظرت خلفها فوجدت "ليلى" تمسك بها وتشير إلى الشباك. هنالك، خلف الشيش الخشبي بالكاد استطاعتا تمييز فتاة على شعرها منديل فلاحي.

شهقت "سلمى" فزعًا وهتفت "دي إعتماد"؛ مما جعل "حسن" يجفل ويبدأ في البكاء. أسكتته أمه بضمِّها إلى صدرها قائلة:

- متخفش يا حبيبي. متخفش. بابا زمانه جاي.

توقف صوت الخدش عند باب الغرفة، ظلت فقط أنفاسهم المتلاحقة هي المسموعة. صوت شخص يركض بالخارج متجهًا إليهم. تدريجيًا يعلو الصوت معلنًا اقترابه ثم يتوقف عند باب الغرفة.

- "ماما".

تسمَّرت المرأتان. هذا النداء لم يأتِ من حسن بل من خارج الغرفة.

"ليلى":

- إيه ده؟

"سلمى":

- استنِّي أنا عارفة الصوت ده.

مدت رأسها لتجد القزَم المخيف. كذلك فعلت ليلى وما إن رأته حتَّى شهقت وتراجعت لتنكمش في آخر الفراش محتضنةً ابنها.

لكنها تعجبت من رد فعل شقيقة زوجها. فهذا "الشيء" لا يبدو أنه مخيفٌ لـ "سلمى". قامت الأخيرة من الفراش واتجهت إلى باب الغرفة. وقفت تتحدث عند باب الغرفة قائلة:

- إنت إيه اللي جابك هنا؟

- مش ده القزم اللي كان بيظهرلك يا "سلمى"؟

لم ترد عليها واستمرت في محادثة مَنْ بالخارج.

- "امشي من هنا لو سمحت"، قالت "سلمى" وبدا لـ "ليلى" أنها تصارع شعورًا قويًا داخلها همست "ليلى" لـ "حسن" أن يظل مكانه وتقدمت على أربعٍ لنهاية الفراش، عند الباب هناك وقفت "سلمى" محدّقة في القزم المخيف كبير الرأس ذي الملامح التي لا تنتصف وجهه، وجهه الذي زادته الظلمة بشاعة .

- ألعب معاكوا.

- "هش. إمشي"، قالتها "ليلي" وهي تُشيح بيدها كأنها تخيف قطة. التفت إليها القزم وبنفس الابتسامة قال:

- أنا عايز ماما.

وسط دموعها المنهمرة التي لم تستطع كبتها ردت "سلمى":

- أنا مش ماما. حرام عليك. كفاية. امشي.

مد يده إليها قائلًا: ماما.

زادت حدّة بكاء "سلمى" ومدت يدها له. هتفت "ليلى":

- بتعملي إيه يا "سلمى"؟ شوفي شكله عامل إزّاي.

- أنا مش شايفاه قبيح. ده مجرد طفل اتخلق كده وملقاش حد يحبه.

- لا يا "سلمى". ده مش بني آدم أصلًا. ده الكيان اللي جالنا من البلد بس بصورة تانية. زيُه زيّ إعتماد.

قالت ليلى ثم نظرت إلى الشرفة في نفس اللحظة التي بدأت الفتاة الواقفة خارج النافذة في الغناء بصوت يشبه نعيق الغربان.

"القمح الليلة الليلة ليلة عيده".

لم تسحب "سلمى" يدها.

"سلمى!!"، هتفت "ليلى".

وصل بكاء "سلمى" ذروته وهي تمد يدها لتلمس أصابع القزم.

- ممكن أدخل؟

"سلمى": ممكن.

"ليلى": "سلمى"!! لأ. متدخُليهُوش!!

أمسكت "سلمى" بيد القزم وقالت: مش قادرة يا "ليلى".

هنا حدث شيء كاد أن يقضي على البقية الباقية من أعصاب "ليلى":

كيان أسود ضخم خرج من الركن المظلم الذي كان "حسن" قد أشار إليه سالفًا. بدا لها كرجل شديد الطول عريض المنكبين لكنه أقرب إلى طيف. في يده عصا طويلة وغليظة دق بها مرتين على أرضية الغرفة الخشبية.

كان القزم على شفا دخول الغرفة لكنه فوجئ بالكيان يقف خلف "سلمى" لأول مرة ذهبت ابتسامته وسحب يده بسرعة البرق بدأ يتراجع بظهره تدريجيًا حتى اختفى في ظلام الممر الصغير وقف الكيان في منتصف الغرفة وبدأ يدور حول نفسه بدأت همهمة خافتة بلغة عجيبة تخرج منه قبل أن يثبت وجهه على النافذة. سكتت الفتاة عن الغناء وابتعدت عن النافذة لتختفي هي الأخرى.

ثم تراجع الطيف الأسود دون أن يتوقف عن دورانه البطيء ليندمج مع الركن المظلم مرة أخرى.

* * *

بصمتٍ يليق بجنازةٍ سار الجمع المكون من ثلاثة ضباط وستة من الخفر وشيخ طاعن في السن. ساروا على أرض طينية صلبة وطرقات واسعة

تتخلل بيوتًا ريفية نظيفة من طابق واحد.

تم تخطيط بَرّ الضِّيف على شارعين رئيسين بين أراضي المانجو التي تمتلكها عائلة القطّان من جهة وأراضي القمح من الجهة الأخرى في منتصف الضلع الذي يحدُّ أراضي الفلاحين يوجد مسجد القرية في نهاية المدق الفرعي الممتد أمام المسجد يوجد باب حديد لم يستخدم منذ عقود يقود إلى أرض المانجو... أرض القطّان. من الوهلة الأولى يتضح أن السلك الشائك يحيط بحديقة المانجو كلها لكن هناك سلك آخر أكثر إحكامًا يحيط بأرض بعينها على النيل مباشرة.

نظر إيهاب إلى ساعته فوجدها الرابعة لديهم أقل من ساعة ونصف قبل نهاية المهلة المسموحة وقدوم الليل وكما توقع إيهاب، معظم سكان القرية يختبئون في بيوتهم لا يرى منهم إلا أطيافًا تقف وراء أبواب شبه مغلقة لا يستطيع أن يميز وجهًا أو سنًّا لكن من المؤكد أن أعداد الأطفال في هذه القرية أقل بكثير مما ينبغي له.

نفس المصابيح ذوات الصفائح المعدنية من جهة واحدة تتدلى خارج البيوت وفي الطرقات على أعمدة خشبية.

هنا تنبّه لتفصيلةٍ غايةٌ في الأهمية...

إن الاتجاه الذي تحجب الصفيحة الضوء عنه هو اتجاه تلك الأرض المحاطة بسلك شائك خاص بها.. أرض القطّان.

نظرية بسيطة تكوّنت في رأسه: إنهم يتكبّدون كل هذا لمنع الضوء من أن يصل لأرض القطان ليلًا. لمَ؟

- إيه ده سيادتك؟

لفت "أيمن" انتباهه لبيوت ذات أبواب ونوافذ مغطاةبستائر من الخارج. وأشار إلى مجموعات من الخفر الشداد يجوبون حول تلك البيوت من الاتجاهات الأربعة.

توقف الجمع عند بيت من تلك البيوت في ركن القريةالشمالي. بيت من طابقين يدل حجمه ومستوى تنفيذه أن مالكه ليس فلاحًا متوسط الحال. يظهر لون بابه الأحمر القاني من خلف الستارة ليتناقض بشدة مع الطين الرمادي الأشيب الذي يحيط به.

التفت الشيخ خَلَف وهز رأسه لـ "ثروت" الذي تنحنح قائلًا:

- ده بيت "زبن".

تعجّب "إيهاب" وقال:

- ليه الستاير دي؟ وليه الاحتياطات الأمنية دي كلها؟

تردد "ثروت" ونظر إلى الشيخ خلف الذي هز رأسه مجددًا علامة الموافقة، فالتفت "ثروت" إلى "إيهاب" مجيبًا:

- زي ما سيادتك قلت؛ احتياطات. جوّه البيوت دي فيها حاجات مينفعش تطلع بالنهار. ما تقلقش، هتشوفها بعينك علشان تعرف وتفهم. بس السبب الحقيقي للستائر دي مقدرش أنا اللي اقولهولك.

تساءل "أيمن":

- وبالليل إيه اللي بيحصل؟

"ثروت":

- مش مهم تعرفوا لأنكم مش هتكونوا هنا.

- طيب. يالّا نخش قبل الوقت ما يسرقنا.

قالها إيهاب واتجه إلى باب البيت بمزيجٍ قوي من الحماس والرهبة والفضول. لكنه فوجئ بأحد الخفر يقف في طريقه.

بنبرةٍ صارمةٍ التفت إيهاب إلى ثروت قائلًا:

- قولّه يوسّع.

- الموضوع مش سهل كده. بقُول لسيادتك في احتياطات. كان رد "ثروت".

- سيادة الرائد، بقولّك قولّه يوسع.

بدأ الخفر يحوطونهم وأسلحتهم تنزل من فوق كتفهم لتستقر في أياديهم القوية. توتر الموقف ومد أيمن يده إلى سلاحه. اقترب ثروت ليخاطب "إيهاب" بصوتٍ منخفض:

- إحنا اتفاقنا كان واضح. هنمشي ورا تعليماتهم وتقاليدهم. متحرجنيش معاهم.

بصوتٍ مرتفعٍ قال "إيهاب":

- أحرجك إيه يا "ثروت"؟؟ إحنا جاييين هنا علشان نتفرج على البيت من بَرّه؟

أخذ "ثروت" نَفسًا عميقًا وقال:

- هتدخل يا "إيهاب" بيه. بس الاحتياطات دي علشانك إنت يا سيادة المقدم. من غيرها...

"إيهاب": من غيرها إيه؟ متخلّيك دوغري.

"ثروت" بلمحة عصبية:

- ما هو أنا نِفسي أجي دوغري علي طول. بس فيهحاجات لو جيت فيها دوغري هتقول عليا مجنون. زي الاحتياطات اللي بقولّك عليها. من غير الاحتياطات اللي مش عاجباك دي مش هتطلع من البيت تاني يا سيادة المقدم.

كأنه لم يَكفِهم تصريح "ثروت" الأخير، جاءت دقة قوية على باب منزل زين لتجعل "أيمن" ينتفض في مكانه. تراجع خطوةً للوراء وجاء دور "إيهاب" ليتحسّس سلاحه قائلًا:

- إيه اللي خبط ده؟

لمح حركةً خلف الشباك ثم سمع خطواتٍ سريعةً تتجه إلى الباب الأحمر كأن شيئًا يهجم عليه يليها ارتطام آخر.

ثم سكون.

ثم همس ما.

ثمَّة من يتكلم خلف الشباك المغلق.

لا يدري إيهاب إن كان بسبب الخبطة العنيفة أم الصوت الهامس، لكنه رأى الخفر يرفعون بنادقهم ناحية الشباك.

- ارجع لورا شوية سيادتك.

قالها "ثروت" وهو يمسك بذراع "إيهاب" الذي أطاعه دون نقاش.

"إيه القلق ده؟"، همس "أيمن" لرئيسه وقد ظهر عليه التوتر بصورة واضحة. ثم أضاف:

- ماطْئنش سيادتك إن دخولك لوحدك فكرة كويسة. أنا هدخل معاك.

تنهد "إيهاب" مفكرًا وهمَّ بقول شيءٍ ما لكن قاطعه "ثروت" قائلًا:

- محدش هيدخل غير "إيهاب" باشا.

"أيمن" معترضًا:

- إزَّاي الكلام ده سيادتك؟ أنا جاي مع المقدم "إيهاب" وهافضل معاه.

"ثروت" بحدَّة:

- "أيمن" إحنا مش في رحلة اللي جوَّه البيت ده مش حرامية ولا تجار مخدرات دي حاجة قديمة جدًا ومؤذية جدًا طول ما إنت ملكش علاقة بيه يبقى إنت في أمان إلا بقى لو كان حد شافك لما بصَّيت من البوكس

همَّ "أيمن" بالاعتراض مجددًا لكن صوت نداءات صادر من خلف البيت

لفت انتباههم. تحرك رجال الشرطة بضع خطوات بحذاء البيت ليتمكنوا من رؤية ما يحدث خلفه. هناك شاهدوا ما هو أعجب مما رأوه لتؤهم.

هناك رأوا ثلاثة أشخاص يحيطون بفتاة لا تتعدى الخامسة عشرة تسير وسطهم بهدوء مثير للأعصاب. يغطي الأشخاص الثلاثة أنفسهم بقماشة بيضاء فلا يُرى منهم أي شيء.

في زيّها الفلاحي وشعرها المعقوص أسفل المنديل،خطت الفتاة ناحية البيت بخطوات مرتعشة – كأنها تعلمت المشي لتؤها خطوات بطيئة لكنها ترن في آذانهم بسبب الخلخال الذي ترتديه في قدمها اليسرى بسيطة الملامح بلمسة جمال طبيعي مدفون تحت عوامل الطبيعة على وجهها ابتسامة متحجرة وعلى خدّيها آثار دموع في مزيج متناقض مُقبِض.

وصلت إلى باب بيت زين فأزاح أحد الأشخاص الثلاثة المصاحبين لها الستارة التي تخفي الباب وفتحه لها. تقدمت إلى الباب ثم استدارت لتواجه الجمع.

انبطح "ثروت" أرضًا وهتف بصوت منخفض:

- متخلّوهاش تشوفكوا.

فعل "إيهاب" و"أيمن" الشيء نفسه وانبطحا خلف البوكس. من بين عجلات المركبة، شاهدوا أقدام الفتاة المتسخة وهي تدور في مكانها. بدا لهم أنها تمسح المكان بعينيها لكنها لم تَرَهُم. ثم بدأت تغني بصوتٍ بالِغ:

"القمح الليلة.. الليلة.. ليلة عيده.

يا رب تبارك.. تبارك وتزيده

يا رب تبارك يا رب

يا رب تبارك يا رب

يا رب تبارك وتزيدووووه".

تبادل "إيهاب" و"أيمن" النظرات وهما ينصتان للأغنية التي أضافت نبرة الفتاة الباكية لها طابَعًا مُقبِضًا كئيبًا.

استدارت الفتاة لتدخل البيت، عندها سمعوا ما جمَّد الدم في عروقهم...

صوتًا يشبه عويل بقرة منحورة الرقبة جاء من داخل البيت أسرع أحد الرجال الثلاثة، الذي اتضح لإيهاب أنهم من الخفر، بدفعها للداخل وأسدل الستارة ثم همَّ بغلق الباب الأحمر قبل أن يتمكن الخفير من غلق الباب تمامًا نهض "إيهاب" من نومته خلف البوكس لينظر داخل البيت.

تذكر انك حملت رواية بر الضيف الجزء الثاني من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

تمكَّن من رؤية الفتاة وهي تستدير لتواجه الباب ثم بدأت في الركض في اتجاهه. أسرع الخفير بإغلاق الباب وسمعوا صوت ارتطام يشبه ما سمعوه منذ دقائق.

بقوة أمسك الخفير الباب الأحمر وبدا لهم أن شيئًا ما يحاول جذبه من الداخل. رمى الاثنان الآخران الملاءة من فوقهم وأسرعا ليساعدا زميلهما وأمسكا الباب بسواعدهما القوية، حتى تمكن الأول من احكام إغلاقه بمزلاج معدني.

تنفس الجميع الصُعداء وقام الضباط واقفين.

- إنت مش قلت مافيش حاجة بتطلع بالنهار؟ سأل إيهاب بعصبية.

رد عليه "ثروت": فعلًا.

كان "إيهاب" على وشك التعقيب لكن أيمن أمسك يده وقال بصوتٍ هامس:

- "إيهاب" باشا، هي دي البت اللي أنا شُفتها.

سمع "ثروت" ما قاله "أيمن" فالتفت إليه قائلًا:

- يعني إنت بصّيت من ورا الغطا؟

- الحقيقة... أيوه سيادتك.

"ثروت": وهي شافتك؟

- مممم... الحقيقة مش عارف سيادتك. بس هي عملت حاجة غريبة جدًا.

"إيهاب": إيه؟ عملت إيه؟

ثروت: ميهمناش سيادتك نعرف إيه اللي عملته. عايز اعرف إذا كانت شافتك والّا لأ يا سيادة النقيب.

صاح "إيهاب": أنا يهمني سيادتك. والتفت إلى "أيمن" منتظرًا الإجابة.

تردد أيمن قبل أن يقول:

نزلت على أيديها ورجليها وجريت ورانا. بس محصلتناش طبعًا.

أطرق "ثروت" رأسه وتنهد قائلًا:

- يبقى شافتك. ليه يا "أيمن" كده؟

ثم نظر إلى الشيخ خَلَف نظرةً ذات مغزًى فأومأ الأخير برأسه.

عندها التفت "ثروت" إلى "أيمن":

- خلاص ممكن تدخل إنت كمان.

قطّب "إيهاب" حاجبيه متعجبًا من التغيير المفاجئ في موقف "ثروت" ثم سأله:

- مين البنت دي؟ وطلعت إزّاي؟

"ثروت":

- دي رُقيّة بنت زين. لما بيجي الليل الغفر بيروّحوا بيوتهم لأنهم مش

المفروض يبقوا بره. أحيانًا سكان البيوت دي بيعرفوا يطلعوا من البيت بالليل بس بيرجعوا تاني لوحدهم قبل الفجر. في أوقات نادرة زي النهارده بيفضلوا في أرض المانجه بالنهار. بيعملوا إيه ما عرفش ومش عايز أعرف.

أنهى "ثروت" جملته والتفت إلى الخفر آمرًا بلفّة قماش لكُلّ منهما. أطاع الخفر أوامره وأتوا بما يشبه ملاءتين بيضاوَين وأعطوا كُلًا من "إيهاب" و"أيمن" واحدة.

- خُطُوا دي عليكم قبل ما تدخلوا.

إيهاب بنفاد صبر:

- ممكن اعرف إيه لازمة القماشة دي كمان؟ في الأول حطتوها على البوكس. قولنا يمكن إجراءات أمنية. بس بتخلّوا الغفر يلبسوها ليه؟ وليه عايزنا إحنا كمان نلبسها؟

"ثروت" مفسرًا:

- مش قولتلك لو أنا جيت دوغري من الأول وقلت كل حاجة كده مرة واحدة مش هتصدقني. كان لازم تشوف اللي شفته دلوقتي الأول عشان تصدق اللي هقوله. سكان البيت مش هيهتموا بيكم ولا هيشوفوكوا تحت الملايات دي... ولا حتى اللي جوّه معاهم.

بلع أيمن ريقه وهَمَّ بقول شيء لكن ثروت قاطعه:

- بس ده مش هيخلّيكوا في أمان تام. وإنتوا جوّهاتحركوا ببطء ومن غير صوت. متلفتوش ليكم الأنظار ومتتعاملوش مع أي حاجة جوّه.

"إيهاب": وده السبب في الستاير اللي على الأبواب والشبابيك؟

أومأ "ثروت" برأسه بالإيجاب.

- أيوه علشان ميشوفوش المخارج والمداخل بسهولة. وهو نفس السبب في القماش المربوط على الشجر.

علشان لو حد اتحطّ في مواجهة مع حد منهم يستخدمها ويستخبّى تحتيها. زي ما قلت لسيادتك، مجموعة احتياطات الناس هنا متعايشة بيها من سنين. وأهم حاجة بلاش أنوار. الضوء هو الحاجة الأساسية اللي بتشد انتباه الضيف.

تذكّر "إيهاب" الأنوار التي رآها جيرانه قادمةً من البر التاني من الكورنيش وكيف تفاعلت مع أنوار شرفاتهم. ثم تنبه لشيء وقال:

- هو ده بقى سبب الصفيحة اللي على الأنوار؟

هزّ "ثروت" رأسه موافقًا.

خرج صوت "أيمن" مرتعشًا:

- هو إحنا هنشوف الضيف جوّه؟

نظر ثروت إلى الشيخ خَلَف فأشاح الأخير بوجهه.

- "أتمنى إن ده ميحصلش"، كان رد ثروت المهزوز، بس الأكيد إنكم هتشوفوا تأثيره.

نظر "إيهاب" إلى "أيمن" الذي تلاشى الحماس من عينيه وأستبدل به الخوف. رفق إيهاب بحال الضابط الصغير وابتسم له ابتسامة أبوية بادله إيّاها أيمن بأخرى وَجِلة.

سمع "إيهاب" صوت الشيخ خَلَف المبحوح يقول شيئًا نقله "ثروت" إليه كلمة كلمة:

- "إيهاب" باشا، من سبعة وعشرين سنة الشيء اللي جوّه مع عيلة "زين" ده قضى على جيل كامل من أهل العائلات الكبيرة في ليلة واحدة وماسبش حد منهم غير الشيخ خَلَف. وده بسبب إنه كان بعيد ساعة ما الضيف جه. بنت القطّان الكبيرة توحيدة هي اللي أنقذت ولاد أخوها "يوسف" و"سلمى" من البيت. واللي عمله جدهم (عبد العظيم) ليلتها كان السبب في إن الضيف جه. ربنا كان رحيم ببقية أهل البلد ونجحوا

بمساعدة والدك إنهم يحبسوه في جنينة المانجه.

رفع "إيهاب" رأسه بفخر وأخذ نفسًا عميقًا وهو يقول:

ربنا أعلم بالتمن اللي دفعه.

أومأ "ثروت" برأسه متفهمًا وأردف:

- دلوقتي، وبعد السنين دي كلها، جه "زين" والطمع غدر بيه ومعتبرش من اللي حصل في ليلة القطّان. أجّر التلاته اللي مسكتوهم في مصر وفتح الجنينه من ورا علم أهل البلد. أول ناس زارهم الضيف لما طلع كانوا أهل بيت زين نفسه. دخل تحت جلودهم وسمّم حياتهم.

أشار "ثروت" إلى بيت زين واستطرد:

- لما تدخل سيادتك متحاولش تكلمهم لأنهم بقوا ناس تانية خلاص. لو ما أخدوش بالهم منك مش هيئذوك. شوف وافهم واطلع بسرعة. ودلوقت.. سلاحك يا إيهاب باشا.

قالها "ثروت" بحزم ويده مدودة، ثم أضاف قبل أن يلفظ "إيهاب" ببنت شفة:

- مش هيدخّلوك بيه. ده موضوع منتهي.

تنهد إيهاب ومد يده لسلاحه وأعطاه لثروت. فعل أيمن الشيء نفس ثم ألقى الخفر القماشة البيضاء عليهما وهم يهمهمون بآيةٍ من القرآن الكريم ويكررونها كما يفعل المقرئون في القرافة:

(وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ).

تأكد الخفر بمساعدة "ثروت" من إخفائهما من رأسهماإلى أخمص قدميهما بالملاءة البيضاء. لا يستطيع "إيهاب" تحديد هويّة مَنْ حوله بدقة لكنه يرى أشكالًا عامة. شعر بأحدهم يأخذ بيده وسمع ثروت يقول:

- تعالى معايا سيادتك.

- أنا شايف معقول. الوجوه بس اللي مش باينه لكن أغلب التفاصيل واضحة.

صعدوا درجتي سُلّم طيني ثم ترك ثروت يد "إيهاب"، وأزاح الستارة ليكشف عن الباب الأحمر ثم مد يده ليفتح المزلاج قائلًا:

- عندك لغاية أذان المغرب ويبقى وقتك خلص ولازم تطلع. متخلّيش العتمة تطولك وأنت جوّه.

هز "إيهاب" رأسه بالموافقة والتفت ناحية الباب. تراجع "ثروت" خطوتين.. سمعه "إيهاب" يسحب سلاحه يشد الأجزاء.

أمامك الباب يا "إيهاب".

تساءل في قرارة نفسه: هل يريد فعلًا رؤية ما يقبع خلفه؟ هل يريد فعلًا معرفة الحقيقة؟

صوت أنفاس أيمن العالية وراءه كفيلة بأن تقضي على شجاعته.

إنت متاكد؟ سأل نفسه.

تذكر مشهد الركاب الثلاثة وهم يتحركون كعرائس الماريونيت، ثم مشهد سلمى في شرفة بيته وهي تدعو مَن يسكن البرّ التاني إلى بيتهم.

آه متأكد. علشان "سلمى".

دفع الباب الأحمر القاني ببطء شديد مُصدرًا أنينًا خافتًا ودخل بيت زين.

*****

(19)

سحبت "ليلى" "سلمى" من يدها وتراجعت المرأتان إلى ركن الغرفة فوق فراش حسن. تسمّرتا وعلى وجههما أعتى آيات الذهول وتحدقان في

الركن المظلم حيث انسحب ظلّ الرجل ذي العصا الغليظة.

"إ...إيه ده؟"، قالت سلمى ثم التفتت إلى ليلى فوجدتها ما زالت تحت تأثير الصدمة أخذت تربّت على كتفها حتى عادت الأخيرة إلى صوابها دقيقة كاملة مرت لا يُسمع فيها إلا صوت أنفاسهما

- إيه اللي بيحصل ده يا ليلى ؟

- فاكرة إيهاب ويوسف قالولنا إيه؟ الضيف ليه أشكال كتيرة وكمان بيستخدم أجساد اللي بيصيبهم. أما اللي معانا في الأوضة ده إيه، معرفش، بس واضح إن القزم والبث الفلاحة خافوا منه.

رد عليها "حسن":

- ده هارون يا عمتو. هدية عيد ميلادي بتاعة حيدة. طيب قوي. كان زمان غفير جدو علي. ومن قبل كدة كمان.

نظرت كلّ من "ليلى" و"سلمى" إلى الركن المظلم وحاولتا اختراق الظلام لكن طرقة قوية على باب الشقة أفزعتهما.

- الحجوني. يا ست سلمى. إلحجيني!!

- ده صوت صالح، قالت "ليلي".

نزلت "سلمى" من الفراش وتبعتها "ليلى" ووقفتا عند باب الغرفة تنظران إلى الردهة. ضوء السلم يُظهِر شخصًا مُلقًى على الأرض عند باب الشقة المفتوح.

- ده "صالح" فعلًا، أكدت "ليلى".

- بس ماله؟ همست "سلمى" ثم هتفت:

- "صالح". مالك؟ في إيه؟

التفت إليها "صالح"، نصفه العلوي ملقى في ظلام الشقة والسفلي في

دائرة ضوء السلم. لا تريان ما به بالضبط لكن يبدو أن لديه إصابة ما.

- الحجيني يا ست "سلمى". دخلّيني عندكوا.

شيء ما جذبه خارج الشقة لكنه صرخ وأمسك بباب الشقة. صرخت معه المرأتان وبكى "حسن" خوفًا.

- هنعمل إيه؟؟ هنعمل إيه يا "سلمى"؟؟ صاحت "ليلى" وسط دموعها.

- مش عارفة. اهدِي لو سمحتي علشان أفكر.

"آآآآه"، صرخ "صالح" وسمعوا صوتًا يشبه تكسير العظام. نجح أن يفلت مما يمسك بنصفه السفلي وزحف على الأرض تجاههما. يتلوّى ويتقلص وينكمش وينفرد كأنه يتعرض لصعق كهربائي متقطع، وفي الوقت نفسه لديه تقلصات رهيبة في بطنه.

"ال..حجو..ني

بط..ني

ر..ا..سي

كلّ.. كلم..كلموا... إي..ها..ب..إيهاب بيه".

هتفت "ليلى":

- بسرعة يا "صالح". تعالَ بسرعة.

عندما وصل إلى نصف المسافة فتح شخص ما باب الشقة على مصراعيه حتى ارتطم بالحائط.

بكى "صالح" وصرخ:

- لا. لا. اسحبوني. اسحبوني!!

مد يده إليهم في نفس الوقت الذي ظهر فيه خلفه شخص شديد النحافة عريض المنكبين أشبه برجلٍ عاري الصدر إلا من صديري أبيض بينما

يغطي وجهه ويديه غبار أبيض مما يعطيه هيئة عامل محارة أو خبّاز يرتدى سروالًا قصيرًا ويستند على عكازين.

- إيه ده؟، سألت "ليلى" وسط ذهولها. هُمْ بيبدّلوا علينا ولّا إيه؟

قال "صالح" وسط صراخه:

- دول كلهم حاجة واحدة.

نطقت "سلمى" ببطء كأنها بدأت تفهم: دُول كلهم الضيف.

صرخت "ليلى" بذعر:

- يا نهار أسود، بُصّي على رجله.

بعينيه الجاحظتين - اللتان هما الشيء الوحيد الواضحمن ملامحه- حدّق بهما العامل الضخم ثم التفت إلى "صالح" بهدوء مَهيب. لمحت "سلمى" ما تقصده "ليلى"، إنه من دون قدم، فقط تنتهي ساقه عند الكعب. تقلص الكائن المخيف والثوى بشكلٍ غريبٍ متخذًا لأشكال عدة: فلاحة، قزم، امرأة عجوز، حيوان ضارٍ يشبه زرافة ذات رقبة قصيرة... ثم عاد لشكل العامل الضخم ذي السروال القصير وانحنى ليمشى على أربع لهولهم لاحظت المرأتان أن ذراعه في نفس طول ساقيه التي تنتهى عند كعبيه ورقبته ليس لها وجود حانت من صالح التفاتة إلى هذا الكائن فبدأ يصرخ بهستيريا ومد يده إليهما في هلع عندما رأى ما يأتي خلفه.

انطلقت ليلى خارجةً من الغرفة لتسحب "صالح". ترددتسلمى لكنها حسمت قرارها عندما رأت الظل الذي اتخذ شكلًا بشريًا يمشى على أربعٍ ويكاد يلحق بصالح وليلي. مدت ذراعها تمسك بطرف رداء ليلى لتساعدها في جَرّ صالح للغرفة.

صرخ صالح مرة أخرى عندما خدشت أظفار الكائن الحيوانية قدمه. بلغت قوتها أنها قطعت حذاءه العسكري وأدمت قدمه. صرخت معه المرأتان وهما تجرّانه جرًا إلى الغرفة لكنهما نجحتا في أن تصلا به إلى باب الغرفة.

هنا رفع صالح نظره لتريا الألم يصرخ في عينيه. مُصدرًا زمجرةَ حيوانٍ ضارٍ، تحول الكائن - الذي كان محتفظًا بشكل العامل حتى تلك اللحظة - إلى سواد قاتم قبل أن ينقضّ على صالح ويجثم فوق جسده.

هنا سكن "صالح" عن الصراخ والتوى ليقول لهما بهدوء عجيب:

- "سيبوني".

صرخت "ليلى" قائلة: لا!!

رفع "صالح" عينين دامعتين وكرر:

- سيبوني خلاص الوجت فات.

سحبته "ليلى" إلى الغرفة في نفس اللحظة التي صاحت فيها سلمى:

- "ليلى. استنّي!!!".

نظرت "ليلى" إليها فوجدتها تشير إلى الركن المظلم، فالتفتت إليه لتجد الطيف الأسود العملاق يتلاشى تدريجيًا.

"هارون مشي يا ماما".

قالها "حسن" فتبادلت المرأتان نظرات الهلع ثم التفتتا إلى "صالح" العسكري الذي رقد في منتصف الغرفة وجسده المُثخَن بالجراح يأتي بانتفاضاتٍ متقطعة. إن الإضاءة القادمة من خلال الشيش ضعيفة بالفعل لكن البقعة التي يرقد فيها العسكري كانت مظلمة أكثر من اللازم. فهناك سوادة تقبع فوقه، ظلام مادي استطاعت "ليلى" و"سلمى" أن تميزا فيها كيانًا غير ملموس على هيئة بين البشر والكلاب.

- إحنا عملنا إيه؟ هتفت "ليلى" في ذعر.

- إحنا دخّلناه الأوضة بمزاجنا. علشان كده هارون مشي، كان رد "سلمى" البطيء.

أشارت "ليلى" إلى "حسن" كي يأتي إليها وعيناها على "صالح"، الذي

انتفض جسده مرةً أخيرةً بعنف قبل أن يُصدر حشرجة عالية ويهمد تمامًا.

هنا تحرك الظل من فوقه.

بأنفاس مقطوعة راقب ثلاثتهم تحركات الظلال في الغرفة، ثم بخطوات مرتعشة صعدوا على الفراش وانكمشوا في الركن.

صمتٌ قاسٍ يقطعه فقط أنفاسهم الملتاعة وصرير أرضية الغرفة تحت وطأة ما يتحرك فيها.

همس حسن:

- الغطا يا ماما.

همست "سلمى" وهي ترفع الغطاء:

- انزلي تحت الغطاء. ده آخر حل.

اندَسّ ثلاثتهم تحت الغطاء وهمست "ليلى":

- هي فرقت يا "سلمى"؟

- أيوه. مش "هارون" قال لـ "حسن" إنهم مبيشفوش من ورا القماش. المهم منعملش لا صوت ولا حركة.

نظرت "ليلى" عبر الملاءة وتابعت حركة الكائن الخرافي في الغرفة. صوت اللّهاث الحيوانى يقترب منهم، وقد ظهر جزء منه في ضوء الشارع المُنسلّ من النافذة.

هل هذا كتف كلب طويل أم إنسان مشعر قصير أممخلوق لم يروه من قبل؟

يقترب المخلوق العجيب من الفراش. يرفع رأسه كأنه يحاول أن يلتقط رائحتهم ثم يضع كفّه الحيوانية على طرف الفراش تجفل المرأتان ويرتفع صوت أنفاسهما رغم محاولتهما السيطرة على الرعب الذي كاد يقضي عليهما. يقفز الكائن على الفراش الذي أنّ تحت وطأة وزنه، هو يشعر بهم

فالملاءة تهتز إثر ارتعاش أطرافهم وتلتقط أذناه صوت أنفاسهم العالية.

في تلك اللحظة ينفجر نُباح الكلاب في الشارع ليلفت انتباه الضيف الشيطاني. يقفز على الأرض ويذهب إلى النافذة ليطلّ منها. يُطلق هو الآخر عواءً جهنّميًا كأنه يقبل تحدي الكلاب - عواء يكاد يوقف سريان الدم في عروقهم.

لقد أتت معاملة "توحيدة" و"هارون" الكريمة للكلاب ثمارها فولاؤها لا يهتز - حتى أمام هذا الكائن الأسطوري من بين دموعها ضمّت "ليلى" ابنها إليها أكثر واستطاعت هي و"سلمى" أن تسترجعا جزءًا من سكينتهما لكن السؤال الأهم يجول في ذهنهما الان :

إلى متى يستطيعون البقاء في الخفاء وهذا الشيء معهم في الغرفة؟

تذكر انك حملت رواية بر الضيف الجزء الثاني من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك.

*****

(20)

ضوء الغروب الخافت يزيد من غموض الموقف داخل بيت "زين" و... من ظلامه. فتح "إيهاب" الباب الأحمر بسهولة ويسر وقد بدا له أنه مغلق من الخارج فقط، لتستقبله رائحة بشعة تشي بوجود شيء متعفن بالداخل.

تأمل الممر ذا الأرضية الطينية وأشار إلى باب على يمينهم ثم آخر على يسارهم. ذلك الذي على يساره يفتح على غرفة أكثر إضاءة فقرر "إيهاب" أن يكون وجهته الأولى.

رفع أيمن يده وإبهامه بعلامة التأكيد فيُنزلهما إيهاب بعنف ثم خطا أمام الباب المفتوح. وجد أمامه غرفة كبيرة بنافذة إلى يساره في نفس الجدار

الذي به باب البيت. في منتصف الغرفة توجد طبلية دائرية أمام أريكة فلّاحي طويلة أعلى منها.

وهناك مَن يجلس على الأريكة.

تسمَّر "إيهاب" مكانه فارتطم به "أيمن" الذي كان يمشي خلفه تمامًا. " So Sorry

قالها "أيمن" بصوت مسموع فأمسك "إيهاب" بيده من تحت الغطاء ليجعله يتسمَّر هو الآخر ثم همس:

- فيه حد قاعد جوَّه.

شعر "إيهاب" برعشة يد "أيمن" قبل أن يتركها لينظر مرة أخرى داخل الغرفة. لقد قام هذا الشخص من مكانه.

أين هو؟

هل سمعهم؟

إلى يمينهم، في الجانب المواجه للنافذة الطويلة، يوجد سلم يتجه لأعلى يليه مدخل إلى غرفة أخرى. هناك، عند هذا المدخل، رأى "إيهاب" نفس الشخص - الذي عرفه من لون جلبابه الأذكَن - يقف وينظر ناحيته. ثم تقدم باتجاههم. استنتج "إيهاب" أنه لديه إصابة في قدميه فهو يستند على عُكّازين، لكنه لا يرى ملامحه بدقة من تحت الملاءة.

أمسك "أيمن" بذراعه مذعورًا وهمس:

- هو شايفنا؟

- شششش.

قالها "إيهاب" بصوت أكثر انخفاضًا، ثم التفت ليجد الرجل ذا العكازين يقف أمامه مباشرة.

إن رائحته كريهة حقًا كأنه لم يستحمَّ منذ زمن، لكنها ليست رائحة العفَن

التي تعبئ المكان. هناك شيء نافق هنا بالتأكيد.

دقيقة طويلة مرت وهم على هذا الوضع والرجل الذي يقف أمامهم مرتكز على العكازين، يحاول رؤيتهما مُصدِرًا همهماتٍ عجيبة، كأنه أخرس يحاول الكلام. لكنه لا يراهما.

انتبه "إيهاب" إلى شخصٍ ينزل السلم الذي يواجه الأريكة في الغرفة الواسعة. نظر ليجد امرأة بدينة تنزل بصعوبة. وقفت المرأة أسفل السلم تنظر للرجل ذي العكازين من دون أن تُصدر صوتًا. ثم بنفس الهدوء، اتجهت لتجلس على الأريكة أمام الطبلية كأنها إنسان آلي.

صوت أطباق على صينية يأتي من خلفهم. فالتفتوا بسرعة ليروا "رُقيَّة" ابنة زين ذات الأعوام الخمسة عشرة والتي رأوها تدخل البيت منذ دقائق. خرجت من الباب المواجه للغرفة الواسعة وبيدها صينية طعام.

بأعجوبة تفاداها "أيمن" بينما اضطر "إيهاب" إلى أن يدخل الغرفة الواسعة ويستقر خلف الحائط يسار الباب كي لا تصطدم به وضعت الفتاة الصينية على الطبلية وعادت للغرفة التي جاءت منها، والتي اتضح لهما أنها مطبخ قذر لم يُعتنَ به منذ فترة. خلال تحركاتها كان الضابطان يحاولان بأقصى جهدهما ألا تحتكَّ بهما.

لكن صوت أنفاس "أيمن" كاد يفصح عن وجودهما.

- امسك نفسك شوية، همس "إيهاب". هتكشفنا. الراجل حاسس بينا.

بصوت مرتعد رد "أيمن":

- إيه الرعب ده سيادتك. أنا قُربت يجيلي panic attack. البِتّ دي هي اللي أنا شفتها في الأرض.

- ما أنا واخد بالي.

شعروا بخروجها من المطبخ فالتفت "إيهاب" ليراهاتمسك عدة أرغفة عيش كبيرة وتدخل غرفة المعيشة الكبيرة لكنها فعلت شيئًا جمَّد الدم في

عروق "إيهاب" قبل أن تصل للطبلية وضعت أرغفة العيش تحت إبطها ونزلت لتمشي على أربع كأنها دابة هناك شعر "إيهاب" أن تكوين جسدها ليس طبيعيًا وان ذراعيها اطول من اللازم .

"دي إنسانة دي؟"، همس "أيمن" وهو يشاهدها تجلس على الأرض بجانب الطبلية كما يجلس القرود.

سرعان ما تحرك الرجل إلى الأريكة ليجلس أمام الطعام ويضع العكازين بجواره. لهولهم رأوا أن قدميه مقطوعتان من فوق كعبيه تمامًا.

ثم بحركة آلية ومن دون أي صوت، بدءُوا يأكلون. أو للدقة، بدءوا يمثلون أنهم يأكلون. يمدُّون أيديهم إلى الأرغفة لكنهم لا يلتقطونها، ثم يقطعون الهواء إلى لُقيمات خيالية ليغمسوها في الأطباق أمامهم.

وما هذا الذي في الأطباق؟

اقشعرَّ بدن الضابطين عندما تأكدوا أن ما في الأطباق هو طعام مُتعفِّن. بعد أن حركوا أيديهم إلى أفواههم بدءوا يلوكون الطعام الخيالي بآلية مخيفة.

- مش كفاية كده سيادتك اللي شفناه؟

- شششش. اسمع.

هناك صوت أنين يأتي من الممر المظلم.

حاول "إيهاب" اختراق الظلام هناك بنظره لكن يبدو أن الشمس قد أوشكت على الغروب وبدأت تمنع عنهم ضوءها العزيز.

يهمس "إيهاب":

- خلّيك إنت هنا. هَرُوح أشوف إيه الصوت ده؟

- ليه بس؟ خلّينا مع بعض.

- إحنا لسه مافهمناش حاجة. وده الصوت الوحيد اللي... شششش.

استنًى.

التفتوا ليجدوا الجالسين حول الطبلية قد توقفوا عن تمثيلية الأكل ونظروا باتجاههم.

- اتنيل اڤف هنا من سكات.

- ح.. حاضر.

بخطواتٍ بطيئةٍ تحرك "إيهاب" تجاه النهاية المظلمة للممر. توقف عندما رأى حركة أمامه.

ما هذا الذي يقف عند الباب في آخر الممر؟

كتف شخص قصير تظهر من الباب.

اللعنة! إن الوقت يمرُّ بسرعة والظلام يهدد بابتلاع البيت بأكمله.

صوت الأنين يعلو.

دخل صاحب الكتف إلى الغرفة التي كان يقف علىأعتابها والتي يصدر منها الأنين. خلف "إيهاب" تجمَّد "أيمن" تحت الغطاء الأبيض. عيناه تنتقلان بين الثلاثة الملتفين حول الطاولة وملاءة "إيهاب" التي تكاد تختفي في الممر المظلم.

وقف "إيهاب" على باب الغرفة في نهاية الممر... وينظر.

إنه لا يصدق ما يراه.

في الأرضية الطينية للغرفة الصغيرة، وعلى آخر ضوء للنهار، رأى جسدًا مُلقًى على الأرض، أو بالأصح النصف العلوي لجسد امرأة. تسمَّر أمام المنظر للحظةٍ ثم انتفض عندما رأى يدها تتحرك. عندها فهم ما يراه.

إن نصف جسدها السفلي مدفون في الطين.

ثمَّة حركة أخرى على يسار مدخل الغرفة أمام المرأة المدفونة، أمتار قليلة

من "إيهاب". بتدقيق النظر استطاع الأخير أن يميز ما يشبه الطفل يجلس القرفصاء في الركن.

تحركت يد المرأة مرة أخرى والتفتت لتنظر حولها. لميز ملامحها جيدًا لكنها بدت متسخة ودامية. مدت يدها للطفل فتحرك من ركنه المظلم ناحيتها بما يشبه حركات القرد.

هناك شيء في يده وقف الطفل أمامها فرفعت رأسها لتنظر إليه ومدت يدها لتأخذ ما بيده نصف جسدها المدفون في الأرض الطينية الصلبة يمنعها من الوصول إليه تقدم القَزَم خطوةً واقتطع من رغيف العيش العفن الذي يمسك به ليعطيها إياه، ثم بدأ في الاهتزاز كبندول الساعة.

يا لهول المنظر! إن المرأة في حالة مزرية حقًا.

هل هي زوجة "زين"؟

التقطت المرأة قطعة الخبز والتهمتها بشراهة مخيفةفي أقل من ثانية واحدة ثم مدت يدها إليه مرة أخرى. في هذه اللحظة شعر "إيهاب" برفرفةِ طائرٍ ما يعبُر بجانبه ويستقر في الركن المظلم. هنا توقف الطفل عن الاهتزاز ونظر إلى هذا الركن.

بدأت المرأة في الأنين مرة أخرى ولوت رقبتها في محاولةٍ فاشلةٍ أن ترى مَن في الركن المظلم خلفها، ثم بعيونٍ دامعةٍ نظرت إلى الطفل مرة أخرى.

- ناصر. ده أنا أمك. جعانة يا بني.

زاد أنينُها حتى وصل إلى "أيمن" الذي كان لا يزال يراقب مشهد العشاء الصامت من تحت الغطاء الأبيض في رعب تام. التفت ناحية "إيهاب" الذي بدأ يتلاشى في الظلام؛ مما جعله يجزع وينادي بصوتٍ هامسٍ.. لكنه مسموع:

- "إيهاب" باشا. إنت فين؟ إيه صوت العياط ده؟

صوت ملعقة تُلقى في طبق جعله يلتفت بسرعة إلى غرفة الطعام.

أين الفتاة؟

أما "إيهاب" الذي تسمّر فور سماعه لكلام المرأة، فرأى شبيه الطفل هذا يمد يده بقطعة أخرى من رغيف العيش العفن لأمه. صدر صوت غريب من الركن المظلم يشبه آلة تقطيع أخشاب أو أسنان تصطكُ ببعضها بسرعة كبيرة، جعل الطفل يهرب إلى ركنه البعيد.

صوت أنين زوجة "زين" تحوَّل إلى بكاءٍ هامس. وأخذتتمدُ يدها للطفل في محاولة لاستعطافه. ثم قامت بمحاولة يائسة أخرى لتحرر نفسها من دفنتها لكنها فشلت واستسلمت سريعًا. هنا قرر "إيهاب" أن يساعدها بأي طريقة فخطا داخل الغرفة.

كانت هذه هي اللحظة التي رأته فيها المرأة. أفلتت صرخة قصيرة جعلت الطفل "ناصر" يجري من الغرفة. عبر بجانب "إيهاب" دون أن يرى الأخير.

إن تكوين جسده عجيب حقًا؛ أشبه بقرد على إنسان. رأسه كبير وشعره أسود لامع. يشبه لحدٌ كبير القزم الذي يزورهم في بيتهم في القاهرة.

لكن مهلًا، كيف رأته المرأة؟

إذًا هي مختلفة عنهم. هل لهذا السبب لم تفلح حيلة الملاءة معها؟ لكن لماذا هي مدفونة؟ وما هذا الشيء الذي رفض أن يعطيها الطفل لقمة أخرى... الشيء الذي يقبع في الظلام؟

هل تلك المرأة قربان له؟

أم أنه لم يتمكن من السيطرة عليها كباقي أعضاء الأسرة فكانت هذه نهايتها؟

إذا كانت هذه نهاية من يُفلت من سيطرة الضيف فما مصير من يقع تحتها؟

تذكّر ركاب الميكروباص وتقرير الطبيب الشرعي. إنهيقتلهم ببشاعة من الداخل. يقتلهم ولا يتسنى لهم حتى الصراخ. تذكّر في هذه اللحظة بيت

القصيدة الذي يقول: (وجعلنا صراخَكُم همسًا).

هل هذا حال من يسكن البيت الآن من أسرة "زين"؟

تحفُز "إيهاب" فها هو الضيف يقبع على بُعد أمتار منه. كل ما يجب أن يفعله هو أن يطلق عليه النار ويحرر المرأة قبل أن يتمكن منها الضيف، إن كان هذا هو ما يريده.

لكنه ليس معه سلاحه.

هل كان سيُجدي معه في الأساس؟

صوت أيمن من بعيد:

- "إيهاب" باشا، إيه الصرخة دي؟ فاضل خمس دقا...

لم يكمل "أيمن" الجملة فقد سمع صوت خلخال وراءه يليه صوت تقليب ملعقة في كوب. التفت "أيمن" إلى مصدر الصوت فوجد الفتاة عند باب المطبخ على بُعد متر واحد منه. بيدها كوب به سائل تقلبه بالملعقة.
المخيف والذي جعله على وشك فَقْد أعصابه تمامًا أنها كانت تنظر إليه.

مبتسمة.

ثم مدت يدها إليه بالكوب.

لقد رأته.

كيف يتصرف؟

وقف في مكانه دون حراك وأغمض عينيه.

يا غبي هي اللي مفروض ماتشوفكش مش إنت اللي تغمض عينك.

صوت الخلخال يقترب خطوة أخرى. فتح عينه فرآها أمامه، لكنها أقرب. مبتسمة ويدها ممدودة بالكوب.

لا... أغمِّض عيني أحسن.

هل الملاءة التي تغطيه تنسدل من فوقه؟

نعم إنها تقع من فوقه. لقد شُلّ تمامًا.

افتح عينك يا حيوان.

مش قادر.

هل يصرخ مثل النساء؟ إنه الآن يقف في الردهة من دون الغطاء. هناك من يلمس يده.

لأ، نفتح عينينا بأه.

وقد كان.

لم يَذرِ "إيهاب" الذي كان داخل الغرفة بما كان يحدث لـ "أيمن". يكاد لا يرى شيئًا لكنه يعلم مكان المرآة. كل ما عليه أن يفعله هو أن يسحبها خارج الحفرة.

اللعنة، إن "ناصر" يقف بجانبه. يبدو أنه شعر به فهو ينظر ناحيته. هناك حركة غريبة في الغرفة. يوجد شئ آخر معهم.

صوت خطوات أقدام حيوان على الأرض الطينية يليه صوت كأنه يحفر في الأرض بمخالبه.

لم يتبقَّ كثير قبل أن...

قطعت صرخةٌ مريعةٌ الصمتَ فانتفض "إيهاب" والتفت ليمد رأسه ناظرًا خارج الغرفة. "أيمن" اختفى من الممر وغطاؤه مُلقًى على الأرض. في مكان "أيمن" يقف الرجل ذو العكازين ناظرًا داخل غرفة الطعام. ثم ظهرت السيدة البدينة لتقف بجانبه، تنظر إلى المطبخ. يقفان بجانب بعضهما دون حراك لكنهما يواجهان اتجاهين مختلفين.

ظهر "أيمن" على أعتاب المطبخ وفي يده كوب زجاجي فارغ متسخ كأنه لم يُستخدم منذ زمن ثم تظهر الفتاة بجانبه. يقف الأربعة دون حراك

ينظرون في اتجاهات عشوائية.

ثم، ومن دون سابق إنذار، أشار أيمن إليه، إلى "إيهاب".

سحب الأخير رأسه بسرعة داخل الغرفة في نفس اللحظة التي التفتوا فيها إليه وأغمض عينيه محاولًا التحكم في أعصابه شيءً ما عبر بجانبه ففتح عينيه ليرى القَزَم - الذي كان محتلًا جسد الطفل "ناصر" - يقف خارج الغرفة ويشير في اتجاهه. إن اللعين يدلهم عليه هو الآخر.

أخرج إيهاب رأسه خارج الغرفة ليلقي نظرة خاطفة فوجد أن الأربعة يتقدمون ببطء ناحية الغرفة التي يقف بها. سبقهم "ناصر" للداخل عابرًا بمرح بجانبه ليجبر "إيهاب" أن يلتصق مرة أخرى بالحائط يمين الباب. حاول الأخير السيطرة على صوت أنفاسه وهو يراقبهم وهم يدخلون الغرفة واحدًا تلو الآخر بهدوء مخيف.

وضعت زوجة زين كفَّها على رأسها كأنها تندب في صمتوهي تراقبهم في ذعر ثم مدت يدها إلى "إيهاب" الذي خشي أن تنبههم إلى مكانه قبل أن يلمح بجانبها حفرة أخرى يجزم أنها لم تكن موجودة منذ دقائق قليلة توقف الرجل والمرأة والفتاة بعد دخول الغرفة بينما اتجه "أيمن" إلى الحفرة .

ما هذا الذي يقف في ركن الغرفة؟

هل هو كلب أم ذئب أم ماذا؟

إن سيقانه طويلة ورأسه تمساحية التكوين ملتصق بكتفه من دون رقبة.

تقهقر الكائن متراجعًا ليختفي في الظلام مرةً أخرى. وقف "أيمن" عند الحفرة ثم من دون سابق إنذار قفز فيها كأنه يغطس في الماء. نصفه العلوي داخل الحفرة والسُفلِي خارجها.

من الركن المظلم الذي اختفى فيه الكائن هجين الكلب والتمساح رأى "إيهاب" التراب يُلقى على "أيمن" ليدفنه حيًا.

أذان المغرب يأتي من بعيد.

لن يسمح "إيهاب" أن يتأذى ضابط على مرأى ومسمع منه دون أن يتدخل. في اللحظة التي خطا فيها تجاه "أيمن" همس شخص بجانبه:

- إياك تعمل كده.

انتفض "إيهاب" والتفت ليجد شخصًا يقف وراءه تحت غطاء أبيض.

- "ثروت"؟ سأل هامسًا.

- أيوه. من غير ما تديلهم ضهرك، تقهقر بهدوء واطلع معايا. المغرب أذّن ولو الدنيا ضلّمت تمامًا حتى الغطا مش هينفع يحميك من عيونهم.

- هنسيب "أيمن"؟

التفت مُحدّثه ليجد أفراد أسرة زين ينظرون إليهم فتراجع قائلًا:

- يا تيجي معايا حالًا يا "إيهاب" باشا يا تفضّل هنا للأبد. قرارك إيه؟

تذكر انك حملت رواية بر الضيف الجزء الثاني من موقع مكتبة بيت الحصريات أكبر مكتبة للكتب والروايات الحصرية والمميزة والجديدة والنادرة ولتحميل المزيد ادخل على جوجل واكتب فى خانة البحث مكتبة بيت الحصريات هنظهرلك .

*****

(21)

بعد أذان المغرب بعشر دقائق كان "إيهاب" يقف بجوار بوكس الشرطة محاولًا إجراء مكالمة هاتفية. نظر إلى المحمول وهتف بحنق:

- مفيش زفت شبكة.

طلب منه "ثروت" الصعود لمؤخرة البوكس فقد حان وقت الرحيل تردد "إيهاب" لحظة قبل أن ينفذ ما طلبه "ثروت" وجلس بجانب "سعيد" الذي

التزم بالجلوس في مؤخرة السيارة طيلة الوقت لم يضطر "إيهاب" للحديث معه كي ينقل له ما يشعر به، فقط اكتفى بنظرة مقتضبة حملت أعتى معاني قلّة الحيلة والتوتر.

انتظر "إيهاب" حتى استقر "ثروت" داخل الكابينه وقال:

- أنا مش هسيب "أيمن" يا "ثروت". هرجع بكرة الصبح أطلّعه.

تنهد "ثروت" وقال:

- عايزني أجي دوغري ولا أريّح سيادتك وخلاص؟

"إيهاب": دوغري يا ريت.

"ثروت": انسى "أيمن".

تدخّل "سعيد" قائلًا:

- ينسى "أيمن"؟ هو فين "أيمن"؟

طرق "ثروت" على الكابينة ثم قال مشيرًا إلى بيت زين:

- في البيت ده.

"سعيد" مخاطبًا "إيهاب":

- طب سيادتك سيبته جوّه ليه؟

"ثروت" بهدوء:

- "أيمن" هو اللي خالف الأوامر يا "إيهاب" بيه. لما بَصّ من تحت الغطا و"رقيّة" شافته دخل في اللعبة زيه زيك كان لازم يفضل جوه علشان الضيف ما يلازمهوش هو كمان ويلازم عيلته زي ما عمل معاك كده العملية هتوسع والضيف تأثيره هينتشر في ناس تانية زي الطاعون كفاية ضحايا ملهومش ذنب. وده اللي كان مفروض يعمله "زين" بس خاف. والنتيجة إيه؟ عيلته كلها انتهت. خلّي "أيمن" هو اللي يدفع التمن لوحده.

قاطعه "إيهاب" بحنق:

- يعني نضحي بيه كده؟ فيه ظابط شرطة اتدفن بطريقة وحشية جوّه البيت ده. وأوذام عينينا. ظابط تحت قيادتي.

ثم أضاف بحزم:

- بكره من الفجر هكون هنا ومعايا قوة وهشيل البلد دي من على وش الأرض إيه ده؟!! إيه القرف ده؟!! حتة قرية جايبلنا الأذى ده كله وفيها المصيبة دي وساكتين عليها؟ دلوقتي فيه ظابط مات فيها ولازم الموضوع ده ينتهي

شخصٌ ما أشعل مُحرّك البوكس نظر "ثروت" إلى التجمُّع الذي يحيط بهم من الخفر ثم تنهد واقترب من "إيهاب" ليقول بنبرة صوت منخفضة:

- الدنيا مش زي ما إنت متخيل سيادتك. المشكلة مش مشكلة القرية دي بس، المشكلة أكبر من كده وأعقد بكتير والمسئولين عارفين كده، بس الكل مطنش. مش عايز أقولك كمّ المحاولات الفاشلة لحلها من أول ما ظهرت من سبعة وعشرين سنة. محاولات عسكرية - زي ما إنت عايز تعمل - وأمنية وعلمية وحتى دينية وروحانية.

متعلقًا بأي أمل هتف "سعيد":

- وإيه النتيجة سيادتك؟

ابتسم "ثروت" بتهكّم وخاطب "إيهاب" الذي التزم باتصاله البصري به وقال:

- النتيجة؟ فشل تام. علشان كده البلد دي مش موجودة على خريطة مصر ولا حتى السجلات الإلكترونية الجديدة. زيّ ما يكون الناس كلها مستنيّة إنها تختفي وأهلها ينقرضوا ومعاهم سرّها ومشاكلها وزي ما إنت شايف من عدد الأطفال، واضح إن أهل البلد نفسهم قرروا يعملوا كده جيل كمان وهيختفوا تمامًا ولو إني مش مقتنع إن المشكلة هتختفي

معاهم، بالعكس الحماية ضد الضيف وِزت لعائلات القرية دونًا عن غيرهم ولو انتهوا هنبقى من غير حماية

تنهّد قبل أن يكمل: - وزيّ ما إنتوا عارفين محدش عمل حسابه إن في حد من بيت القطّان هرب من البلد والشر اللي فيها مسيره حيطلع وراها هي وولاد أخوها .ده سبب ادعى أن المسئولين يتجاهلوا الموقف لأنهم مش هيعرفوا يحلّوه وهيفتح عليهم فتحة ما يعلم بيها إلا ربنا صحافة وإعلام وجهات لا حصر لها هتفتي في الموضوع وفي النهاية ده مش هيحل حاجة، بالعكس هيزوّده لأنه هينشره في كل حتة الشيخ "خلف" قالّي زمان حل الضيف إنه يتنسي وتِدْفِن حكايته.

صمت للحظة قبل أن يضيف بنبرة أكثر عمقًا:

- وخلّي بالك كل ده والضيف نفسه لسه مجاش. كل ده تأثيره بس، وأفعال أتباعه اللي إنت شفتهم عايشين جوه، تحت جلد أفراد عيلة زين.

تبادل "إيهاب" و"ثروت" نظرة طويلة أنهاها الأخير قائلًا:

- أنا متأكد إن لو سيادتك بلّغت عن اللي حصل لأيمن هتتقيّد اختفاء لم يُستدل عليه وعلى فكرة، أنا حاسس إن أيمن كان كده كده لابس في الموضوع قريت في عينيه تطلّع رهيب ولما وصلنا بَرّ الضِّيف كانت عينيه بتدور حواليه والفضول هيئط منها.

- وإيه المشكلة؟ ما فيش حد كامل.

- كلامك مظبوط. بس دورنا إننا نقاومها. الحاجات دي يا إيهاب باشا الضيف بيحس بيها من البر التاني زي الضواري مبيحسوا بالفريسة. لكن سواء التفسير ده صح ولّا لأ، في النهاية خصلّه اللي حصله بسبب إنه ملتزمش بالأوامر. وده هو الأكيد.

هكذا أنهى "ثروت" كلامه قبل أن يلتفت إلى الحاج "خَلَف":

- نستأذن إحنا. السلام عليكم يا حاج. معلش على القلق اللي سببناه.

بوقار أومأ الشيخ "خَلَف" فبادله "ثروت" بمثلها.

- إحنا اللي بنعتذر برضه يا سيادة الرائد؟

قالها "إيهاب" وقد نجحت جملة "ثروت" أن تستفزأعصابه ثم استطرد:

- إحنا جينا علشان نلاقي حل لمصيبة مشينا بمصيبة جديدة. هنعالج الموضوع إزّاي؟ إحنا حققنا أقل من نص اللي جايين علشانه.

"ثروت" مستنكرًا:

- إزّاي يعني؟ مش إنت شفت اللي حصل لعيلة زين؟ مش شفت تأثير الضيف بعينك؟

"إيهاب" ثائرًا:

- شفته؟ إيه اللي شفته؟ ولا حاجة. ولا أقدر أقول أنا شفت إيه. ده حتى اللي أنا شفته مقدرش أفسره ولا أوصف شكله إيه بالظبط طب إيه اللي بيعمله في الناس؟ ولا نعرف حالة مرعبة من السيطرة على الجسد مش هتخلّيني أعرف أنام بقية حياتي ده إنت بتقول إن كل ده تأثيره بس وأفعال أتباعه، أومال لما يجي هيعمل إيه أينغم اتأكدنا إن البلوة دي جاتلنا من هنا، وفعلًا شفت بعيني اللي بيحصل لضحايا الضيف وكمان عرفت إزاي نقدر نستخبّى من أتباعه، بس معرفتش إيه اللي خلّاه يشوفنا من أساسه ولا إزاي نتخلص من تأثيره ودي أهم حاجة لازم أحمي أهل بيتي يا "ثروت"، لازم أحميهم قبل الضيف ما يوصل للبر بتاعنا زي ما بتقول. تخيل إن كل ده تأثيره بس وأفعال أتباعه، أومال لما يجي بنفسه هيعمل إيه؟

- إن شاء الله مش هيوصل. إحنا مش لوحدنا.

قال ثروت جملته الأخيرة بشرود لكن قبل أن يستفسر منه إيهاب انتبه إلى الغفر وهم يلقون الغطاء على الكابينة لحجب الرؤية. طرق "ثروت" على كابينة القيادة مرة أخرى كي يتحرك بها السائق ثم أجاب:

- بس إنت عندك حق في إن محدش عنده معلومة مؤكدة هو عبارة عن إيه ممكن يكون حاجة من قبل البشر بين العالم الروحاني وعالمنا الملموس والمعلومات عنه شبه مفقودة الخط الوحيد اللي فيه معلومات متصلة موجود في القرية دي وهو بقى خط ضعيف جدًا. مش هتطلع منه بكلام تقتنع بيه ولا حتى تفهمه.

"إيهاب":

- الخط ده مع مين؟

"ثروت":

- المعلومات دي كانت إرث غير مُعلَن للعائلات الكبيرة في الناحية زي عيلة القطّان لغاية ما كلهم انقرضوا. كده غالبًا حتى الجزء الضعيف اللي نعرفه هينقرض مع آخر نسل عيلة القطّان. اللي آخرهم ابن المهندس يوسف.

صمت للحظة كي يستوعب إيهاب ما يقوله لكن الأخير بادره:

- طيب إشمعني الحاجات دي هنا بس ومظهرتش في حتّت تانية من القُطر؟

-بر الصُيف زي ما بيقولوا عليها آخر قرية شايفها الضيف من البر بتاعه. يعني الكائن ده هو وعشيرته أقرب ما يمكن للبشر عند القرية دي.

"سعيد":

- طب جه إزاي؟

سمعوا صوت موتور البوكس القديم ينئ وانتظر "ثروت" حتى تحركت السيارة قبل أن يجيب "ثروت":

- دي فيها أقاويل هحاول أريّحكم وأحكيلكم اللي سمعته عن الضيف اللي جه هنا على عُجالة بيقولوا لما "عبد العظيم القطّان" احتفل بسبوع حفيدته "سلمى" - زوجة سيادتك - عمل حفلة كبيرة جدًا ودعا أكابر

المنطقة وأعيانها

"سعيد":

- ليلة القطَّان؟

أعطى "ثروت" سلاح "إيهاب" له واستطرد:

- بالظبط. بيقولوا إنه عملها بالحجم والبذخ ده علشان كان عايز دعمهم لانتخابات مجلس الشعب للمرة الرابعة على التوالي، ده اللي كان مُعلَن المهم إن دي الليلة اللي ظهر فيها الضيف من بعيد الصوت بقى اللي جابه... ولّا الأنوار... محدش يعرف بالظبط المهم إنه امتد البر بتاعنا بصورة محدش يعرفها ومن ساعتها بقى ليه وجود ما في أرض القطَّان.

"سعيد":

- آه. وده سبب الحديدة اللي على اللَمَد. علشان تمنع الأنوار إنها توصل للضيف؟

رجع "ثروت" مستندًا على إفريز الكابينة الحديدي واستكمل حديثه:

- مظبوط. الاحتياطات دي طول عمرها بتتنفذ هنا، أهل البلد متعايشين معاها تمامًا. أصبحت جزء منهم. إنما ده برضه مش كل حاجة الشيخ "خَلَف" بيقول إنه مش بس الأنوار اللي بتجيب الضيف، هي ممكن تكون بتلفت انتباهه بيقول إنه حاقد على البشر وشايفهم مايستهلوش الحياة ولا "الهدية" اللي معرفش هي إيه بيعتقد الشيخ "خلف" إن تصرفات "عبد العظيم القطَّان" نفسه هي اللي خلَّت الضيف يعدّي النيل ويجيلنا.

قاطعه "إيهاب" مستفسرًا:

- يعني إيه تصرفاته؟

- زي ما يكون كان قاصد يخالف التقاليد ويستفز الضيف لسبب ما. ده انتقل لبقية أهل القرية، وكان زي المغناطيس للضيف، زي ما شفت مع

"أيمن" كده. والتفسير ده حاسِس إنه أوقع وهو اللي لازم تصدقه.

"إيهاب":

- إشمعنى؟

أخذ "ثروت" نَفَسًا عميقًا قبل أن يقول:

- الشيء ده مش هيرتاح إلا لما يسيطر على حياة عيلة "القطّان" - اللي هم أصحاب البيت والأرض اللي دَعُوه أو اللي باقي منها على الأقل - ويسمّمها هيفضل عايش زي السوادة كده حواليهم في الأركان ووراء الستاير وجوّه أجسادهم لغاية ما يقضي على آخر نقطة حياة فيهم وده كان دافع "زين" إنه يشتري الأرض من ابن عمه كان عايز يصلّح غلطته ويخلي الضيف يسيبكوا ويلازمه هو بس يمكن ده ينقذ ولاده دلوقتي حلّك الوحيد إنك تقاوم تأثير الضيف السلبي وتحافظ على بيتك. كل ما علاقتك تتحسن بأهل بيتك وتراعيهم تأثيره هيتضاءل لحد ما يختفي خالص.

صاح "إيهاب" بغضب:

- يعني إيه؟ عايزني أرجع أعيش في بيتي وأعيش تحت سقف واحد مع الشيء ده. مستحيل. اللي إنت بتقوله ده شيء خيالي. حتى لو انا قدرت أعمل كدة غيري هيفشل.

"ثروت":

- مش أحسن ما تصدق إن الأنوار هي اللي بتجيبه؟ كده محدش يؤلع نور في بلكونته ولا أودّام بيته يعني كل البشر اللي ساكنين على النيل أو على طريق عريض يعزّلوا أحسن ولّا هيجيلهم ضيف من البر التاني على الأقل كده في حاجة ممكن تعملها. غير كده روح هات جيوش العالم كلها وبرضه مش هيموت.

"إيهاب":

- مش مهم نفسّر إزّاي بيجي. يجي زي ما يجي. المهم إنه جوّه بيت "زبن" ولازم نتخلص منه.

نظر إليه "ثروت" وهزّ كتفه ثم أغلق عينيه وهو يقول:

- صدق اللي عايز تصدقه سيادتك. بس لو اقتنعت هوه بيجي إزّاي ممكن تقتنع بالحل اللي قلتلك عليه. صدقني يا "إيهاب" بيه، الضيف مبيموتش بالرصاص. كانت أول محاولة للداخلية للتخلّص منه نجحت. واسأل اللّوا راشد.

شرد "إيهاب" للحظاتٍ ثم تمتم قائلًا:

- بس فيه واحد من الداخلية نجح إنه يحبسه.

سمعه "ثروت" لكن لم يعلق بل ظل مغلق العينين طيلة الطريق حتى يتلافى المزيد من أسئلة "إيهاب" التي لا يملك إجابتها فالأمر بالفعل مُنتهٍ نُطِق الحكم الذي ليس به استئناف لقد دعا "القطّان" الضيف إلى بلدته وهو لن يهنأ قبل أن يسيطر على حياة نسله وبلدته ويحيلها إلى كابوس ينتهي بنهاية كل أصحابها.

"ثروت" يعرف إن ابن "يسري الدماطي"، الشخص الذي حبس الضيف في الأرض، متزوج من عائلة القطّان لذلك فـ "إيهاب" في عِداد المحكوم عليهم بالإعدام. دافِع الضيف للانتقام من "إيهاب" دافع مزدوج، سواء بسبب والده أو زوجته.

لكنه لن يقول له ذلك. كل ما يتمناه الآن أن يذهب "إيهاب" بعيدًا ويأخذ معه مشكلته قبل أن تستفحل.

مرت عشر دقائق قبل أن تتوقف السيارة في ساحة السوق ويفتح "ثروت" عينه قائلًا:

- حمدًا لله على الس...

فتح عينيه عن آخرهما عندما وجد الكابينة فارغة إلا منه هو و"سعيد".

كان الأخير في حالة ذهول وهو ينظر إلى فتحة في الغطاء المسدل عليهم.

- إنت بصّيت بزّه؟ شفت إيه؟

لم يردَّ "سعيد" بل ظل جاحظ العينين فرفع "ثروت" صوته: فين "إيهاب"؟!

ببطء شديد أشار "سعيد" للفتحة ومن وراءها السلك الشائك. هناك رأى "ثروت" فتحةً تَسَعُ لشخص.

أخرج "ثروت" رأسه من الفتحة وصاح بأعلى صوته في الغيطان المظلمة:

- "إيهاااب"!!!

سمع "سعيد" صوتًا خافتًا مبحوحًا فالتفت ليجد الشيخ "خَلَف" يقف عند مؤخرة البوكس وهو متشح بالظلام. من أسفل الغُترة سمعه يقول:

- من سبعة وعشرين سنة آقسم الأب إنه هيرجع للضيف وعشيرته. وصدقوه وفضلوا مستنيينه جوّه أرض القطان. النهارده الابن هو اللي رجع.

ظل "ثروت" في مكانه ينتفض من الغضب والخوف. لقد كان يعلم جيدًا إن زيارة ابن "يسري الدماطي" لن تمر بسلام. والآن أكثر كوابيسه قسوةً قد تحققت وأنه لن يهنأ بالنوم بعد تلك الليلة.

*****

(22)

في ڤيلّته بالتجمع الخامس جلس د "شريف" إلى المكتب في غرفة صغيرة بالدور الأرضي تُضاء الغرفة فقط بنور أباچورة خافت يساعده بصيص بسيط من الضوء يشعُّ من الشباك المواجه للمكتب، بينما يسيطر الظلام على معظم أنحاء الڤيلّا صوت غلّاية المياه الكهربائية ينذر بقرب

غليان المياه لكن هذا لم يشتت اهتمامه عن الملف الذي يتفحّصه.

دق جرس الڤيلّا لينجح في انتزاعه من قراءة الملف. تأفّف معترضًا وتردد بين الذهاب لرؤية الزائر وبين إنهاء عمله. حسم رأيه وأغلق الملف ولملم فوقه الروب المنزلي الشتوي الأنيق، ثم خرج من غرفة مكتبه الصغيرة متجهًا يمينًا للباب الرئيس. ضغط على زر الإنتركوم قائلًا:

- مين؟

- أنا "يوسف" يا دكتور.

أشرق وجه "شريف" وقال:

- ثواني هفتحلك.

- معايا ضيوف.

- أهلًا بيك وبضيوفك.

ضغط "شريف" على زر آخر بالإنتركوم ليفتح باب الحديقة الخارجي. خرج من باب الڤيلّا إلى الحديقة المظلمة ونظر إلى البوابة الرئيسة التي فُتحت لتدخل منها سيارة "توحيدة" ذات الدَّفع الرباعي. مد "شريف" يده لزرٍّ آخر ليضيء السور ويضفي لمسة شاعرية على الحديقة.

توقفت السيارة عند السلم حيث يقف فنظر داخلها ليجد "هارون" السائق وبجانبه يجلس "يوسف". في الخلف تجلس "توحيدة" وحدها، في منتصف الكنبة الخلفية تمامًا.

رحّب "شريف" بضيوفه:

- مش تقول إن معاك أعز ضيوف. اتفضلي يا "توحيدة" هانم.

أومأت "توحيدة" برأسها في كياسة يشوبها بعض البرود وهي تتأمل منزل "شريف".

سمعها "يوسف" تتمتم:

- هو ماله بقى مِلَزِّق كده ليه؟

- هو مين يا عمتي؟

- مديرك.

كتم "يوسف" ضحكته وترجَّل من السيارة. نزل بعده "هارون" ودار حول السيارة ليفتح أبوابها الأربعة. انتظرت "توحيدة" لحظاتٍ ونظرت للأريكة على جانبيها ثم تمتمت بشيءٍ قبل أن تدق بعصاها مرتين على أرضية السيارة وتنزل هي الأخرى.

أشار لهما "شريف" أن يدخلا:

- سيادتِك منتظره إيه؟ ده بيتِك. اتفضلوا.

تقدم "يوسف" عمَّته وصعد ليقف بجوار "شريف" ثم التفت ليجدها ما زالت ممتعضة من ترحاب شريف المبالغ فيه. جالت بعينيها في المكان وهي تصعد السلم إليهما. تقدمهما "شريف" ودخل القيلَا لينير صالة الاستقبال.

قال "شريف" وهو يغلق الباب خلفهما:

- التجمع كله نوَّر يا حاجَّة. كنت لسَّه...

قاطعته "توحيدة" قائلة:

- سيب الباب مفتوح.

تسمَّرت يد "شريف" على مقبض الباب ونظر إلى "يوسف" متسائلًا.

"يوسف" مبتسمًا:

- متبصَّليش.

التفت "شريف" إلى "توحيدة" فقالت:

- السواق هيركن وهيجيب حاجة من شنطة العربية قبل ما يدخل.

ترك "شريف" الباب وهزَّ رأسه مستسلمًا.

"توحيدة" بنفس البرود:

- تُشكر على استجبالك الظريف ده. يالا علشان معندناش وَخت.

قالتها "توحيدة" بلهجة فلاحي أصيلة جعلت "يوسف" يستنتج أنها في قمة الجدّ.

قادهم "شريف" عبر مدخل الڤيلّا وهو يقول:

- حاضر. أهلًا وسهلًا. اتفضلوا.

تذيَّل يوسف المجموعة وهاجسٌ قوي ينبئُه أنه على أعتاب لحظة فارقة لن ينساها.

* * *

جلس "يوسف" وعمته أمام شريف في مكتبه الصغير في الدور الأرضي والذي يقع على يسار المدخل.

- قولّي وصلت لإيه يا دكتور؟

سألته "توحيدة" وقد استعادت لهجتها القاهرية كمحاولة منها لإخفاء حدتها.

فتح "شريف" الملف وأخرج منه ورقة مليئة بالملاحظات. تأمل فيما كتبه عليها قائلًا:

- هقول لسيادتِك.

"يوسف":

- وصل لإيه في إيه؟

"شريف":

- "توحيدة" هانم اتصلت بيّا علشان أدرس موضوع الورث والأرض بتاعتكوا. إنت عارف إن أنا اللي بايعلكم أرضكم كلها إلا بيت القطّان والجنينة بتاعته.

التفت "يوسف" إلى عمته لكنه رآها تتأمل الغرفة في لا مبالاة.

- مش كنتي معترضة على أي حاجة تيجي من بَرّ الضّيف يا عمتي؟ غيّرتي رأيك ليه؟

- إنت اللي اضطريتني يا بن "علي". من ساعة ما إدّيت ودنك لابن عمك وصممت إنك تاخد الجضية إياها وخلاص، اللي كان مجطوع اتربط من تاني. سيبني أحلّها بجى.

طأطأ "يوسف" رأسه إحراجًا وأمسك محموله يقلب فيه لا يدري ما سبب شعوره كأنه رجع للمدرسة وعمته جاءت تلبيةً لاستدعاء وليّ أمره. أخذ "شريف" يتصفّح أوراقه على ضوء الأباچورة الوحيدة. نظرت "توحيدة" للدولاب المكون من أربعة أعمدة من الكتب العلمية والذي يقف خلف "شريف".

- هو إنت عارف تشوف في الضلمة دي؟

سألته بقرف. ضحك "شريف" محرجًا وأضاء المصابيح الموجودة في أرفف دولاب الكتب.

- لا مؤاخذة. أصلي بحَبّ أقعد في جو هادي. خصوصًا إني زي ما إنتي شايفه... عايش لوحدي.

زادتها إجابته اشمئزازًا فمصمصت شفتيها ونظرت بعيدًا مما جعل "يوسف" يبتسم. أضافت قائلة:

- طبعًا ما هو في رجّالة متحبّش غير نفسيها.

قالتها "توحيدة" بلهجتها الفلاحي. تنحنح "شريف" وقام ليتجه لغلاية

المياه ويقوم بتشغيلها ثم يعود ليجلس إلى مكتبه قائلًا:

- زي ما قلت لسيادتك في التليفون، البيت مَعلِهُوش مشاكل قانونية. وبما أن الدعوة مرفوعة من الورثة يبقى الورثة ممكن يرفعوا الحظر من عليها. بس..

- بس إيه؟

أغلق "شريف" الملف وتنهد ثم قال:

- فيه قصص كده.

- جصص إيه؟

- القصص اللي سيادتك عارفاها.

- إحنا هنلعب عروستي يا دكتور؟ جصص إيه بنجولَك؟

سألته "توحيدة" بنبرة محتدَّة.

تدخل "يوسف" قائلًا:

- بالرَّاحة على دكتور "شريف" يا عمتي. هو هيجاوب. قصص إيه يا دكتور؟

ابتلع "شريف" الإهانة وقال:

- أولها سبب الدعوة العجيبة دي نفسها. القصص اللي بتقول إن من حاجة وعشرين سنة حصل حادث غريب. احتفال عمله صاحب البيت، عبد العظيم القطَّان جد يوسف، وبسببه...

توقف للحظة.

"توحيدة" بنفس الحزم: متنطج. إنت عتنجُظنا ليه؟

تنحنح "شريف" واستطرد:

- آسف. أصلها قصة غريبة شوية. بسبب جد "يوسف"، حسب رواية أهل

الناحية، فيه حاجة جت من البر التاني من النيل - حاجة بيسمُّوها "الضيف" هل هو كائن ولَا فكرة ولَا وجود ما معرفش بالظبط، بس من اللي أنا قريته عرفت آن أهل البلد بيخافوا منه بشدة ممكن تكون خرافة زي النداهة كده ما هو في الفلاحين حيث الجهل منتشر، بتكتر الأساطير دي. بس دي غالبًا حاجة ما طلعتش من بَرّ الضَّيف وما صلتلناش قبل كده.

أنهى "شريف" كلامه بابتسامةٍ عريضةٍ لم تلقَ ترحابًا. فقط وجهان ينظران إليه ببرود.

تنحنح للمرة الثالثة وعدّل وضع نظّارته على وجهه المنتفخ ثم أمسك ورقة الملاحظات مستطردًا:

- مش قصدي حاجة طبعًا. إحنا في الآخر كلنا فلاحين. بس هي دي المشكلة اللي ممكن تعوق عملية البيع. الروايات بتقول إن الضيف ده لسه محبوس في أرضكوا بصورةٍ ما، إيه السبب أو هو عايز إيه بالظبط، معنديش فكرة. أو بمعنى أدق، مسمعتش الجزء ده من القصص.

قاطعته "توحيدة" قائلة:

- بس إنت مجُلتِليش، إنت مصدِّج الكلام دهُوْن؟

أسرع "شريف" بالإجابة متفاخرًا:

- طبعًا لأ. معلش متزعليش مني يا حجّة، بس الحاجات دي ملهاش سوق عندنا. عند المتعلمين يعني.

تبادلت "توحيدة" النظرات مع "يوسف" فأسرع "شريف" يقول:

- معلش أنا آسف يعني.

قالت "توحيدة" وهي على شفا البصاق عليه:

- معلش على إيه؟ ما هو أهل بَرّ الضِّيف عارفين إن محدّش هيصدِّج الحكاية دي. محدش هيعرف هُمَّ ضحُّوا جدّ إيه لما قرروا يحموكوا من

الشر اللي جه من البر التاني ويكتموه جوّاهم.

"يحمونا؟"، قال "شريف" باستنكارٍ ثم استطرد:

- يا حجّة "توحيدة" الكلام ده خرافات. أنا بحثت كتير عن حاجة بالوصف اللي قرأته في ملف القضية؛ الحاجة اللي مسمّيينها الضيف دي. قرأت أسماء تانية ليها، أسماء عجيبة من مناطق مختلفة من الدول العربية زي الطنطل والأحفيظ والظليم. الأجانب بيقولوا عليه تانتلوس أو بارجست.

- كل دي أسماء لنفس الشيء؟ سأل "يوسف".

- من وصفه حاسس كده. ومن اللي شفته كمان. وممكن زيّ ما قلت، تكون الحاجات دي تحريف لسيرة كائن مختلف تمامًا.

- شفته؟! استعجب يوسف.

- شفت ڤيديوهات على النّت على حاجات بالأسماء دي من دول كتير وكلها تحسّ إنها مضروبة قرأت عن معتقدات غريبة؛ النور اللي لو شافه هيشدّ انتباهه إزاي هو بيسكن على الناحية التانية من نهر أو طريق وإزّاي تأثيره بيبقى حوالين الناس وجوّاهم بياخد أشكال لناس قضى عليهم قبل كده وغيرهم من كائنات نعرف بعضها وأكترها مانعرفوش.

قاطعه "يوسف" وعيناه جاحظتان:

- كمّل. الوصف ده دقيق جدًا.

- دقيق إيه يا باشمهندس؟ الخرافات دي بتحكي عن حاجات بتيجي تسكن في البيوت من غير سبب معروف وبتعيش مع البشر من غير ما يعرفوا معظمهم مش بيحسّوا بحاجة غير إن البيت بقى ضلمة أو فيه ريحة وحشة الأكل بيخلص بسرعة والعلاقات بتتوتر بين سكان البيت حاجات مخيفة طبعًا؛ خصوصًا اللي بيعمله في البشر نفسهم جسديًا ونفسيًا بس كل ده ولا يهزّني لأنه مش حقيقي. مش معقول حاجة

بالحجم والخطورة دي تبقى مدفونة الوقت ده كله ومستخبية كده في قربة منسية في قلب الريف المصري.

تأملته "توحيدة" في صمت. نظر "شريف" إليها ثم إلى "يوسف" ثم إليها مرة أخرى. طالت نظرة "توحيدة" إلى "شريف" حتى ظن الأخير أنها تحاول تنويمه مغناطيسيًا. لكنها أراحته من هذا الضغط العصبي حين تنهدت والتفتت إلى "يوسف":

- شكلنا مش هنعرف نخلّص من الوِزْث ده يا بن أخويا. حتى لو هنرميه بتراب الفلوس.

"يوسف":

- أنا شايف إننا ما نفقدش الأمل بسرعة كده.

تنحنح "شريف" للمرة الرابعة وسأل بصوت خافت:

- هو إنتوا عايزين فيه كام؟.

"توحيدة":

- والله لو جاب ربعميت ألف حنبيعه.

"شريف":

- مش كان جايب... سكت للحظة ثم استطرد: عمومًا أنا عندي اللي يشيله.

اعتدل "يوسف" في جلسته وقال:

- بجد؟ مين؟

- أنا. ممكن أدفع لغاية ميتين وخمسين ألف في نصيبك إنت ومدام "سلمى".

"يوسف":

- إيه؟!! إشمعني يعني الرقم ده؟ إنت عارف إنه كان جايب فوق الاتنين مليون، ومن واحد عارف قصته.

قام "شريف" وذهب ليقوم بتشغيل الغلّاية للمرة الثالثة. وقف عندها والتفت إلى "يوسف" قائلًا:

- ما هو الواحد ده اتقتل. مش كده؟ ثم أنا كمان عارف القصص.

"يوسف" غاضبًا:

- مش إنت لسه قايل إنك مش مصدقها. يبقى تدفع تمنه من غير ما تبخس بيه.

"شريف":

- معلش يا "يوسف". أنا عايز أساعد ودي مقدرتي.

وقف "يوسف" وقال:

- يالّا يا عمتي. شكرًا يا دكتور.

لم تقف "توحيدة" إنما قالت:

- اجعُد يا ولدي.

"يوسف":

- أقعد إيه يا عمتي؟ مانتيش شايفة الاستهبال؟

"توحيدة":

- معلهش. إحنا جينا لـ "شريف" بيه علشان يحل لنا المشكل. وهو عايز يساعد.

التمعت عين "شريف" وفعل المستحيل كي يخفي لهفته لكنها لم تخفَ على "يوسف" فقال:

- نص مليون وتبقى حلال عليك.

استدار "شريف" ليصبّ الماء الساخن في ثلاثة أكواب وقال وظهره لهم:

- الرقم اللي أنا قلته ده آخري الحقيقة. إنما لو عايزين ندوّر على شاري بالرقم اللي بتقول عليه ندوّر.

"توحيدة":

- لأ خلاص. حلال عليك.

"يوسف":

- حلال إيه يا عمتي؟ أنا مش هبيع.

نظرت "توحيدة" إلى "يوسف" نظرةً ناريةً جعلته ينكمش في كرسيّه في صمت. ثم التفتت إلى "شريف" قائلة:

- زي ما جُلت، حلال عليك. سيب اللي بتعمله ده. مش هنطفّح حاجة. أجعُد.

ترك "شريف" الأكواب ورجع بسرعة ليجلس في كرسيه.

- طيب. نمشي في الإجراءات؟

"توحيدة":

- نخلّص دلوجت لو عايز.

فتح "شريف" درج مكتبه وأخرج عقدًا فارغًا ووضعه أمام "يوسف" المذهول ثم بدأ في ملئه.

- عمتي، إنتي فعلًا عايزه تخلصي دلوقتي؟ وعلى الرقم ده؟

- أيوه يا ولدي.

بغيظ شديد نظر "يوسف" إلى "شريف" الذي كان منهمكًا في ملء بيانات

العقد.

- تمام. خلصت البيانات ممكن تمضي هنا.

قالها "شريف" ودفع العقد باتجاه "يوسف" وأعطاه قلمًا ثم فتح درجًا آخر وأخرج منه دفتر شيكات.

- امضي يا ولدي. مش هنعرف نبيع الأرض دي خالص من الحكاوي اللي عليها. امضي.

"شريف":

- معاكوا التنازل من بقية الورثة؟

"يوسف":

- آه ضخ. لازم نجيب تنازل منهم.

"توحيدة":

- موجود يا دكتور.

فتح "يوسف" عينه في ذهول وهو يحدق في عمته:

- جبتيه منين؟

"توحيدة":

- "زين" ولد عمك جابهولي لما حس إنك مش هتبيع في الوجت المناسب. امضي يا وِلد أخوي، خلّينا نمشي.

أمسك "يوسف" بالقلم وأخذ يهز رأسه وينظر إلى عمته مذهولًا. لكن تعبير وجهها الواثق ونظرتها الصارمة كافيان أن يوقع العقد ويدفعه دفعًا تجاهها. ذيّلت توحيدة العقد بإمضائها وأعطته لشريف مع أوراق التنازل الذي أخذهم بلهفة وأعطى يوسف شيكًا بالمبلغ المتفق عليه. وضع العقد ودفتر الشيكات في الدرج الأخير وأغلقه بالقفل ثم رجع ليريح ظهره على

الكرسي.

ظل ثلاثتهم على وضعهم لبرهةٍ من الوقت: "يوسف" مُحمرّ الوجه من الغيظ، شريف مبتسمٌ بزهوٍ و"توحيدة" صامتة جامدة الملامح. بدأت ابتسامة "شريف" تتلاشى وبدأ "يوسف" يهدأ وعيونهما على المرأة الحديدية الجالسة أمامهما. لم يجد "شريف" مفرًا من الاستفسار قائلًا:

- في حاجة تانية يا حاجّة أقدر أساعد فيها؟

نظرت "توحيدة" وراءها، إلى خارج غرفة المكتب؛ مما جعل "يوسف" و"شريف" ينظران هناك بدورهما لكنهما لم يريا شيئًا، فقط الصالة ذات الإضاءة الضعيفة.

سأل "شريف":

- صحيح السواق بتاعك مدخلش ليه؟ أكيد مكسوف. هقوم أجيبه.

لكن قبل أن يقوم من جلسته جاءه رد "توحيدة" مباغتًا:

- خلّصت مع صاحبة بيت المعادي؟

جحظت عين "شريف" وخرج صوته محشرجًا:

- إيه؟ خلصت إزّاي يعني؟

- خدت منها الرشوة يعني؟ كده فهمت؟ أكيد كانت فوق العشرين مليون.

لم يردَّ "شريف" فقط ففر فاه مذهولًا.

- أنا عارفة كل حاجة. عارفة إنك طمعت وعارفة إنك خُنت الأمانة.

انتفض "شريف" غاضبًا وصاح:

- أنا ما أسمحلكيش يا هانم.

"يوسف" بغضب يضاهي غضب مُضيفه:

- متزعقش يا دكتور. صحيح اللي عمتي بتقولَه ده؟

- صحيح إيه؟ أنا شمعتي زي الألماظ طول عمري. أنا...

قاطعته "توحيدة" ببرود:

- الجشع اللي في عينك ده مكانش فيها أول مرة شفتك ده تأثير الضيف "هارون" شافه في "سميّة" لما جاتلك وحاول يحذّركوا على جَدّ ما هو مسموح ليه بس الضيف كان شاف فيك اللي محدش ولا إنت نفسك كنت كنت شايفه. شاف الطمع اللي جواك.

بُهت "شريف" وبدأت يداه ترتعشان وهتف:

- ضيف إيه وطمع إيه؟ أنا ماسمحش...

هنا استندت توحيدة على عصاها لتقف قائلة:

- عمومًا مبروك عليك. مبروك عليك الفلوس ومبروك عليك الأطيان ومبروك عليك... العروسة.

شريف: عروسة؟! عروسة إيه؟

اتجهت "توحيدة" لتخرج وأشارت إلى "يوسف" أن يأتي خلفها وهي تقول:

- يالّا يا ولد أخوي صاحبك عنده ضيوف

"شريف" بهستيريا قد بدأ يشعر بأنه ضحيةُ فَخٍ ما:

- ضيوف مين يا عمّ "يوسف"؟ هي عمتك بتخرَّف ولّا إيه؟

لم يرد "يوسف" ولم يغضب من رد "شريف"، بل ابتسم وقد بدأت خيوط خطة عمته العبقرية ترتسم في عقله لحق بها عند باب غرفة المكتب حيث وقفت قبل أن تضرب بعصاها الأرض مرتين لوّحت بعدها بكفّها في الهواء كأنها تُفسح لنفسها أو تزيح شيئًا غير مرئي من طريقها ،لم يعلق "يوسف"

واستسلم تمامًا لعمته.

- ما ترد يا "يوسف". ضيوف إيه وعروسة إيه يا ست "توحيدة"؟

خرجت "توحيدة" وتبعها "يوسف" تاركَين "شريف" يُرعِد ويُزبِد في غرفة مكتبه انقلبت ثورته لدهشة عندما رأى ضوءًا غريبًا يأتي من الصالة استجمع شجاعته ولحق بهما قبل أن يخرجا من باب الڤيلّا لفت انتباهه مصدر الضوء الغريب على يمينه فالتفت ليجد قنديلًا حديديًا عتيقًا موضوعًا على الأرض.

- إيه ده كمان؟ دخل إمتى ده؟ مين تاني جه معاكي يا حجّة؟

تنبه إلى أن "توحيدة" قد خرجت بالفعل من باب الڤيلّا و"يوسف" يسبقها ليركب بجوار "هارون".

- "يوسف"، خُد عمتك ومع السلامة.

التفتت "توحيدة" إلى "شريف" وقالت:

- مبروك.

بهدوء استدارت ونزلت السلم. ركبت السيارة وانطلق بها "هارون" خارج الڤيلّا. لوّح "شريف" بيده للسيارة وقال:

- يالّا يا مجانين.

***

بعد أن خرجت السيارة وقف شريف يلتقط أنفاسه. مرت ثوانٍ قليلة قبل أن يأتيه شعور غير مريح جعله يجول ببصره في الحديقة. عاد إلى الداخل وأمسك بالمصباح ليرميه خارج الڤيلا ويذهب إلى مكتبه. فتح درج الشيكات والعقود ليُخرج شيكًا بمبلغ عشرين مليون جنيه عليه توقيع "سميّة". أمسك محموله واتصل بالسكرتيرة.

- أيوه يا "رضوى" خُديلي إجازة مفتوحة. عندي ظرف ورايح البلد.

- ...

- ملكيش دعوة بلد إيه!! اعملي زي ما بقولك!

أنهى المكالمة وقام ليشغل الغلاية للمرة الخامسة. نظر خارج النافذة. خاطب نفسه بصوت مسموع:

- هو النور قاطع في التجمع الخامس كله ولا إيه؟

ذهب ليزيح الستارة كي تتسنى له رؤية أفضل.

الظلام دامس تمامًا. خارج أسوار القيلا يبدو له أن الكهرباء مقطوعة عن المنطقة والبلد كلها.

إلا من ضوء بعيد.

وبيته هو.

لكن كيف لم تنقطع عنده؟

كأن بيته قد أصبح مصدر الضوء الوحيد في العالم مع ذاك النور الخافت الذي يشعُّ من بعيد.

صوت ملعقة في كوب يأتي من خلفه. التفت كالملسوع ليجد الكوب الموضوع بجوار الغلاية به ملعقة هو متأكد أنه لم يضعها به. بدأت دقات قلبه تزيد وهو يقترب من الكوب. وجد أن به قهوة مع أنه لم يبدأ بعد في إعداده.

هناك شيء يحدث حوله لم يعُد يستطيع تجاهله أكثر من ذلك. التفت حوله وقال:

- مين هنا؟

صوت رفرفة في الصالة. التفت كالملسوع لينظر خارج الغرفة. صوت إيه ده؟

هو النور بقى ضعيف قوي كده ليه؟

طرقتان على باب الڤيلا جعلتاه يجفل. أسرع لينظر من الزجاج الجانبي للباب الرئيس فرأى خيالًا لشخص يقف هناك. التفت هذا الشخص ناحية "شريف" الذي تحرك بسرعة ليختبئ خلف الباب.

يبدو أن لدى هذا الشخص إصابة في قدمه فهو ينحني للأمام وحركته غير طبيعية. لكن هل رآه؟

مرة أخرى طرق هذا الشخص الباب مرتين متتاليتين.

هل يسأل مَن هناك؟ هل يعرف هذا الشخص أنه بالداخل؟

صوت كأنه بكاء كلب ضخم أو عويل بقرة تتألم صدي بالخارج ليجمّد الدم في عروقه. هنا انتفض "شريف" وصاح:

- مين بزّه؟!!

يهتز باب الڤيلا كأن من بالخارج يحاول خلعه وهدم الحائط معه.

- هبلّغ البوليس!!

طرقتان قويتان كادتا تخلعان قلبه من صدره فصرخ:

- عايز إيه؟!! إنت مين ياللي بره؟!!!

صوت بالخارج كأن هناك حيوانًا بمخالب يمشي على بلاط الشرفة. ألقى "شريف" نظرةً خاطفةً ليرى ما يشبه الكلب من دون رقبة ذا أطراف طويلة وفم تمساحي التكوين يدور حول المنزل بما يشبه ركضة الزرافة، أي دون أن يثني ركبتيه.

أسرع "شريف" إلى الباب الخلفي وأغلقه في نفس اللحظة التي وصل فيها هذا الشيء انتفض مذعورًا حين سمع صوت مخالبه على البلاط، ثم قام بجولة في الدور الأرضي ليتأكد من أن كل المنافذ مغلقة بإحكام مقطوع الأنفاس مِن الرعب والمجهود، جلس على كرسي في الردهة بين

مكتبه الصغير والمطبخ.

هناك صوت في الدور العلوي. ركض إلى مكتبه وأمسك محموله ليتصل بالشرطة. شيء ما ينزل السلم مسرعًا. يعرف ذلك من صوت الخلخال.

يا للهول! إن قلبه يكاد يتوقف.

تسمَّرت يده الممسكة بالمحمول وهو ينظر إلى طرف السلم المؤدي إلى الدور العلوي. ظهرت يد شخص يمسك بالدرابزين. ها هي بقية جسده... أم جسدها. صوت الخلخال يشي بأنها ترتديه في إحدى قدميها.

إنه الآن ينظر إلى فتاة قصيرة ترتدي رداءً فلاحيًا وعلى وجهها برقع أبيض يخفي وجهها شديد الطول. لكن جسمها مُعوجّ. ما مغزى البرقع الذي ترتديه؟

بطرف عينه لمح ظلًا كأن هناك من يجلس على كرسيّه الخاص خلف مكتبه. ببطء حوّل نظره إليه ليجد كيانًا يشبه فلاحًا ضخمًا مُغطًى بغبار أبيض وأمامه دفتر. فتح عينيه عن آخرهما ذعرًا عندما نظر أسفل المكتب ليجد قدميه مقطوعتين وهناك عكازان ملقيان بجواره.

ثمّة حركة خلفه.

نظر مرة أخرى خارج الغرفة فوجد الفتاة على أعتابها.

هل يصرخ؟

لن يسمعه أحد من مجموعة الڤيلات التي تقع على الناحية الأخرى من الطريق. لقد خطط حياته كي تكون له وحده. والآن سيجني ثمار أفعاله وحده.

ارتمى شريف على الكرسي وقد بلغ منه اليأس مبلغهوخارت قُواه الذهنية. بنبرةٍ أقرب للبكاء قال:

- "إنتوا مين؟".

***

في طريقهم إلى الخروج من القاهرة الجديدة نظر "يوسف" إلى عمته في مرآه السيارة وابتسم.

- مبسوط ليه يا ولد أخوي؟

- أصلِي فهمت.

نظرت عمته خارج نافذة السيارة وتأملت الشوارع المظلمة التي تحيط بمجموعة الڤيلات الأقرب لمنزل "شريف".

- فهمت إيه؟

- فهمت إنتي حلّيتيها إزّاي.

- حلّيتها كيف؟

- رميتي الوِزْ لـ "شريف" بتراب الفلوس. دلوقتى مافيش حاجة تربطنا بالأرض. دلوقتي هو المالك الوحيد واعترف إنه عارف كل حاجة. يا ترى هيحصلّه إيه؟

زغرودة صارخة صدت في أنحاء التجمع الخامس اقشعرّ لها بدن "يوسف" فانتفض لينظر خلفه.

- دي من بيت "شريف"؟

"توحيدة":

- صاحبك دلوجتي بيستقبل آخر ضيف هيجيله في حياته. صاحبك دلوجتي عريس.

*****

maktabbah.blogspot.com

(23)

صيف ...2020

في صباحِ يومٍ جميل، أمام قسم شرطة بالقاهرة الجديدة، فرَد النقيب "سعيد" قامته الرياضية وأزاح الكاب الميري عن رأسه الحليق. رفع فنجان القهوة إلى فمه كي يأخذ رشفه سريعة وعلى وجهه ابتسامة رضا. أغمض الثاني عينيه وهز رأسه ببطء كي ينفض ذكرى ما كان شاهدًا عليه الشهور السالفة. لكن تدريجيًا بدأت ابتسامته تذوي بينما ظلت مشاهد متقطعة تنهال على مُخيلته بلا رحمة.

الركاب وهم يتحاورن ويتحركون في مشهد صامت مرعب.

الزنزانة وما كان يجول بظلمتها.

الأهوال التي كان شاهدًا عليها في القسم.

مشهد جثث الركاب و"سمية" و"إعتماد" بعد أن فرغ منهم الضيف.

وأخيرًا.. ما رَآه في بَرّ الضُيف - المشهد الذي لن ينساه طيلة حياته: إيهاب الدماطي وهو يتسلل من فتحة في السلك الشائك الذي يحيط بأرض القطّان.. ومَن كان يركض خلفه.

لكنه هز رأسه ونفض منها تلك الأفكار وهو يتمتم:

- الحمد لله.

سأله زميله الذي انضمّ له لتوّه:

- الحمد لله على إيه؟

فتح عينيه وعاود الابتسام قائلًا:

- الحمد لله إنه نجاني من اللي شفته الكام شهر اللي فاتوا.

ابتسم زميله ورثت على كتفيه قائلًا:

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

- المهم إنها خلصت على خير. بس إنت مكفلتيش اللي حصل.

جلس "سعيد" على الكرسي فانضمّ إليه زميله الذي أخذ منه فنجان القهوة مازحًا وهو يقول:

- وخلّي بالك. أنا لسه مش مصدق الجزء الخرافي اللي في القصة دي. مليش أنا في جوّ أمّنا الغولة والعفاريت ده.

- حقك. وأنا كمان، رغم اللي شفته بعيني، فيه جزء جوايا لسّه رافضه. الداخلية مانعة الكلام في الموضوع ده أصلًا. تصدق إن فعلًا مفيش في السجلات بلد اسمها بر الضيف؟ رغم إن أنا كنت هناك. عمومًا قولّي أنا وصلت لفين.

- وصلت لغاية ما كنت مع المقدم "إيهاب" في البوكس. كنتوا طالعين بسرعة من بَرّ الضِّيف لما الليل دخل. قولّي بقى، شُفت إيه؟

- مبلاش الحتة دي يا "عمرو"، أنا ما صدقت أنساها. خلّينا نروح للنهاية وأقولّك الخُلاصة.

ضحك "عمرو" وقال:

- استحالة. دي أهم حتة. قول بقى.

تجهم وجه "سعيد" وهو يتذكر.

- دي كانت لحظات صعبة جدًا...

الدنيا كانت ضلّمت زي ما إنت عارف والبلد بقت فاضية تمامًا. الناس دخلت بيوتها، حتى الغفر محسّتش بيهم حوالينا مكانش فيه غير الاتنين اللي في كابينة القيادة بتاعة البوكس فضلنا ماشيين وسط البيوت وسامعهم في الكابينة بيقولوا كلام مقلق فهمت منه إن البيوت اللي كان عليها الستائر دي كل اللي فيها صابهم الضيف زي ما صاب بيت زين، يعني فيها ضيف برضه.

maktabbah.blogspot.com

- إزّاي يعني؟ هو فيه كام ضيف؟

- مش عارف يا "عمرو". ممكن يكونوا جنس كامل، مش "ثروت" قال "الضيف وعشيرته" عايشين في البر التاني. وممكن يكون فعلًا اللي شفناهم دول كلهم جزء منه، امتداد له، وهو أصلًا مجاش بنفسه المهم في اللحظة دي حسّيت إننا اتأخرنا في الخروج من القرية لأني سمعتهم بيقولوا إن فيه شوية من البيوت دي أبوابها اتفتحت المقدم "إيهاب" استنّى لغاية ما اتأكد إن الرائد "ثروت" غمّض عينه وفتح الغطا. وبص. وأنا كمان... بصّيت.

خرج شرطي من مبنى القسم خلفهم وبيده ملف. أشار له "عمرو" أن يضعه على الطاولة الحديدية والتفت إلى "سعيد" بمنتهى التركيز:

- ها. شفت إيه؟

أخذ "سعيد" نفسًا عميقًا واستطرد:

- على الضوء الضعيف بتاع الفوانيس اللي متعلقة في أماكن متفرقة واللي محطوط عليها الصفيحة إياها، شفت باب بيت بيتفتح وكتف حد بيظهر، بس ماتحركش بعد كده معرفش إيه التوتر اللي حسّيت بيه ساعتها، ده حيالله كتف بني آدم بس لمّا كمّلنا بالعربية وبعد كام متر التوتر انقلب رعب .

- إزّاي؟

- لقيت اتنين واقفين أوڈام بيت من إياهم مبيتحركوش ووشّهم لبعض. فجأة واحد منهم ابتدا يضحك ضحكة متواصلة مخيفة والتاني قعد يركع ويقف من دون انقطاع. شوية ولقيت واحدة واقفة بتعمل حركات غريبة بإيدها زي ما يكون بتلِمّ فاكهة من على شجرة مش موجودة.

"عمرو":

- إيه ده؟ دول كانوا بيعملوا زي اللي كانوا في الزنزانة 3، بتوع

maktabbah.blogspot.com

الميكروباص.

"سعيد":

- بالظبط. حتى شكلهم كان مرعب. تحس إنهم ناشفين كده زي جذع الشجرة الناشف وعضمهم لا في شكله ولا حجمه الطبيعي. واحد من الاتنين اللي كانوا بيكلموا بعض شعره كان طالع في حتت غريبة في رأسه زي ما يكون جمجمته انكسرت تمامًا والتأمت غلط.

maktabbah.blogspot.com

- يا ساتر يا رب. وما خفتش؟

- أول ما ابتديت ألاحظ إن الناس اللي خرجت دي بدءوا ياخدوا بالهم من البوكس اللي ماشي وسط البلد الهلع سيطر عليا تمامًا. كنت هنادي على "ثروت" لمّا شفت واحد منهم نزل على أيديه ورجليه وجري ورانا بصّيت للمقدم "إيهاب" لقيته متابع اللي بيحصل بزّه هو كمان بملامح جامدة ومبزق بطريقة مخيفة بس طبعًا مقدرتش أكلمه علشان "ثروت" ميحسّش بحاجة بصّيت بره تاني وقعدت أتابع الموقف وقلبي كان هيقف حسّيت إن اللبش بزّه عمّال بيزيد خصوصًا إن النور بقى لونه غريب قوي. مديت إيدى علشان أقفل الغطا لكن اتجمدت مكاني لما شفته.

maktabbah.blogspot.com

- شفته؟ هو إيه؟

- الكرسي اللي شفناه قبل كده في نص الشارع.

- شفته فين؟

سأل عمرو بلهفة فيجيب سعيد:

- جوّه أرض القطان. وجنبه نفس الإزازة البلاستيك.

- إيه القلق ده يا عمّ "سعيد".

- اللي كان مزوّد شعوري بالرعب، حتى بعد ما بطّلت أبصّ، إن الغفر اللي كانوا في كابينة السّواقة نفسهم كانوا خايفين فجأة سمعت حاجة بتقع من العربية وبصّيت ملقتش المقدم "إيهاب" بعدها بأقل من دقيقة وصلنا

maktabbah.blogspot.com

الميكروباص.

"سعيد":

- بالظبط. حتى شكلهم كان مرعب. تحس إنهم ناشفين كده زي جذع الشجرة الناشف وعضمهم لا في شكله ولا حجمه الطبيعي. واحد من الاتنين اللي كانوا بيكلموا بعض شعره كان طالع في حتت غريبة في رأسه زي ما يكون جمجمته انكسرت تمامًا والتأمت غلط.

maktabbah.blogspot.com

- يا ساتر يا رب. وما خفتش؟

- أول ما ابتديت ألاحظ إن الناس اللي خرجت دي بدءوا ياخدوا بالهم من البوكس اللي ماشي وسط البلد الهلع سيطر عليا تمامًا. كنت هنادي على "ثروت" لمّا شفت واحد منهم نزل على أيديه ورجليه وجري ورانا بصّيت للمقدم "إيهاب" لقيته متابع اللي بيحصل بزّه هو كمان بملامح جامدة ومبزق بطريقة مخيفة بس طبعًا مقدرتش أكلمه علشان "ثروت" ميحسّش بحاجة بصّيت بره تاني وقعدت أتابع الموقف وقلبي كان هيقف حسّيت إن اللبش بزّه عمّال بيزيد خصوصًا إن النور بقى لونه غريب قوي. مديت إيدى علشان أقفل الغطا لكن اتجمدت مكاني لما شفته.

maktabbah.blogspot.com

- شفته؟ هو إيه؟

- الكرسي اللي شفناه قبل كده في نص الشارع.

- شفته فين؟

سأل عمرو بلهفة فيجيب سعيد:

- جوّه أرض القطان. وجنبه نفس الإزازة البلاستيك.

- إيه القلق ده يا عمّ "سعيد".

- اللي كان مزوّد شعوري بالرعب، حتى بعد ما بطّلت أبصّ، إن الغفر اللي كانوا في كابينة السّواقة نفسهم كانوا خايفين فجأة سمعت حاجة بتقع من العربية وبصّيت ملقتش المقدم "إيهاب" بعدها بأقل من دقيقة وصلنا

maktabbah.blogspot.com

أمراض عجيبة المهم إن سمعة الكومبوند انتهت بعد ما تقريبًا بقى فاضي تمامًا ده اللي مخلّيني أستنتج ساعتها إنها ضربة قدرة من شركات استثمار عقاري منافسة بس للأسف ابتدت شكاوى تيجي مِن الأماكن المحيطة بالكومبوند ده. ناس الفراغ قاتلهم. شكل التجمُّع كله هيضرب يا عم "سعيد".

أنهى كلامه بضحكةٍ عالية.

أمسك "سعيد" بيد زميله وعلى وجهه أعتى آيات الهلع.

- الـ... الڤيلا الأوّلانية، أول واحدة يجي منها شكوى، بتاعة مين؟

جاءت الإجابة قاصمة:

- دكتور مهندس كده اسمُه... اسمُه... آه. اسمُه "شريف عبد القادر". بس هي زي ما قلتلك كانت مافيهاش حد. صاحبها اختفى من كام شهر. "سعيد"، مالك؟

هبّ "سعيد" واقفًا وجال ببصره في القاهرة الجديدة أمسك محموله باحثًا عن رسالة ذات تاريخ قديم لم يقُم بمسحها لقد سبّبت له هذه الرسالة رعبًا لا حدود له لكنه، وبعد مرور خمسة أشهر، كان قد بدأ ينساها حتى هذه اللحظة.

الآن عاد إليه هذا الرعب مُضاعفًا.

ضغط على الرسالة ليقرأها:

"سعيد بيه، أنا المهندس "يوسف علي عبد العظيم القطّان"، أعتقد إنك عارفني. الرسالة دي مش الغرض منها إني أطمّنك. للأسف العكس صحيح. الغرض منها إني أقولّك إن الموضوع لسّه ماخلصش. دلوقتي الغشاوة اللي كانت علي عيني اتشالت وشُفت حقائق مرعبة.

كنت فاكر إني أنا وعائلتي بقينا في أمان بس اكتشفت إن الوضع ده مش هيفضل كتير. اللى عملته توحيدة القطان خلانا نكسب شوية وقت ليس

- بَرّ الضِّيف إيه اللي عرفنا اللي بيحصل فيها دي يا "عمرو"؟ بقولك الداخلية مانعة الكلام في الموضوع. اللوا "راشد" بنفسه هو اللي مِسِك الملف. بيقولوا إنه له علاقة شخصية بالقضية.

- وبقية اللي في القصة؟ ركاب الميكروباص و"سمية" والخدّامة والقزَم و"إعتماد"؟ ماتسبنيش كده.

"سعيد" بنبرة جادة:

- أولا لازم تفرُق بين الهيئات اللي الضيف بياخدها وبين الناس اللي بيصيبهم القزم وإعتماد وكل الشخصيات اللي الناس بيشوفوهم حاجات مختلفة هم امتداد للضيف نفسه، زيَ ما ثروت شرحلنا أما "سُميّة" وركاب الميكروباص دول ناس عادية الضيف دخل جواهم بصورةٍ ما علشان يقرَّب من إيهاب ويوسف واللي ساعده في ده سواد قلوب الناس دي: الركاب التلاتة كانوا تلات هجّامين و"سُمية" كانت جزء من مافيا بتشتري العقارات اللي مافيش فيها أمل للهدم وبطرق ملتوية تهدّها وتبني عليها سمية كانت جاية تفسد "يوسف القطّان" زي التلاتة بتوع الميكروباص ما كانوا اختبار "إيهاب الدُمَاطي".

- يعني كل ده والضيف نفسه مجاش؟

هز سعيد كتفيه فلم يكن لديه إجابة فاستطرد عمرو:

- طب كان إيه مصير اللي صابهم الضيف؟

- في خرابة جنب القسم، لاقينا الكلاب بتاكل جثة اللي اسمه "إسماعيل". واضح إن "أيمن" تخلّص منها بالطريقة دي؛ رماها في الخرابة. تصرُف قذر طبعًا بس مانعرفش جثة اللي اسمه عوض ده فين. ومتسألنيش إزّاي جثة صبحي ظهرت مكان القزم بعد القبطان أنور ما ضرب عليه النار لأني ماعرفش.

تدبّر "عمرو" في كلام صديقه ثم قال:

maktabbah.blogspot.com

- و"سمية"؟

- لقينا بقاياها زي الصَلَصال الناشف متفتتة مِيت حتة في بيت المهندس "يوسف". كان فيه جزء كبير منها مش موجود، غالبًا فيه حاجة أكلتها. مش عارفين إيه اللي ممكن يتغذى على حاجة بوضع جسم "سمية" المنفُر ده. كل الجثث كانت ناشفة زي جذر الشجر الميت. السرطانات كانت مسكت في كل حتة فيهم. مُوتُه بشعة.

"عمرو":

- ده مش قلق.. ده رعب. طب و"هارون"، الشخصية العجيبة دي؟

"سعيد":

- ماظهَرش طبعًا. ده لو كان أصلًا بني آدم. المقدم "إيهاب" كان مقتنع إنه حاجة زي الضيف، بس خَيِّر. وبيظهر لما الضيف الخبيث بيظهر، نوع من أنواع الحماية كده أو عدوّ ليه. غالبًا طلع مع "توحيدة" من بَرّ الضِّيف وفضل معاها السنين دي كلها بيحميها هي وولاد أخوها.

رجع "عمرو" بظهره مفكرًا بعمق. ثم هزّ كتفه عندما لم يجد ما يعلق به وهَمّ بقول شيء لكن الشرطي الذي أتي بالملف منذ دقائق جاءه بملف آخر. نظر "عمرو" في الملفات على عُجالة ونادى الصول:

- ثواني يا "سعيد". خد يابني. ما هو مش كل يوم هنبعت دورية علشان الهبل ده.

رد الشرطى: ما هي تعليمات سيادة المأمور حضرتك. سيادتك عارف المنطقة هنا كلها مراكز وناس واصله.

زفر عمرو بضيقٍ وقال:

- خلاص إبعت حد يروح يبُصّ. بس المرة دي خليه يمضّيهم على المحضر. مش كل ما واحد يحس بحد بيبص عليه من ورا سور الكُومبوند بتاعه يعمل القلق ده. يالا وهاتلنا الفطار.

مكتبة
maktabbah.blogspot.com

التفت إلى سعيد قائلًا:

- كنّا بنقول إيه؟

كان "سعيد" متابع الحوار بكل اهتمام فسأله:

- إيه الموضوع؟

- مفيش. من كام أسبوع كده جت شكوى من ناس في كُمبوند في المنطقة الأولى بتقول إن بالليل بيحسوا بحد بيبص عليهم من فيلا فاضية على الناحية التانية من الطريق كل ما يوْلعوا نور عندهم حد في الڤيلّا التانية دي يولع نور ولمّا يطفُوه اللي في الڤيلّا التانية دي يطفّي النور بتاعه. حد بيلاعبهم يعني.

خرج صوت سعيد مبحوحًا وهو يسأل:

- روحتوا عاينتوا؟

- روحنا يا سيدي لقينا مفيش حد في الڤيلّا من أساسه الغريب بقى إن شوية ومن دون أي مقدمات، الراجل صاحب الڤيلّا اللي كان مقدّم الشكوي طلّق مراته وسافر مراته نفسها اتخانقت مع أهلها وسافرت هي كمان بعد ما سابت العيال لأمها.

"سعيد" باهتمام شديد: كمّل.

- لأ وإيه، بعد الڤيلّا بتاعتهم ما اتقفلت، ابتدت تيجي شكاوى من فيلّل تانية في الكومبوند نفسه. برضه بيقولوا إن فيه حد من الڤيلا بتاعتهم بيبص عليهم بالليل.

ابتلع سعيد ريقه وقاطع زميله قائلًا:

- بيلاعبهم بالأنوار برضه؟

- بالظبط. استنّى بس، الأعجب جاي. المهم إن كل اللل بيشتكي بتنتهي عائلته تمامًا وتتفكّك زيّ الراجل الأولاني ده حتى في منهم بيجيله

maktabbah.blogspot.com

أمراض عجيبة المهم إن سمعة الكومبوند انتهت بعد ما تقريبًا بقى فاضي تمامًا ده اللي مخلّيني أستنتج ساعتها إنها ضربة قدرة من شركات استثمار عقاري منافسة بس للأسف ابتدت شكاوى تيجي مِن الأماكن المحيطة بالكومبوند ده. ناس الفراغ قاتلهم. شكل التجمُّع كله هيضرب يا عم "سعيد".

أنهى كلامه بضحكةٍ عالية.

أمسك "سعيد" بيد زميله وعلى وجهه أعتى آيات الهلع.

- الـ... القيلا الأولانية، أول واحدة يجي منها شكوى، بتاعة مين؟

جاءت الإجابة قاصمة:

- دكتور مهندس كده اسمه... اسمه... آه. اسمه "شريف عبد القادر". بس هي زي ما قلتلك كانت مافيهاش حد. صاحبها اختفى من كام شهر. "سعيد"، مالك؟

هبّ "سعيد" واقفًا وجال ببصره في القاهرة الجديدة أمسك محموله باحثًا عن رسالة ذات تاريخ قديم لم يقُم بمسحها لقد سبّبت له هذه الرسالة رعبًا لا حدود له لكنه، وبعد مرور خمسة أشهر، كان قد بدأ ينساها حتى هذه اللحظة.

الآن عاد إليه هذا الرعب مُضاعفًا.

ضغط على الرسالة ليقرأها:

"سعيد بيه، أنا المهندس "يوسف علي عبد العظيم القطّان"، أعتقد إنك عارفني. الرسالة دي مش الغرض منها إني أطمّنك. للأسف العكس صحيح. الغرض منها إني أقولّك إن الموضوع لسّه ماخلصش. دلوقتي الغشاوة اللي كانت علي عيني اتشالت وشفت حقائق مرعبة.

كنت فاكر إني أنا وعائلتي بقينا في أمان بس اكتشفت إن الوضع ده مش هيفضل كتير. اللي عملته توحيدة القطان خلانا نكسب شوية وقت ليس

إلا. الضيف مسيره هيوصلنا لأن هو وعشيرته أقسموا إنهم (هيجعلوا صراخنا همسًا) وهيزور بيت كل واحد استسلم لضعفه.

"سعيد" بيه، مين مننا مفيهوش عيب؟

أنهي بيت ده اللي خالي من شوية أخطاء (آدمية)؟ إن كان حبّة طمع أو شوية أنانية أو شك أو إهمال أو... أو...

نصيحة يا "سعيد"، لو في بيتك أخطاء صلّحها. لو معرفتش، وده احتمال كبير، متولّعش النور في البلكونة أو الشباك تاني، ما تلفتش النظر لبيتك. والكلام ده مش ليك إنت بس، ده للناس كلها لأن الشر خلاص... طلع من بَرّ الضيف. هيبَصّ عليهم واللي في بيته مشكلة، هيجيله. أنا بقولّك الكلام ده ليك إنت بالأخص؛ لأنك بصّيت وشفت ولو هُمْ كمان شافوك يبقي هيجيلك إنت أول واحد.

أنا عرفت إزّاي؟

من الوحيدة اللي وقفت أوصاد الضيف وفضلت عايشة: توحيدة القطّان.

بس فيه خبر ممكن يسعدك هي قالتلي إنه فيه حل أكّدتلي إن بداية الخلاص من المصيبة اللي جتلنا من البر التاني دي هو شخص واحد كنّا فاكرين إنه مات، لكن "إيهاب" على بُعد خطوات منه ولما هيوصلّه هيعرف إيه القَسَم اللى قاله للضيف وعشيرته - القسم اللي أقنعهم بيه إنهم يفضلوا في أرض القطّان. ولو عرفناه ممكن في الحالة دي نقدر ننقذ الناس كلها.

أهم حاجة لازم تعرفها إن الضيف ده مش ضيف "القطّان" لوحده، الضيف ده ضيف آخر الزمان، ضيف كل البشر.

"أما أنا... هَروح آخد وِزْني الحقيقي"

مد "عمرو" يده ليمسك صينية الطعام من الشرطي قائلًا:

- الله الله. هو ده الكلام. استنّى. طب ده فول وعرفناه إيه بقى اللي في

maktabban.blogspot.com

الطبق ده؟

رد عليه الصول قائلًا:

- سمن وسكر ودقيق.

ضحك "عمرو" والتفت إلى "سعيد":

- الحق يا "سعيد". الصول "هارون" جايبلنا سدّ الحنك.

لم يردّ "سعيد" بل ظل واقفًا كالتمثال يحدّق في ركنٍ مظلمٍ في جراج القسم.

- "سعيد"؟ مالك؟ في إيه؟ مش عارف تتكلم ليه؟ "سعيد"، إيه اللي بتعمله ببوقك ده؟

كان "سعيد" يصرخ لكن لم يسمعه أحد.

* * *

قَسَمٌ مع الأيّام كانَ مَنسيًا

لَكِنّا نَحنُ لا نَنسَى

قَصَدْنا بيوتًا باتَتْ قُبـــورًا

وَجَعَلْنا صُرَاخَكُمْ هَمْسَاً

* * *

مكتبة بيت الحكايات
maktabbah.blogspot.com